

غزوات الحق

محمد وصحبه

للكاتب / صفوت محمد



حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار الأدباء



اسم الدار	دار الأدباء للنشر والتوزيع
كتاب	غزوات الحق (محمد وصحبه)
للكاتب	صفوت محمد
رقم الإيداع	(٢٠١٧/٢٦٧٥٨) بدار الكتب المصرية
الإخراج الفني	دار الأدباء. (عبدالرحمن الصباحي)
الغلاف	من تصميمات الدار

الكاتب الصحفي

صفوت محمد

غزوات الحق

(محمد وصحبه)

إهداء

إليك .. يا حبيب الرحمن .. طبت حيا وميتا ..
علمت الأمة .. أزلت الغمة .. تركتنا على
المحبة البيضاء .. ليها كنهارها .. كنت
الإنسان في الدعوة وفي الحرب والسلام ..
ضربت المثل في الأخلاق السمحة كما أدبك
ربك ..

إلى أصحابك الأخيار الأطهار .. إليكم
أهديكم هذا العمل الذي يقص أعمالكم التي
أرست للإسلام دعائمهم وحددت معالم الطريق.
صفوت ..

البداية..

الكون غارق في الضلال .. أبناء آدم نسوا أنهم
شهدوا أمام الحق سبحانه وتعالى أنه الخالق الأكرم..
ملاحم البيت الحرام في مكة لم تعد واضحة للعيان .. الغفلة
أصابت الآباء والأجداد .. أصبحوا مشركين .. على نهجهم
سار الأبناء والذرية أجمعين .. اللهو والعبث عنوان الحياة
الفجور والزنا سلوك مألوف .. اعتاده من نسي التكليف.

في هذه الأونة بحث خليل الرحمن إبراهيم في الكون
أنقذ أمر نفسه .. تعجب من سلوك قومه .. تساءل " أين
الخالق لأعبده؟" .. يقينه الفطري دله إلى أن الحق غير زائل
موجود لا ينتهي .. لا يحده شيء وأنه نعم المولى
والنصير.

مضى قلبه يتعقل الكون .. يتأمل ملكوت السموات ..
اختار النجم ليكون ربه .. فلما أختفي تأكد أنه ليس إلها ..
فالله دائم حي لا يموت ولا يختفي .. بفطرته الإيمانية
توصل إلى أن للكون اله واحد .. يغير ولا يتغير .. خلق كل
شيء .. وهب النعم للإنسان .. سخر له الكون والكائنات ..

ليمشى في الأرض ويرى الخالق في مخلوقاته .. ينعم بها
ويستخدمها في أعمار الدنيا.. ثم يسأل عن عمره فيما أفناه
أول دعوته كانت لأبيه .. كان ممن يعبدون الأصنام ..
بألف عباره وأحسن إشارة دعا أباه إلى الحق .. بين له
بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان .. التي لا تسمع
الدعاء ولا تبصر من يعبدها .. فكيف تفعل به خيرا من
رزق أو نصر ؟!

رفض والده .. هددته بالرجم ان هجر آلهم .. فوعده
الابن البار أن يستغفر له ربه .. وعندما تبين له خطأ
مسلكه تبرأ منه .

دعا قومه إلى عبادة الواحد القهار .. سألهم عما
يعبدون .. أنها تماثيل من صنع أيديهم .. أطلقوا عليها
أسماء وسجدوا لها .. قدموا إليها القرابين والقلائد وهى لا
تتناول منها شيئا .. سلموا له أنها لا تسمع داعيا ولا تضر
ولا تنفع .. لكنهم يقتدون بأسلافهم .. وهى دعوة الظلم
والكفر .. حجة تساق في كل زمان ومكان .. يرددون "

هكذا وجدنا آباؤنا" .. أو كان آباؤهم صادقين !!... أقسم لهم أن يكيد لهذه الأصنام التي لها عاكفون بعدما يفارقونها. تركوه .. ذهبوا إلى عيد لهم في البلدة .. دعاه أبوه ليشاركهم فأدعى أنه سقيم .. بعدما غادروه ذهب مسرعا إلى الأصنام .. وجد بين أيديها أنواعا شتى من الأطعمة قدمت لها قربانا .. سألهم على سبيل التهكم " ألا تأكلون.. ما لكم لا تنطقون !! " .. أمسك قدوما وبدأ في تحطيمها حتى آتى إلى أكبرهم فلم يحطمه ووضع القدم في يده وتركه عائدا إلى بيته.

عادوا من العيد .. وجدوا ما حل بالهتهم .. تساءلوا عن فعل هذا بها ؟! .. لو كانوا يعقلون لعرفوا وقتئذ أنها غير قادرة على حماية نفسها .. فكيف أذن تحميهم ؟! .. قال قائل " سمعت إبراهيم يذكرها بالعيب والازدراء " .. أجمع أمرهم أن يأتوا به على رؤوس الأشهاد ليشهدوا ما يقول وما يحل به من قصاص وما تنزل به الآلهة من عذاب حدث ما تمناه إبراهيم .. أن يحدثهم في جمع .. يؤكد لهم زيف ما يفعلون ويعتقون.

في مشهد مهيب اجتمع فيه كبار رجال ونساء وأطفال
البلدة وقف إبراهيم .. سألوه "أأنت فعلت هذا بالآلهة ؟!"..
في سخرية واضحة وعقلانية رد عليهم " فعله كبيرهم ..
أسألوه .. أنه يمسك القدوم في يده " .. أراد أن يبادروا إلى
القول أنها لا تنطق .. يعترفوا أنها جماد .. عندها يعودون
إلى الحق .

تحقق له ما أراد وألهمه الحق سبحانه وتعالى .. لاموا
أنفسهم .. أنهم تركوا الآلهة دون حراسه !! لحظات كانت
كافية لأعادتهم إلى الحق والصواب .. ترشدهم إلى نور
الحقيقة الذي يرشدهم إليه إبراهيم .. لكن تعمى الأبصار
والقلوب !! .. أعلنوها أنها لا تنطق فكيف يسألوها ؟! ..
أستفسر منهم .. سألهم " أذن تعبدون مالا يسمعكم ولا
يفيدكم ؟!?" .. طالبهم بعبادة الله الواحد الأحد .. الفرد
الصمد.

لكن هيهات .. رفضوا الاستجابة إلى صوت العقل
والحق .. خيم على صدورهم الإلحاد .. رفض الفكاك من
قلوبهم .. كأنه نسج خيوطا من العنكبوت داخل عقولهم

فغشيتهم الضلالة وغاب عنهم الهدى .. قال كبيرهم "هل سحركم ؟. أبنوا له بنيانا وألقوه في الجحيم"
قيدوا إبراهيم وهو يقول " لا اله إلا أنت سبحانك رب العالمين . لك الحق ولك الملك . لا شريك لك " .. عندما ألقوا به في النار قال "حسبنا الله ونعم الوكيل " .

السلف قالوا ان جبريل عرض له في الهواء فقال " يا إبراهيم .. ألك حاجة؟" .. فقال الخليل "أما أليك فلا !" .. وقال ملك المطر "متى أومر فأرسل المطر؟" .. لكنه رفض المساعدة إلا من الله .. فأمر الله سبحانه النار أن تكون بردا وسلاما عليه .. ويقال أنه مكث في النار أربعين أو خمسين يوما "الله أعلم" وأنه قال " ما كانت أياما و ليالي أطيب عيشا من هذه الأيام والليالي .. إذ كنت فيها .. وددت أن عيشي و حياتي كلها مثل إذ كنت فيها" .

أرادوا أن ينتصروا عليه .. خذلهم الله .. تمنوا أن يرتفعوا فأزلهم الله .. رتبوا للقضاء عليه وهزيمته .. فأنجاه الله وحبطت أعمالهم .. فازوا بالخسارة في الدنيا ..

أما في الآخرة فان نارهم لا تكون عليهم بردا ولا سلاما ..
لا يلقون فيها تحيه .. بل ساء مستقرا.

خرج إبراهيم من النار سليما معافى .. هذه المعجزة
التي وقف عليها كل من شاهدها لم ترشدهم إلى الحق ..
عندها قرر أن يهجرهم .. هاجر من بين أظهرهم ومعه
زوجه العاقر .. لم يكن معه من الولد أحد .. فقط معه أبن
أخيه لوط بن هاران .. قدم الشام فأبتنى فيها مذبحا شكرا
لله على نجاته .. شيد قبته شرقي بيت المقدس ثم أنطلق
مرتحلا ووصل مصر .. فيها وقعت حادثه أرادها الله
لحكمه .. أدعى إبراهيم أن سارة أخته.. فأرادها حاكم مصر
له لكنه فشل في الدخول عليها.. فأمر أن تصرف ووهبها
هاجر.

عاد الخليل من بلاد مصر إلى الأرض المقدسة..
صحبه زوجته سارة وهاجر القبطية المصرية وأنعام وعبيد
ومال كثير .. أمر لوطا أن يذهب ليقيم في مدينة سدوم
على شاطئ البحر الميت.

سأل إبراهيم ربه أن يهبه ذرية طيبة .. استجاب الله له .. اقتربت منه سارة .. قالت " أن الرب حرمني الولد .. أدخل على أمتي هذه - تقصد هاجر - لعل الله يرزقنا منها ولدا "

حين دخل بها حملت منه .. قالوا أن نفسها ارتفعت وتعاضمت على سارة .. إرادة الله تنفذ .. تغير منها سارة .. تشكو إلى إبراهيم .. فقال لها " أفعلي بها ما شئت " .. خافت هاجر فهربت وأقامت عند عين .. جاءها ملك يبشرها بغلام تلده اسمه إسماعيل ..توأت أمته ما لم توأت أمة من قبل .. منها رسول يملك جميع بلاد أخوته .. عادت هاجر لتلد إسماعيل.

اشتدت غيرة سارة .. طلبت من الخليل أن يغيب وجهها عنها .. ذهب بها وبولدها .. سار بهما حتى وضعهما حيث مكة اليوم .. يقال أن ولدها كان إذ ذاك رضيعا .. تركهما هناك وولى ظهره عنهما .. قامت إليه هاجر .. تعلقت بثيابه .. سألته " أين تذهب وتدعنا هنا وليس معنا ما يكفينا ؟ " .. لم يجيبها .. فلما ألحت عليه

وهو لا يجيبها قالت له " الله أمرك بهذا ؟! " .. فلما أجاب بالإيجاب قالت " إذن لا يضيعنا أبدا " .

أنطلق إبراهيم .. وصل إلى الثنية .. حيث لا يرونه ..
أستقبل السماء .. دعا ربه أنه أسكن ذريته في واد موحش
غير مأهول .. دعا أن تهوى إليهم أفئدة من الناس
ويرزقهم من الثمرات .

نفذ الماء الذي بحوزة أم إسماعيل .. عطش ابنها
الرضيع .. نظرت إليه وهو يتلوى .. لم تتحمل رؤيته وهو
يعانى .. انطلقت إلى جبل الصفا .. سعدته تنظر إلى قادم
يقدم لهم العون .. عندما يئست هبطت تسعى سعى الإنسان
المجهد حتى وصلت جبل المروة .. سعدته تبحث عن قادم
تراه ليعينها فلا تجد .. سعت سبع مرات .. حتى سمعت
صوتا .. نظرت إلى وليدها .. وجدت بجواره ملك من
الملائكة يحفر الأرض حتى ظهر الماء .. فقدمت تشرب منه
وترضع ولدها .. سمعت الملك يحدثها " لا تخافي الضيعة ..
فان هاهنا بيت الله الحرام .. يبينه هذا الغلام وأبوه " .

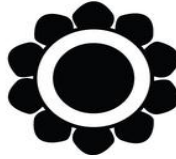
مرت بهم رفقه من قوم جرهم .. نزلوا أسفل مكة ..
شاهدوا طائرا يحوم في السماء فقالوا " أن هذا الطائر ليدور
على ماء .. وما عهدناه بهذا الوادي!! " .. أرسلوا رسولا
فعاد يخبرهم بوجود الماء .. أقبلوا وأم إسماعيل عند الماء
.. استأذنوا النزول عندها .. قالت " نعم ولكن لا حق لكم
في الماء " .. قالوا "نعم " .

أقاموا معها ، أرسلوا إلى أهلهم ليشاركوهم المقام ..
شب الغلام إسماعيل بينهم وتعلم العربية منهم .. أعجبهم
عندما شب .. فلما أدرك زوجه امرأة منهم .. لتبدأ
السلسلة المباركة التي أصطفى منها الله رسول الانسانيه
والرحمة المهداة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم
.. تحقيقا لدعوة خليل الرحمن وهو يرجو الحق أن يرسل
رسولا منهم من بعده " ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم يتلو
عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت
العزیز الحكيم " .. وكانت إجابة الله تعالى بأنه أستجيب لك
وسيكون خاتم الأنبياء.

يذكر كتاب السيرة أن العرب كلها من ولد إسماعيل..
 رزق الله إسماعيل اثني عشر ولدا ذكرا هم : نابت و قيدار
 و مبشام و دوما و ميشا و حدد و يتما ويطور و قيدمان ..
 تشعبت من هؤلاء اثنتا عشر قبيلة .. سكنت مكة مده ..
 اعتمدوا على التجارة مع اليمن والشام ومصر .. انتشروا
 بعد فتره في أرجاء الجزيرة العربية .. بل والى خارجها ..
 أما قيدار بن إسماعيل فبقى أبناؤه في مكة .. يتناسلون
 هناك حتى كان منه عدنان وولده معد .. عدنان هو الجد
 الحادي والعشرين في سلسلة النسب النبوي .. وورد أنه
 صلى الله عليه وسلم إذا انتسب فبلغ عدنان يمسك ويقول "
 كذب النسابون" فلا يتجاوزه .. أتفق العلماء على هذا وقالوا
 أن بين عدنان وإبراهيم أربعين أبا بالتحقيق الدقيق .
 تفرقت بطون معد عن ولده الوحيد نزار .. كان لنزار
 أربعة أولاد .. تشعبت منهم قبائل عظيمة هم: إياد وأنمار
 وربيعة ومضر .. تشعبت من ربيعه : أسد ، عنزه ، عبد

القيس ، ابنا وائل " بكر وتغلب " ، حنيفة ..أما مضر
فتشعبت إلى قيس عيلان بن مضر وبطون الياس بن مضر
من قيس عيلان : بنو سليم ، بنو هوازن ، بنو غطفان ، ..
ومن غطفان : عبس وذبيان ، أشجع ، غنى بن أعصر .
من الياس بن مضر : تميم بن مره ، هذيل بن مدركه
بنو أسد بن خزيمه ، بطون كنانة بن خزيمه .. من كنانة
قريش ، وهم أولاد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .
انقسمت قريش إلى قبائل شتى .. من اشهرها جمح ،
سهم ، عدى ، مخزوم ، تيم ، زهره ، بطون قصي بن
كلاب وهى عبد الدار بن قصي ، أسد بن عبد العزى بن
قصي وعبد مناف بن قصي .. وكان من عبد مناف أربع
فصائل : عبد شمس ، نوفل ، المطلب ، هاشم .. بيت هاشم
هو الذي أصطفى منه سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد
المطلب بن هاشم صلى الله عليه وسلم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله أصفى
من ولد إبراهيم إسماعيل .. وأصفى من ولد إسماعيل
كنانة .. وأصفى من كنانة قريشا .. وأصفى من قريش
هاشم .. وأصفاني من بني هاشم "



مولد الفجر..

أهل مكة سادرون في غيهم .. يظنون أن مصدر قوتهم هو رجالهم ومكانتهم .. نسبوا أن البيت الحرام هو الأصل في مكانتهم .. اعتقدوا أن رحلتهم إلى الشام واليمن حيث تجارتهم سببه موقع بلدهم .. حيث يمر بها أي راحل من الجنوب إلى الشمال .. لم يعرفوا أن ما ينعموا به له أصل .. هو دعاء خليل الرحمن إبراهيم..

أما قريش فهي القبيلة التي لها السيادة في مكة .. تملك الهيبة عند كل العرب .. منها الأسرة الهاشمية التي ينتمي إليها النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم .. هاشم رأس الأسرة تولى السقاية والرفادة من بنى عبد مناف .. بعدما تصالح بنو عبد مناف و بنو عبد الدار على اقتسام المناصب بينهما ..! اسمه عمرو .. سمي هاشم لأنه يهشم الخبز للحجاج .. أول من سن الرحلتين لقريش .. أثناء خروجه إلى الشام تاجرا .. قدم المدينة المنورة .. فيها تزوج سلمى بنت عمرو بنى عدى بن النجار .. أقام عندها خرج إلى الشام وبقيت عند أهلها .. حملت بعبد المطلب .. مات هاشم في غزه .. ولدت امرأته سلمى ذكرا أسمته

شبيبة لشبيبة في رأسه منذ مولده .. بقى شبيبة في أهل أمه
حتى أصبح صبيا .

سمع المطلب بابنهم الموجود في المدينة المنورة ..
رحل في طلبه .. فاضت عيناه بالدموع عندما رآه .. ضمه
وأردفه على راحلته .. حدث أمه أنه سيأخذه إلى ملك أبيه
وحرّم الله .. أذنت له .. قدم به مكة مردفة على بغيره ..
قال الناس " هذا عبد المطلب " .. قال لهم " ويحكم أنما هو
ابن أخي هاشم " .. أقام عند عمه حتى شب .. حفر بئر
زمزم وأستخرج منها سيوفا ودروع وغزالين من الذهب ..
نازعته قريش فيها.. لم يتركوه حتى أراهم الله ما أكد
اختصاص عبد المطلب بزمزم .. حينئذ نذر لئن أتاه الله
عشرة أبناء وبلغوا أن يمنعوه لينحرن أحدهم عند الكعبة .

رزق الله عبد المطلب بعشرة بنين هم : الحارث
والزبير وأبو طالب وحمزة وأبو لهب والغيداق وصفار
والعباس وعبد الله... أما بناته فهن : أم الحكيم " وهى
البيضاء" وبره وعاتكه وصفيه وأروى وأميمة.

أتم عبد المطلب أولاده العدد الذي حدده للنذر .. رغم الجوانب الوثنية المنتشرة في مكة .. فان الإيفاء بالوعد ما يميزهم .. حان الوقت ليفي عبد المطلب بما نذر .. يذبح آخر أبناءه عند الكعبة .. أنه عبد الله وأمه فاطمه بنت عمرو.. أعف أولاده وأحبهم إليه .. هو الذبيح الذي وجب عليه الطاعة لوالده.. لينفذ فيه ما نذر .

وقف الأب حائرا .. أي السبيل يسلك .. كتب أسماؤهم جميعا في القداح وضربه .. خرج القداح على عبد الله .. أمسك بالشفرة .. أقتاد أبنه إلى الكعبة ليذبحه .. منعته قريش .. خاصة أخواله من بنى مخزوم وأخو أبو طالب .

أبدى عبد المطلب لهم حيرته .. سألهم كيف يفى بنذره أشاروا عليه أن يأتي عرافه فيستأمرها .. أتاها فأمرت أن يضرب القداح على عبد الله وعلى عشر من الإبل .. فان خرجت على عبد الله يزيد عشرا من الإبل حتى يرضى ربه .. بعدها ينحر الإبل .

رجع وأقرع بين عبد الله وبين عشر من الإبل .. وقعت القرعة على عبد الله .. لم يزل يزيد من الإبل عشرا

عشرا ولا تقع القرعة إلا عليه .. بلغت الإبل مائه .. عندها وقعت عليها القرعة .. فنحرت عنه .. تركها عبد المطلب لا يرد عنها انسانا ولا سبعا ومن وقتها أصبحت الدية عند العرب مائه من الإبل وأقرها الإسلام .

أختار عبد المطلب لولده عبد الله آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهره بن كلاب زوجة له .. هي يومئذ من أفضل نساء قريش نسبا وموضعا .. أبوها سيد بني زهره نسبا وشرفا.

مر عبد الله على امرأة من بني أسد بن عبد العزى .. نظرت إليه .. سألته عن وجهته قال مع أبي .. قالت " لك مثل الإبل التي نحرت عنك .. قع على الآن " .. رفض وتركها ومضى.

في اليوم التالي مر بالمر أه التي دعتة إلى نفسها .. لم تهتم به سألها .. مالك لا تعرضين على اليوم ما كنت عرضته على بالأمس؟ " .. قالت له " فارقك النور الذي كان معك بالأمس .. ليس لي حاجة بك اليوم " .. يرى بعض كتاب السيرة أن المر أه قالت له " مررت بي وبين عينيك

غرة بيضاء .. دعوتك فأبيت على .. دخلت على آمنه
فذهبت بها " .

أيام قليلة عقب العرس .. عبد المطلب يأمر أبنه عبد
الله بالخروج تاجرا إلى المدينة ليشتري لهم تمرا .. دخل
المدينة بعدما أصابته وعكة صحية أدت إلى وفاته .. دفن
وكان عمره حينها خمس وعشرون سنة .. كانت وفاته قبل
مولد الرسول صلى الله عليه وسلم .

لما بلغ نعيه مكة .. رثته آمنه .. قالت :

عفا جانب البطحاء من ابن هاشم

وجاور لحدا خارجا في الغمام

دعته المنيا دعوة فأجابها

وما تركت في الناس مثل ابن هاشم

عشية راحوا يحملون سريره

تعاوره أصحابه في التراحم

فان تك غالية المنيا وريبها

فقد كان معطاء كثير التراحم

ما خلفه خمسة جمال وقطعة غنم وجاريه حبشيه
اسمها بركه وكنيتها أم أيمن وهى حاضنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

تقول السيدة آمنه والدة رسول الله " يوم حملت به
سمعت صوتا يقول " حملت سيد هذه الأمة " .. إذا وقع على
الأرض قولي " أعيذه بالواحد .. من شر كل حاسد .. ثم
سميه محمدا " .. كما تقول أنها رأت أنه خرج منها نورا
رأت به قصور بصري من أرض الشام .

يحلو للبعض أن ينكر هذه البشارات .. يقولون أنها
من وضع بعض المتصوفة .. أقرر أنها بشارات فوق
مستوى إدراك البشر .. أنها ليست من الأمور مستحيلة
الحدوث .. فالحق سبحانه وتعالى قادر على أن يلهم الأم
بهذه الغيبيات .. ألم ينزل القرآن على رسوله صلى الله
عليه وسلم وأهل بيته وأصحابه بجواره .. لا يسمعون ما
يصله من مدد سماوي .. إلا حينما يعلنه بنفسه .

آن للفجر أن ينبلع .. يولد الرحمة المهداة .. يستقبل
الدنيا يتيما .. لم ير أباه .. ضعيفا ينتمي إلى أقوياء هم

سادة قريش .. ولد بشعب بنى هاشم بمكة .. صبيحة يوم
الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل .
يومها سمع حسان بن ثابت — كان غلاما يافعا يهوديا
يصرخ بأعلى صوته على حصن في المدينة " يا معشر
يهود.. طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به"

تقول أمه " ما وجدت له مشقة حتى وضعته .. لما
فصل منى ..خرج ومعه نور أضاء له ما بين المشرق إلى
المغرب .. وقع إلى الأرض معتمدا على يديه .. أخذ قبضة
من التراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء !!".

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختونا .. حتى
قال جده عبد المطلب " ليكون لأبني هذا شأن " .. ويروى
البعض أن جده ختنه وعمل له دعوة جمع قريش عليها ..
والله أعلم .

ويروى أن يهوديا سكن مكة قال في الليلة التي ولد
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. " يا معشر قريش
.. هل ولد فيكم الليلة مولود؟ " .. فقال القوم والله ما
نعلمه .. فقال أما إذا أخطأكم فلا بأس .. انظروا واحفظوا

ما أقول لكم .. ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة .. بين
كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس ..
لا يرضع ليلتين .. لأن عفريتاً من الجن وضع أصبعه في
فمه فمنعه الرضاعة.

تفرق القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من حديثه ..
دخلوا منازلهم يتحدثون بالحديث إلى أهلهم .. فعرفوا أن
الله وهب لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمداً.

التقوا في اليوم التالي وهم يتذكرون حديث اليهودي
ومولد الغلام .. انطلقوا حتى جاءوا باليهودي وأخبروه ..
ذهبوا معه إلى آمنه .. طلبوا أن يروا الوليد .. كشفوا عن
ظهره .. شاهدوا الشامة .. وقع اليهودي مغشياً عليه ..
لما أفاق قال " ذهبت والله النبوة من بنى إسرائيل ..
فرحتم بها يا معشر قريش .. والله ليسطون بكم سطوة
يخرج خبرها من المشرق و المغرب " .

لما وضعته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب .. حدثته
بما رأت حين حملت به .. وما قيل لها فيه .. فسماه
محمداً.

انتصار الحق..

آن لرسالة الحق أن تنتشر .. يحملها رجال صدقوا الله
ورسوله .. جاعوا من بلدهم يثرب يقصدون موسم الحج ..
التقى بهم محمد صلى الله عليه وسلم .. عرض عليهم ما
يعرضه على سائر القبائل .. قدم لهم الهدى والرحمة ..
النجاة والملجأ .. الأيمان بالله أحدا و بالإسلام دين ومنهجها
.. ستة من أهل يثرب أراد الله بهم الخير .. شرح
صدورهم للإيمان .. أسلموا .. واعدوه إبلاغ رسالته إلى
قومهم .. حققوا ما وعدوا .. فشا الإسلام في دورهم .. لم
يبق فيها دارا إلا وذكر فيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم .

في العام التالي .. وفي موسم الحج .. جاءه اثنا عشر
رجلا .. فيهم خمسة من الستة الذين جاعوا في العام
السابق .. بالاضافه إلى سبعة آخرين هم معاذ بن الحارث
من بنى النجار و ذكوان بن عبد القيس من بنى زريق
وعباد بن الصامت من بنى غنم ويزيد بن ثعلبة من حلفاء
بنى غنم والعباس بن عباد بن الصامت من بنى غنم ويزيد

بن ثعلبه من حلفاء بنى عبد الأشول وعويم بن ساعده من بنى عمرو بن عوف .

أما الستة الذين قدموا من قبل فهم أبو أمامه اسعد بن زراره بن عدس من بنى النجار ورافع بن مالك بن عمرو بن زريق وجابر ابن عبد الله بن رئاب وعوف بن عفراء وعقبه بن عامر ورافع بن مالك .. الذي تخلف عنهم العام التالي فهو جابر بن عبد الله بن رئاب .

لقيه الأثنى عشر رجلا عند العقبة .. بايعوه بيعة النساء .. وهى العقبة الأولى .. بايعوه ألا يشركوا بالله شيئا .. لا يسرقون .. لا يزنون .. لا يقتلوا أولادهم .. لا يأتون ببهتان من بين أيديهم وأرجلهم .. لا يعصوه في معروف .. فان وفوا فلهم الجنة .. ومن أصاب منهم شيئا من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارة له .. ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله .. إن شاء عاقبه .. وإن شاء عفا عنه .

بعد أن تمت البيعة .. انتهى الموسم وعاد مسلمو يثرب إلى بلادهم .. أرسل معهم رسول الله صلى الله عليه

وسلم مصعب بن عمير ليعلمهم شرائع الإسلام ويفقههم في الدين .. يقوم بنشر الإسلام بين الذين لم يزالوا على الشرك.

نزل مصعب على أسعد بن زرارہ .. أخذًا يبتثان الإسلام في أهل البلد بحماس .. عرف مصعب وقتها بالمقرئ .. قيل انه كان يصلی بهم .. ذلك إن الأوس والخزرج كره أن بعضهم أن يؤمه بعض !! .. ويروى عن كعب بن مالك أن أسعد بن زرارہ كان يصلی بهم الجمعة إماما

ما يروى عن نجاح مصعب بن عمير في الدعوة .. أنه خرج مع أسعد بن زرارہ يريدون دارا بنى عبد الأشهل وبنى ظفر .. جلسا بجوار حائط من حوائط بنى ظفر .. اجتمع اليهما رجال من المسلمين .. فما سمع سعد بن معاذ و أسيد بن حضر وهما يومئذ على الشرك .. طلب سعد من أسيد أن يذهب اليهما ليزجرهما .

أخذ أسيد حربته وأقبل اليهما .. رآه أسعد فقال لمصعب : " هذا سيد قومه جاءك فأصدق الله فيه " .. قال مصعب " أن يجلس أكلمه

وقف أسيد متشمتا .. قال " ما جاء بكما إلينا ؟ ..
تسفهان ضعفاءنا .. اعتزلانا أن كانت لكما بأنفسكما حاجة
" .. قال مصعب " أو تجلس فتسمع .. فان رضيت أمرا
قبلته .. وان كرهته كف عنك ما تكرهه " .. قال "أنصفت "
.. ركز حربته وجلس .. كلمه مصعب عن الإسلام .. تلا
عليه القرآن .. قال " والله عرفنا في وجهه الإسلام قبل أن
يتكلم " .. قال أسيد " ما أحسن هذا الكلام وأجمله !! ..
كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ " .. قالوا
" تغتسل .. تطهر ثوبك .. تشهد شهادة الحق .. تصلى
ركعتين " .. قال أسيد " ورائي رجلا إن تبعكما لم يتخلف
عنه أحد من قومه .. سأرشده إليكما الآن " .. أخذ حربته
وأنصرف إلى سعد في قومه.

قال سعد بن معاذ عندما أقبل أسيد عليه " أحلف بالله
.. لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم " ..
وقف أسيد وسأله سعد " ما فعلت ؟ " .. قال " كلمت
الرجلين .. والله ما رأيت بهما بأسا .. قد نهيتهما .. فقالا
نفعل ما أحببت " .. ثم أخبره أنه سمع أن بنى حارثه

خرجوا إلى أسعد بن زرارہ ليقتلوه لأنهم عرفوا انه ابن خالتك .

غضب سعد وأخذ حربته .. خرج اليهما .. رآهما مطمئنين .. عرف أن أسيد أخبره بذلك ليذهب اليهما ويسمع منهما .. وقف عليهما متشمتا .. ثم قال لأسعد " والله يا أبا أمامه لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رأيت هذا مني .. تغشانا في دارنا بما نكره؟".

طلب منه مصعب أن يجلس لسمع .. فان رضي أمرا قبله .. وان كرهه اعتزلوا عنه وما يكره .. قال "أنصفت" .. وفعل مثل صاحبه .. ركز حربته وجلس .. عرض عليه الإسلام .. قرأ القرآن .. تهلل وجه سعد وأشرق .. سألهما ماذا يفعلون إذا أسلموا فأخبراه .. فعل .

أخذ حربته وعاد إلى قومه مناديا " يا بنى عبد الأشهل .. كيف تعلمون أمري فيكم ؟ .. قالوا "سيدنا وأفضلنا رأيا" .. قال " فان كلام رجالكم ونساءكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله " .. فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلمه .. إلا رجل واحد هو الأصيرم تأخر إسلامه

إلى يوم أحد .. أسلم ذلك اليوم وقاتل وقتل ولم يسجد لله سجدة .. قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم " عمل قليلا وأجر كثيرا "

هذا النصر الايماني الكبير ينسب إلى مصعب بن عمير .. أيدته الله بنصره .. أقام في بيت أسعد بن زرارته يدعو إلى الإسلام .. حتى لم تبق دارا من دور الأتصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون .. إلا دار بنى أمية زيد وخطمه ووائل .. لم يسلموا إلا عام الخندق — عام خمس من الهجرة — .

قبل حلول موسم الحج التالي .. عاد مصعب بن عمير إلى البلد الحرام .. يحمل لرسول الأنسانيه صلى الله عليه وسلم بشائر انتصار الحق .. يقص عليه خبر قبائل يثرب .. ما فيها من مواهب الخير .. مالها من قوة ومنعه.

في موسم الحج خرج مسلمو الأتصار قاصدين مكة .. واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقوه في العقبة .. تساءلوا فيما بينهم إلى متى يتركون رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يطوف ويترد في جبال مكة؟! .

يصف قادة الأنصار اللقاء الذي حول مجرى الأيام في صراع الوثنية والإسلام .. يقول كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه " خرجنا إلى الحج .. في الليلة التي واعدنا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كنا نكتم عن معنا من قومنا من المشركين أمرنا .. كلمنا عبد الله بن عمرو بن حرام وهو سيد من ساداتنا وشريف في رجالنا .. حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا .. نتسلل تسلل القطا مستخفين .. حتى إذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة .. نحن ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من نساءنا هما نسيبه بنت كعب "أم عماره" وأسماء بنت عمرو " أم منيع " .. اجتمعنا في الشعب ننتظر حتى جاءنا صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب - وهو يومئذ على دين قومه - إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه .. وكان أول المتكلمين

يضيف الأنصاري الكبير " بعد تكامل المجلس بدأت المحادثات لإبرام التحالف الديني والعسكري .. أول المتكلمين العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله

عليه وسلم شرح بصراحة خطورة المسؤولية التي ستلقى على كواهلنا نتيجة لهذا التحالف .. قال أن محمدا في عز من قومه ومنعة من بلده .. لكنه أبى إلا الانحياز إليكم والحق بكم .. فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه .. مانعوه ممن خالفه .. فانتم وما تحملتم من ذلك .. وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه .. فانه في عز ومنعة من قومه وبلده .

قلنا " قد سمعنا ما قلت .. تكلم يا رسول الله .. خذ نفسك ولربك ما أحببت " .. وهو يدل على عزمهم وتصميمهم وشجاعتهم وإيمانهم وإخلاصهم في تحمل هذه المسؤولية العظيمة وتحمل عواقبها الخطيرة .

تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. تلا القرآن .. دعا إلى الله ورغب في الإسلام .. قال " أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم " .. فبايعوه .. وقال أبو الهيثم بن التيهان " يا رسول الله .. إن بيننا وبين الرجال حبالا .. إنا قاطعوها .. فهل عسيت إن فعلنا هذا .. ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟! .. فتبسم

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال " بل الدم الدم ..
الهدم الهدم .. أنا منكم وأنتم منى .. أحارب من حاربتم ..
أسالم من سالمتم " .. أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا
يكونون على قومهم بما فيهم".

أخرجوا اثني عشر نقيبا .. تسعة من الخزرج وثلاثة
من الأوس .. هم أسعد بن زراره ورافع بن مالك والبراء
بن معرور وسعد بن الربيع وعبد الله بن عمرو بن حرام
وعباد بن الصامت وسعد بن عباد والمنذر به عمرو
وعبد الله بن رواحه وهم من الخزرج .. ومن الأوس أسيد
بن حضير وسعد بن خثيمة ورفاعة بن عبد المنذر .

يروى الإمام أحمد أن ما بايعوا الرسول عليه هو
السمع والطاعة في النشاط والكسل .. النفقة في العسر
واليسر .. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. القيام في
الله لا تأخذهم لومة لائم .. ينصرونه إذا قدم إليهم
ويمنعون عنه ما يمنعون عنه عن أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم .
بعد إقرار بنود البيعة بدأ عقدها المصافحة .. كان أبو
أمامه أسعد بن زراره أول المصافحين .. ثم قاموا رجلا

رجلا يعطى البيعة .. أما بيعة المرأتين اللتين شهدتا الواقعة فكانت قولا .. ما صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أجنبية قط .

أوشك القوم على الانصراف .. اكتشف أحد الشياطين ما تم .. قام الشيطان على مرتفع من الأرض .. صاح بصوت قوى " يا أهل المنازل .. هل لكم في محمد والصبابة معهم ؟ .. أنهم اجتمعوا على حربكم " .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. هذا أذب العقبة .. أما والله يا عدو الله لأتفرغن لك .. وأمرهم أن يذهبوا إلى رحالهم .. وقال العباس بن عباد بن نضله " والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل متى غدا بأسيفنا " .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لم نؤمر بذلك .. لكن أرجعوا إلى رحالكم " .. رجعوا وناموا حتى أصبحوا .

رجع الأنصار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الثانية إلى يثرب .. أظهروا فيها الإسلام

.. دعوا شيوخهم إلى ترك الشرك والوثنية .. أمن بعضهم ولم يحن الإيمان للباقيين إلا بعدما وصلها المهاجرين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ في مكة وذهاب الأنصار إلى ديارهم " رأيت في المنام أنى أهاجر مكة إلى أرض فيها نخل .. ذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر .. فإذا هي المدينة يثرب " .. عندها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين إلى الحبشة ومن معه في مكة بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها .. والحق بإخوانهم من الأنصار .. قال " إن الله عز وجل جعل لكم أخوانا ودارا تأمنون فيها" ..

أول من هاجر .. أبوسلمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .. هاجر إلى المدينة قبل بيعة العقبة بسنه .. آذته قريش عقب عودته من الحبشة .. عزم على العودة إليها .. بلغه أن بالمدينة إخوانا فاتجه إليها .

خرج أبو سلمه يقود بغيره وعليه زوجته وابنه .. رآته رجال بنى المغيرة .. قاموا إليه .. قالوا له " هذه

نفسك غلبتنا عليها .. أرأيت صاحبتنا هذه .. علام نتركك تسير بها في البلاد !.. نزعوا خطام البعير وأخذوها منه .. غضب بنو عبد الأسد رهط أبي سلمه .. قالوا " والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبتنا " .. تجاذبوا ابن سلمه بينهم حتى خلعوا يده .. انطلق به بنو عبد الأسد وحبسها بنو المغيرة .. وانطلق أبو سلمه إلى المدينة .. فرقوا بينها وبين زوجها وبين ابنها .. فكانت تخرج فتجلس في الصحراء المجاورة لمكة تبكى يومياً من الصباح وحتى المساء .. حتى مر بها رجل من أهلها فرق لها وسأل قومه أن يجعلوها تلحق بزوجها .. رد بنو عبد الأسد إليها ابنها وارتحلت ما معها أحد من خلق الله سوى الصغير .. في التنعيم على أطراف مكة لقيت عثمان بن طلحه سألتها إلى أين ؟ .. قالت " أريد زوجي بالمدينة .. ما معي أحد إلا الله وبنى هذا " .. أخذ خطام البعير وانطلق معها حتى قدم المدينة ثم أنصرف راجعا .

أول من قدم المدينة بعد أبي سلمه هو عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبي حشمة .. ثم عبد الله بن جحش

.. هاجر بأهله وأخيه عبد بن جحش والفرعه بنت أبي سفيان .. وكانت دارهم أول دار تغلق لهجرة كل ساكنيها .
عندما أراد صهيب الهجرة .. أوقفه كفار قريش .. قالوا له " أتيت صعلوكا حقيرا .. كثر مالك عندنا .. بلغت الذي بلغت .. ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك .. والله لا يكون ذلك " .. قال لهم صهيب " رأيتم أن جعلت لكم مالي .. أتخلون سبيلي ؟ " .. قالوا نعم فجعل لهم ماله . بلغ ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " ربح صهيب .. ربح صهيب " .

تواعد عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص بن وائل على الهجرة معا .. اجتمع عمر وعياش وحبس عنهما هشام .. نزلا بقباء .. جاءهما أبوجهل وأخوه الحارث .. حدثا عياش أخوهما .. أخبراه أن أمه نذرت أن لا يمس رأسها مشط ولا تستظل بشمس حتى تراه .. حذره عمر أنهما يريدان فتنته .. إلا أن عياش رق قلبه وخرج معهما .. وفي الطريق أوثقاه وربطاه

ودخلا مكة نهارا وهو موثق وقالوا " يا أهل مكة .. هكذا
أفعلوا بسفهاكم .. كما فعلنا بسفيها هذا " .

بعد شهرين وأيام قليلة .. لم يبق في مكة من
المسلمين إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر
الصديق وعلى .. تجهز أبوبكر .. قال له الرسول صلوات
الله عليه وسلامه " على رسلك .. فأنى أرجو أن يؤذن " ..
فقال أبوبكر " وهل ترجو ذلك بأبى أنت ؟ " قال " نعم " ..
حبس أبوبكر نفسه على رسول الله ليصحبه .. علف
راحلتين كانتا عنده ورق السمر أربعة أشهر .

رأى المشركون أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرجوا .. حملوا الذراري والأطفال والأموال إلى
المدينة .. حدثت فيهم ضجة أثارت القلاقل والحزن .. أخذ
القلق يساورهم .. تجسد أمامهم الخطر الحقيقي الجسيم ..
كيانهم الوثني والاقتصادي مهدد .. فمحمد وصحبه
يتميزون بالعزيمة والاستقامة والفداء في سبيل الله ونصرة
الإسلام .. الأوس والخزرج قوة ومنعة نبذوا الأحقاد
واتحدوا في كيان واحد .. أما المدينة فموقعها استراتيجي

للقوافل المتجهة إلى الشام والقادم منها إلى اليمن .. إنهم يتاجرون مع الشام بأكثر من ربع مليون دينار ذهب سنويا .

شعر المشركون بتفاقم الخطر الذي يهدد كيانهم .. أخذوا يبحثون عن أنجع الوسائل لدفع هذا الخطر .. اجتمعوا في دار الندوة .. يتشاورون ما يصنعون في الأمر .. توافد إلى الاجتماع جميع نواب القبائل القرشية .. يتدارسوا خطة حاسمة تكفل القضاء سريعا على حامل لواء الدعوة الإسلامية .. تقطع نورها عن الوجود نهائيا .. اعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل عليه كساء مربع أخضر .. وقف على باب الدار .. سألوه من أين ؟ .. قال : نجد .. سمعت بالذي أعددت له .. حضرت معكم لأسمع ما تقولون .. عسى أن لا أعدمكم رأيا ناصحا . رحبوا به وأدخلوه ليشارك في الاجتماع .

حضر الجميع .. بدأوا النقاش .. عرضت الاقتراحات والحلول .. قال أبو الأسود " نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا .. لا نبالي أين ذهب ولا حيث وقع ؟ .. فقد

أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت " .. الشيخ النجدي عارضه
.. ذكر أن حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب
الرجال بما يقول .. فان أخرجوه لا يأمنون أن يحل على
حي من العرب .. ثم يسير بهم بعد أن يتابعوه إلى مكة
ليدخلها عنوة فيفعل فيها ما يريد .

قال أبو البختری : احبسوه في الحديد .. أغلقوا عليه
بابا .. تربصوا به ما أصاب أمثاله من الشعراء الذين كانوا
قبله ومن مضى منهم من هذا الموت .. حتى يصيبه ما
أصابهم

تهكم من هذا الرأي الشيخ النجدي " والله ما هذا
برأي .. والله لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب
الذي أغلقتموه دونه إلى أصحابه .. فلاؤشكوا أن يثبوا
عليكم .. ينزعوه من أيديكم .. يكاثروكم به .. حتى يغلبوكم
على أمركم فانظروا في رأى آخر .

تقدم كبير مجرمي مكة أبوجهل بن هشام باقتراح ..
قال " والله أن لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد .. أرى
أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا فينا ..

نعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً .. يعمدوا إليه فيضربوه
ضربة رجل واحد .. يقتلوه فنستريح منه .. إذا فعلوا تفرق
دمه في القبائل جميعاً .. لا يقدر بنو عبد مناف على حرب
قومهم جميعاً .. عندها يرضون بالعقل فعقلناه لهم " .

قال إبليس المتشبه في شكل الشيخ النجدي " القول ما
قال الرجل .. هذا الرأي لا أرى غيره " .

انفض الاجتماع على هذا الرأي الأثم .. رجع
المجتمعون من صناديد الكفر في قريش إلى بيوتهم ..
تخذوا أهبثهم للتنفيذ فوراً .

نزل جبريل بوحى ربه .. أخبر رسول الله صلوات الله
وسلامه عليه بمؤامرة قريش .. أمره ألا يبيت هذه الليلة
على فراشه الذي يبيت عليه .. ذهب النبي صلى الله عليه
وسلم في الهجرة إلى أبى بكر رضى الله عنه .. قالت
عائشة رضى الله عنها " بينما نحن جلوس في بيت أبى بكر
في عز الظهيرة أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في
ساعة لم يكن يأتينا فيها .. قال أبى فداء له أبى وأمي ..

والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر" .. أستاذن الرسول فأذن له .

دخل وهو يقول لأبى " أخرج من عندك " .. قال أبو بكر " إنما هم أهلك ، بأبى أنت يا رسول الله " . قال "أنا أذن لي في الخروج " .. قال أبوبكر " الصحبة بأبى أنت يا رسول الله " .. قال الرسول صلى الله عليه وسلم " نعم " .. وبعد إبرام الاتفاق عاد الرسول إلى بيته ينتظر مجئ الليل . مجرمو قريش قضوا نهارهم في الأعداد لتنفيذ خطتهم الشيطانية .. اختاروا أحد عشر رجلا من بينهم .. هم أبو جهل بن هشام والحكم بن أبى العاص وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث وأميه بن خلف وزمعه بن الأسود وطعيمه بن عدى وأبولهب وأبى بن خلف ونبيه بن الحجاج وأخوه منبه .

عندما أرخى الليل سدوله على مكة وشعابها .. قدموا .. اجتمعوا على بابيه .. يرصدونه متى نام ؟ .. يثبون عليه .. كانوا على ثقة ويقين من نجاحهم .. وقف أبو جهل مزهوا يخاطب رفقة السوء " أن محمدا يزعم أنكم أن

تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم .. ثم بعثتم من بعد موتكم .. فجعلت لكم جنان الأردن .. وأن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح .. ثم بعثتم من بعد موتكم .. ثم جعلت لكم نارا تحرقون فيها " .

اتفق رسول الله صلى الله عليه وسلم مع على ابن أبى طالب على البقاء في مكة ليرد الأمانات إلى أصحابها .. طلب منه النوم في فراشه .. يضع عليه البرد الحضرمي الأخضر الخاص به .. أخبره أنه لن يخلص إليه شئ يكرهه .

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم .. اخترق الصفوف .. اخذ حفنة من التراب وألقاها عليهم .. أبصارهم أخذها الله فلا يرونه .. وهو يتلو " وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون " .. لم يبق منهم رجل واحد إلا وعلى رأسه تراب من الذي ألقاه عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول " شأهت الوجوه " .

مضى إلى بيت أبى بكر .. خرجا من خوخة في الدار .. دليلهما عبد الله بن أريقط من بنى بكر .. يعلم أن قريشا ستجد في طلبهما .. لم يسلك الطريق الذي تسلكه القوافل إلى المدينة .. سلك الطريق المضاد جنوب مكة .. اتجه نحو اليمين .. بعد خمسة أميال بلغ جبل يعرف بجبل ثور .. هو جبل شامخ .. وعرا الطريق .. صعب المرتقي .. ذا أحجار كبيرة .. حفيت قدما الرسول وهو يرتقيه .. تؤكد الروايات التاريخية أن أبى بكر حمله حتى وصلا إلى قمة الجبل .. دخلا غارا عرف بغار ثور.

بقى صناديد الكفر أمام بابه .. جاءهم رجل ممن لم يكن معهم .. رآهم بالباب .. قال ما تنتظرون ؟ .. قالوا محمدا قال خبتم وخسرتم .. قد مر بكم والله .. ذر على رءوسكم التراب .. أنطلق لحاجته .

قالوا " والله ما أبصرناه .. نفضوا التراب عن رءوسهم .. تطلعوا من ثقب الباب .. رأوا عليا .. قالوا " والله هذا محمد نائما .. عليه برده " .. لم يبرحوا مكانهم حتى ظهر الصبح وقام على من فراشه .. قالوا " صدقنا من

حدثنا " .. سألوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ..
قال: " لا علم لي به " .

ذهبوا إلى دار أبي بكر .. وقفوا على الباب .. خرجت
إليهم أسماء .. سألوها عن أبوها .. قالت " لا أعلم " ..
رفع أبوجهل يده فاطم خدها لكمة طرح منها قرطها .

أبى أبوبكر أن يدخل الرسول الغار .. إلا بعد أن يدخله
للاطمئنان على خلوه من الزواحف والسباع .. دخله
فكسحه ووجد في جانيه ثقباً فشق إزاره وسدها به .. بقى
منهما اثنان فألقمهما رجليه .. ثم دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ونام .. لدغ أبوبكر
في رجله من الثقب .. لم يتحرك .. خشي أن يستيقظ
رسول الله .. سقطت دموعه على وجه الرسول .. سأله "
مالك يا أبا بكر ؟" .. قال " لدغت .. فداك أبى وأمي " .. تفل
الرسول صلى الله عليه وسلم ومسح مكان اللدغ فذهب ما
يجده صاحبه .

بقيا في الغار ثلاثة ليال .. يبيت عندهما عبد الله بن
أبى بكر .. في السحر يهبط إلى مكة .. يتسمع الأخبار ..

يأتيهما وسط الظلام ليلا ليخبرهما بما سمع .. يحتاط بعامر
بن فهيره مولى أبى بكر يرعى الغنم فتخفى آثار أقدامه ..
وفى العشاء يريحها بجوار الغار ويعطيها اللبن فيشربان
حتى يرتويا .

جن جنون قريش .. لا تعرف طريق الرجلين .. الخطر
الذي خافا منه يتمثل أمامهما واقع .. محمد وصحبه تمكنا
من الفرار .. سيلحقان بأصحابهما وأنصارهما في المدينة
.. ثم يكرا عليهم طلبا للقصاص .

قرروا استخدام كافة الوسائل للقبض عليهما .. وضعت
جميع الطرق من مكة إلى مختلف الجهات تحت المراقبة
المسلحة الشديدة .. رصدت مكافأة ضخمة بلغت مائة ناقة
لمن يعيدهما إلى قريش .. سواء كانت في أجسادهما الحياة
أو بدونها ..

جد الفرسان والمشاة وقصاصو الأثر في الطلب ..
انتشروا في الجبال والوديان والوهاد والهضاب .. دون
جدوى .

وصلوا إلى باب الغار .. لكن الله غالب أمره ..
أقدمهم يراها محمد وصحبه .. لو طأطأ بعضهم رأسه
لشاهدهما .. حدث أبوبكر صاحبه فزعا .. طمأنه انهما
والله ثالثهما .. رجع المطاردون وهم على بعد خطوات
منهم .

خمدت نار الطلب .. توقفت دوريات التفتيش .. هدأت
ثائرات قريش .. تهيأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحبه للخروج إلى المدينة .. أتتهما أسماء بنت أبي بكر
بالطعام .. نسيت أن تجعل رباطا تحمل فيه .. لما ارتحلا لم
تجد ما تعلق فيه الطعام .. حلت نطاقها وشقته إلى أثنين ..
علقت الطعام بأحدهما والآخر أمسكت به ثيابها .. ومن
يومها سميت "ذات النطاقين" .

أرتحل محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه ..
صحبهما عامر بن فهيره و دليلهما عبد الله بن أريقط
وكان على دين قريش .. أول ما سلكوا عقب خروجهم من
الغار توغلا في اتجاه صوب اليمن .. وصلوا إلى طريق لا

يعرفه الناس .. اتجه بهم شمالا على مقربه من البحر الأحمر .. ثم سلك بهم طريقا لم يكن يسير فيه أحد إلا نادرا يروى أبو بكر الصديق ما حدث عقب الخروج من الغار .. يقول : أسرينا ليلتنا حتى ظهيرة اليوم التالي .. خلا الطريق لا يمر فيه أحد .. وجدنا صخره طويلة لها ظل لم تأت عليها الشمس .. نزلنا عندها .. سويت للنبي صلى الله عليه وسلم مكانا بيدي .. نام وبسطت عليه فروه .. خرجت أتفقد ما حوله .. أقبل راع بغنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذي أردنا .. سألته " أفي غنمك لبن ؟ " قال : نعم .. سألت أن يحلب .. أخذ شاه بعدما طالبتة بأن ينفض الضرع من التراب والشعر والقذى .. حلب اللبن وقدمته للنبي صلى الله عليه وسلم .. شرب حتى رضيت .. ثم قال " ألم يأن الرحيل ؟ " .. قلت " بلى " .. قال: فارتحلنا .

تبعهما في الطريق سراقه بن مالك .. يقول " بينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بنى مدلج .. قدم رجل منهم حتى وصل إلينا ونحن جلوس .. حدثني بأنه رأى أسوده بالساحل .. يرى أنها محمدا وأصحابه فعرفت أنهم

هم لكنى ضلّته .. بعد ساعة قمت من المجلس وركبت فرسي وأخذت رمحي وتبعتهما .. دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها .. قمت واستخرجت الأزام واستقسمت بها "أضرهم أم لا" .. فخرج الذي أكره .. عصيت الأزام وركبت فرسي تقرب بي منهم .. حتى أنى سمعت محمدا وهو يقرأ ولا يلتفت وأبو بكر يكثر الألتفات .. ساخت قدما فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها .. ثم زجرتها فنهضت .. لم تكد تخرج قدميها إذ لأثرهما غبار ساطع في السماء مثل الدخان .. استقسمت بالأزام فخرج الذي خرج من قبل فناديتهم بالأمان .. وقفوا حتى جئتهم .. وقع في نفسي ما لقيته أنه سيظهر أمر رسول الله .. فقلت له أن قومك جعلوا فيك الدية وأخبرته عرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يسألاني .. لكنه قال "أخف عنا" .. سألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيره فكتب لي رقعته من آدم ثم مضوا .. فكنت أول النهار جاهدا عليهما وأخره حارسا لهما.

مروا في مسيرتهم بخيمة أم معبد الخزاعيه .. كانت
أمرأه جلد تحتمي بفناء الخيمة .. تطعم وتسقى من مر بها
.. سألاها : هل عندها شئ ؟ .. قالت " شاه خلفها الجهد
عن الغنم " .. قال " أتأذنين لي أن أحلبها ؟ " .. فقالت نعم
.. أن رأيت بها حلب فأحلبها .

مسح الرسول صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة
ضرعها .. سمي الله ودعا .. تفاجت ودرت .. دعا بإناء
حلب فيه حتى علته الرغوة فسقاها .. شربت حتى رويت
.. سقى أصحابه حتى روا .. شرب .. ثم حلب فيه ثانيا
حتى ملأ الإناء .. بعدها غادروها وارتحلا .

جاء زوجها يسوق أغناما عجافا يتساوكن هزالا .. لما
رأى اللبن عجب .. سألها " من أين لك هذا ؟ .. والشاه
عازب ولا حلوب في البيت ؟! " .. قالت " مر بنا رجل مبارك
ووصفته " .. قال أبو معبد " والله هذا صاحب قريش الذي
ذكر أمره .. لقد هممت أن أصحبه ولأفعلن أن وجدت إلى
ذلك سبيلا " .

في الطريق لقي النبي صلى الله عليه وسلم أبا بريده .. كان رئيس قومه .. خرج في طلبه رجاء الفوز بالمكافأة الكبيرة التي أعلنتها قريش .. عندما واجه الرسول وكلمه أسلم مكانه مع سبعين رجلا من قومه .. نزع عمامته وعقدها برمحه .. اتخذها راية تعلن أن ملك الأمن والسلام جاء ليملا الدنيا عدلا وقسطا .

كما لقي الزبير في ركب من المسلمين عائدين في قافلة من الشام .. كسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثيابا بيضاء .

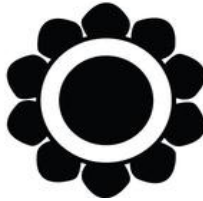
في المدينة المنورة يستعد المسلمون لاستقبال النور الذي يضيئ الدنيا .. يخرجون كل صباح .. ينتظرونه حتى يردهم الحر .. عادوا يوما بعدما طال انتظارهم .. لما أووا إلى بيوتهم وقف رجل من يهود على مرتفع ينظر إلى أمر له .. شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مقبلين يزول بهم السراب .

لم يملك اليهودي أمره .. قال بأعلى صوته " يا معشر العرب .. هذا جدكم الذي تنتظرون " .

سمعت الرجة والتكبير في بنى عمرو بن عوف .. كبر
المسلمون فرحا بقدومه .. خرجوا للقاءه .. تلقوه وحيوه ..
أحدقوا به .. طافوا حوله .. كان ذلك يوم الاثنين من شهر
ربيع الأول وعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة
وخمسين عاما .

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنى عمرو
بن عوف .. جلس الرسول صامتا والأتصار الذين لم يروه
من قبل يجيئ أبا بكر .. حتى أصابت الشمس الرسول فأقبل
أبو بكر يظلمه بردائه .. فعرف الناس رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند ذلك .

كان يوما مشهودا .. أنتصر فيه الإسلام .. بدأ عصرا
جديدا .



دولة الإيمان..

انقشعت دياجير الظلام .. انمحي سترها .. انبلج
الفجر .. بزغ ضوء الحق ساطعا .. واضحا .. دولة الإيمان
تتضح معالمها .. تبدأ الأسس في التكامل للانطلاق في
البناء لتسود العالم وتنشر رسالة الإسلام والتوحيد .

بدأت هذه الدولة يوم وصول رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصحبه قباء .. نزل على كلثوم بن الهمد ..
بقي فيهم أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ..
أسس مسجد قباء وصلى فيه .. في اليوم التالي لأقامته
وهو يوم الجمعة ركب وأبو بكر ردفه .. أرسل إلى بنى
النجار " أخواله " .. جاءوا متقلدين سيوفهم .. ساروا نحو
المدينة .. أدركتهم الجمعة في بنى سالم بن عوف .. أدوها
في المسجد ببطن الوادي وكانوا مائة رجل .

بعد الجمعة .. دخل النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة المنورة .. أستبدل أسم " يثرب " بهذا الاسم الجميل
.. لا يمر بدار من دور الأتصار إلا أخذوا خطام راحلته ..
يدعونه إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة .. فيقول لهم "
خلوا سبيلها فإنها مأموره " .. لم تزل سائرة حتى وصلت

إلى موضع المسجد النبوي الحالي فبركت .. نزل عنها وكانت ديار بنى النجار " أخواله " بتوفيق من الله .. فانه أحب أن يكرمهم بذلك .. سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم " أي بيوت أهلنا أقرب ؟ " .. قال أيوب " أنا يا رسول الله .. هذه دارى وهذا بابي " .. قال " أنطلق فهي لنا مقيلا " .

أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم لبناء دولة الإيمان هو تشييد مسجده .. في المكان الذي بركت فيه ناقته أمر بالبناء .. اشترى الأرض من غلامين يتيمين .. ساهم في بنائه بنفسه .. ينقل الحجارة وهو يقول " اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة .. فاغفر للأتصار والمهاجرة " .. في هذه الأرض كانت قبرا للمشركين أمر فنبشت .. وفيها خرب سويت .. ونخل قطعت وصفت في قبلة المسجد .. أقيمت الحيطان من اللبن والطوب .. السقف من الجريد .. أعمدته من جذوع النخل .. فرش بالرمال والحصباء .. فتحت فيه ثلاثة أبواب .. طوله من القبلة إلى المؤخرة مائة ذراع .. شيدت إلى جواره حجرات من اللبن سقفت بالجذوع والجريد لنساء النبي صلى الله

عليه وسلم .. بعد تكاملها أنتقل إليها الرسول صلى الله عليه وسلم من دار أبى أيوب

شيد جامعه يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته .. ليس موزعا لأداء الصلوات فقط .. أصبح منتدى تلتقي فيه القبائل التي طالما تنافرت .. قاعدة لإدارة شئون الإسلام والمسلمين .. برلمانا لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية .. دارا يسكن فيها فقراء المهاجرين الذين لا دار لهم ولا مال ولا أهل ولا بنون.

فضله ثابت من دلائل كثيرة وقاطعة الثبوت .. أنه أول مسجد أسس على التقوى .. من المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها .. صلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه عدا المسجد الحرام بمكة المكرمة .. فيه قطعة من الجنة وهى بين المنبر وبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بعد الفراغ من تشييد بيت المسلمين ومسجد رسولهم الأمين بدأ ما شهد التاريخ الانسانى بعظمته .. لم تشهد هذه أي مدنيه أخرى في العالم .. الهام رباني ساعده في

التنفيذ .. أرشده عن الكيفية .. وجهه إلى السبل المثلي
لبداية تأسيس دولة الإيمان .

هذا العمل هو عقد معاهده بين المهاجرين والأنصار ..
دعا فيه اليهود .. عاهدهم واقرهم على دينهم وأموالهم
واشترط عليهم وشرط لهم .. تضمن الكتاب أن المسلمين
من قریش ويثرب ومن تبعهم أمة واحدة دون الناس ..
تذوب بينهم عصبية الجاهلية .. لا حمية إلا للإسلام ..
تذوب فوارق النسب واللون والوطن .. لا يتقدم أحد ولا
يتأخر الا بمروءته وتقواه .. أخوة نافذة لا لفظا فارغا ..
عملا يرتبط بالدماء والأموال .. لا ثرثرة بالألسن لا يقوم
لها أثر .. مما أفرز أروع الأمثال وأندرها .

آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين
والأنصار .. عقدت في دار أنس بن مالك .. تسعون رجلا
.. نصفهم من المهاجرين .. نصفهم الآخر من الأنصار ..
آخى بينهم على المواساة .. يتوارثون بعد الموت حتى
غزوة بدر .. رد التوارث وبقي عقد الأخوة

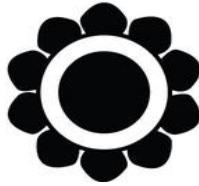
تؤكد كتب السيرة أن المهاجرين لم يستغلوا حفاوة
الأنصار بهم وتضحيتهم و إيثارهم بكل غال ونفيس .. لم
ينالوا منهم إلا بقدر ما يقيم أودهم .. روى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم آخى بين عبد الرحمن وسعد بن
الربيع .. فقال لعبد الرحمن : أنى أكثر الأنصار مالا ..
سأقسم مالي نصفين .. لي امرأتان .. فأنظر اعجبهما إليك
فسمها لي أطلقها .. فإذا أنقضت عدتها تزوجها .. فقال
عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك .. دلني على
السوق ؟.

دله على سوق بنى قينقاع .. فعاد منه ومعه أفضل سمن ..
ثم تابع الغدو .. وجاء يوم به اثر صفرة فسأله رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن السبب .. فقال تزوجت .

بهذه المثل استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن
يبنى في المدينة دولة الإيمان .. أشرف مجتمع عرفه
الوجود .. وضع حلولاً لمشاكلهم وصلت بالإنسانيه إلى
أرقى مراتب البشرية .. بعدما عانت كثيرا من غياهب
الزمن ودياجير الظلام .

أقرب من جاور مسلمي المدينة هم اليهود .. أبطنوا
العداوة للمسلمين .. لكنهم لم يظهروها .. عقد معهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم معاهده .. ترك لهم فيها مطلق
الحرية في الدين والمال .. أهم بنودها تضمنت أن بينهم
النصر على من حارب أي من الطرفين .. بينهم أيضا
النصح والبر دون أثم .. لا يأثم أي طرف بحليفه وينتصر
للمظلوم .. اتفقوا على أن المدينة حرام وإذا حدث شجار
بينهما فمردده إلى الله ورسوله .

بعد إبرام هذه المعاهدة أصبحت المدينة وضواحيها
دولة وفاقية .. عاصمتها المدينة وزعيمها رسول الله
صلى الله عليه وسلم .. الكلمة النافذة فيها والسلطان
الغالب للمسلمين .. بهذا بزغت إلى الوجود دولة الإيمان .



وتبقى كلمة..

مهمة الرسول الأولى هي البلاغ .. كل رسول أرسل إلى قوم كان عليه أن يبلغ دعوته إلى قومه .. كما يقول القرآن الكريم " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل " .. ويقول لمحمد " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته " . يقول محمد صلى الله عليه وسلم " بعثت إلى الأحمر والأسود " ، "أرسلت إلى الناس كافة وبي ختم النبيون " ، " أنا رسول من أدركت حيا ومن يولد بعدى " .

قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاثة عشر عاما يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .. لم يؤمن به إلا نحو ثلاثمائة .. وقفت قريش عقبة في سبيل دعوة الإسلام .. تحاربها .. تناصبها العداء .. تتفنن في إيذاء المسلمين .. تفتنهم .. تبذل كل ما يمكنها عمله لكي لا يؤمن به أحد.

عندما أراد عدد من المسلمين الفرار بدينهم إلى الحبشة .. أرسلت قريش رسلها في طلبهم .. بذلت كل جهدها وأموالها لتتسلمهم .. تعيدهم إلى سيرتهم الأولى ..

لولا أن عصم الله المؤمنين منها بعدل حاكم الحبشة وحكمته .

عندما آن لنور الحق أن يسطع .. يكتب للإسلام كلماته الخالدة .. ساق الله إلى مكة وفد يثرب .. التقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم .. سمعوا منه .. تفتحت قلوبهم لنور الإيمان .. أعلنوا كلمة الشهادة .. بايعوه على أن يمنعوه .. حتى يبلغ رسالات ربه إلى الناس .. عندها .. تزلزلت قريش .. اضطربت لهذه البيعة .. بذلت كل جهدها لإفشال هذه البيعة .. أرسلت الوفود إلى الأنصار تحاول استرداد بيعتهم .. عجزت .. لهذا حاولت منع المؤمنين من الهجرة إلى يثرب .. لم يستطع الهجرة إلا الأقوياء .. أو تسللا تحت ستر الليل .. في غفلة عن العيون .. المستضعفون من الرجال والنساء والأولاد بقى أكثرهم في مكة حبيسا .. يقاسى من ظلم قريش وعدوانها .

على أن هذا كله لم يشف غل قريش .. لم يذهب بغيط قلوبها .. أخذوا يدبرون المكائد .. يأترون برسول الله ليقتلوه .. تدعى أنها تفعل كل هذا للحفاظ على دينها ..

وهو غير الصحيح تماما .. فالكثير من شباب قریش لا يتمسكون بدينهم .. لا ينظرون إلى آلهتهم نظرة التقديس والإجلال .

لم يكن حرص قریش على دينها .. بل الحرص على كيانها .. لم تكن تدافع عن عقيدة .. إنما كانت تدافع عن سيادتها .. لذا وقفت تقاوم دعوة الحق .. تحاول أن تمنعها من الخروج عن مكة .. فلما تسربت رغما عنها إلى يثرب .. صار لها هناك أنصار وأعوان .. أدركت قریش أن هناك خطرا .. أيقنت أن الخطر لا بد واقع .. إذا لم تتدارك أمرها بأسرع ما تستطيع .. اعتزمت أن تقضى على محمد .. قبل أن يلتحق بأصحابه وأنصاره في المدينة .

لم تكن قریش تريد القضاء على محمد لأنه محمد .. إنما للقضاء على دعوته الخطيرة .. خيل إليها أنه باعث الدعوة ومصدر الخطر فيها .. في القضاء عليه قضاء على دعوته .. غاب عنهم أنه ليس إلا رسولا .. كما أن الله الرحيم عصمه من البشر .. تكفل لرسوله بأن يعصمه من

الناس .. حتى يبلغ رسالته .. لذا صرف عنه كيد قريش ..
هياً له سبيل الهجرة بدعوته إلى يثرب .
لم تكن هجرته فرارا بنفسه .. إنما فرارا بدعوته
الحبيسة .. وقفت قريش ضدها .. حالت بينها وبين الظهور
والانتشار .. لم تتركه قريش آما ينشر دعوته كما يشاء
وحيث شاء .. إن نجاحه قضاء مبرم على كيان قريش ..
لذا استمرت تطارد الدعوة في المدينة .. كما كانت تطاردها
في مكة .

ضاعفت قريش جهودها .. بذلت كل وسعها لكي تجمع
العرب على محاربة هذه الدعوة .. حرصت القبائل المحيطة
بالمدينة على المسلمين .. ألبت عليهم أعداء الإسلام في
داخلها .. قضى المسلمون أيامهم الأولى في المدينة بين
حذر وخوف .. يترقبون في كل لحظة عدوا يهاجمهم من
الخارج .. أو يفاجئهم من الداخل .

وسط هذا الجو الملبد .. الذي يعيشه المسلمون .. هل
يمكن أن تسير الدعوة بدون قوة تحميها ؟ .. الأعداء
يحيطون بها من كل جانب .. يترصدون بها الدوائر .. لم

يكن ذلك ممكنا بالطبع.. طبيعيا أن يحموا دعوتهم ..
يدافعوا عنها .. لذا أذن الله للمؤمنين أن يقاتلوا في سبيل
دعوتهم .. قال سبحانه " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ،
وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم
بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر
فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى
عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا
الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، والله عاقبة
الأمر " .

بهذا أذن الله للمؤمنين أن يقاتلوا من ظلمهم وأخرجهم
من ديارهم .. لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالله وحده .. بين لهم
أن الدفاع عن العقيدة هو الشيء الطبيعي لحمايتها .. حتى
يتمكنوا من إقامة شعائرهم الدينية .. ينشروا الصلاح ..
يقضوا على الفساد .. وعدهم النصر والتأييد على إعلاء
كلمة الحق .

يحلو لهم أن يصفوه بأنه دين حرب وعنف وغزو
 وقتال .. جعلوا من الغزوات أكبر الحجج لدعم ما يقولون
 إن الإسلام دعوة خير .. يخاطب العقول والأفهام .. لم
 يتخذ السيف ويشرع القتال إلا دفاعا مشروعا عن الخير ..
 لا يبدأ العدوان ولا يقهر أهل دين سماوي ويكرههم في
 الدخول فيه ماداموا يرضون بالتعايش السلمي .. الآيات
 الكريمة تؤكد " لا أكره في الدين قد تبين الرشد من الغي
 .. أمر سبحانه نبيه والمسلمين " أدع إلى سبيل ربك
 بالحكمة والموعظة الحسنة" .. ظلت الدعوة في مكة ثلاثة
 عشر عاما يصبر فيها الداعي وأصحابه على الأذى ..
 يقيمون الشعائر في الخفاء .. قلوبهم أقوى من كل حديد
 .. عزيمتهم أقوى من كل نار وحرارة يكونون بها ويسجرون
 فيها .. ذاق النبي من الكيد صنوفا .. أصحابه لاقوا الكثير .
 لم يكن أحد أعظم من الرسول صلى الله عليه وسلم
 وهو يمر بأسرة كاملة من المسلمين المستضعفين ..
 يعذبون جميعا في سبيل الله .. لا يرضى فرد واحد منها أن

يطيع معذبيه .. يقول لهم الرسول " أصبروا آل ياسر ..
موعدكم الجنة " .

بايع الأنصار الرسول الكريم .. رجحت كفة الإسلام
عقب الهجرة .. أذن الله للمسلمين بالقتال دفاعا عن
أنفسهم وأموالهم إذا ظلموا .. وعدهم أن يغلبوا إذا لم
يكونوا من المعتدين .. أذن من الله وفيه الوعد بالنصر .

استعد الأنصار والمهاجرون .. أدب النبي صلى الله
عليه وسلم أصحابه بسلوك القرآن .. طالبهم ألا يقتلوا
شيخا فانيا ولا صغيرا ولا امرأة .. تعليماته ألا يجهز على
جريح ولا يتبع مولى ولا يطعن مدبر ولا يقتل أسير .. من
ألقى السلاح فهو آمن .. من أغلق بابه فهو آمن .. في هذه
الدائرة الضيقة من مشروعية القتال أعد المسلمون أنفسهم
.. لا طمعا في غنيمة .. ولا سعيًا لنصر .. أستوي عندهم
الفوز والاستشهاد .. سعوا إلى الآخرة فكتبت لهم الدنيا .

لم تكن قریش هي العدو الوحيد .. بل هناك اليهود ..
منافقو المدينة وما حولها .. المشركون من أهل المدينة
ومن قبائل العرب .. هؤلاء جميعا أعداء لدعوة الإسلام ..

عادوها للحرص على المكانة .. عادوها بدافع العصبية..
منهم من أندفع بتحريض من غيره .. منهم من عاداها
حسدا وبغيا.. أو زيفت لهم أصولها وشوهت لهم معالمها
.. فهو يعاديه دون الوقوف على حقيقتها .

قريش عارضت الدعوة .. لأنها تعارض رفاهيتها
وسيادتها .. اليهود كانوا أولى الناس بمحمد وأن يصدقوه
.. موافقا لكل ما يعرفون من صفته في التوراة .. لكن
طبيعة الأثرة غلبت عليهم .. عز عليهم أن يكون هذا النبي
من العرب .. لا من اليهود .. ينازعهم المكانة الدينية ..
تشاركهم أمة أخرى في هذه الميزة .. أنهم يمتازون بها
على العالمين .. لهذا شككوا في نبوته ودينه .. قالوا : أنه
ليس الرسول المنتظر .. دينه ليس المبتغى .

المنافقون الذين قالوا بأفواههم آمنا ولم يؤمنوا ..
كانوا يصلون كما يصلى المسلمون .. يصومون كما
يصومون .. يشاركون في كثير من الشعائر .. ظاهر أمرهم
مسلمون .. لكن قلوبهم تضرر العداوة والبغضاء للإسلام
وأهله .. فريق منهم يبغض الإسلام لما فوت عليه من

المصلحة الخاصة .. فريق يستمع لتشكيك اليهود في الرسول وفي دعوته .. فريق ثالث يرى أنهم دخلاء على المدينة ينبغي ألا يبقوا فيها .. لما رأوا قوة الإسلام تزداد وسلطانهم يتمكن تظاهروا في الدخول في صفوف المسلمين .. يتعرفوا على أسرارهم .. يقدموها لأعدائهم .. فكانوا أشد خطرا على الإسلام من اليهود والمشركين .

أما الأعراب الذين يحيطون بالمدينة .. أقاموا في الطريق بين مكة والمدينة .. انتشروا في شرق الجزيرة العربية وغربها وجنوبها وشمالها .. لا يزالون على شركهم .. يعبدون الأوثان .. استغلت قريش سلطانها الديني عليهم .. حرضتهم على الإسلام .. بثت في نفوسهم العدواة لمحمد وصحبه .

وجدت قريش في شرك المشركين .. وفي نفاق المنافقين من المسلمين .. وفي عداوة اليهود للإسلام ورسوله .. وجدت مددا يمكن استغلاله في القضاء على دعوة الإسلام .. سعت لذلك .. ضاعفت جهدها .

لم يغب الأمر عن فطنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أدبه وعلمه ربه .. طلب من الأتصار قبل الهجرة أن يكونوا يدا واحدة على من يحارب المسلمين .. فقريش لن تتركه آمنا في مكانه .. لن يهدأ لها بال حتى تقضى عليه وعلى دعوته .. حتى ترد المسلمين إلى الكفر وتسترد زعامتها الدينية.

لهذا الأسباب مجتمعة شرع الله القتال .. أذن للمسلمين أن يقاتلوا عدو الله وعدوهم .. لم يكن رأى لمحمد بمفرده أو مشورة أحد من صحبه .. بل إرادة إلهية وتشريعا سماويا .. ولمن يحلو له أن يتشدد بأن الإسلام ظهر بحد السيف نقول أن الله لم يأذن للقتال .. إلا للدفاع عن عقيدتهم .. حماية لها ممن يعتدي عليها .. في حدود الدفاع عن العقيدة وحمايتها .

المبدأ العام في ذلك قوله تعالى " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم " .. فمن اعتدى على المسلمين بالقتال قاتلوه .. غاية القتال ألا يفتن المسلمون عن دينهم .. ألا يخرجوا من ديارهم .. ألا يستذلوا في

أوطانهم .. أن يعز دين الله ويمتنع عن الأذى والفتنة وأن
يظل سبيله حرا لمن أراد .

أن يكون القتال كله في سبيل الله .. غايته إعلاء كلمته
.. نصر دينه .. أن تكون تقوى الله هي شعار المؤمن .. لا
أكراه في الدين .. ليست للغنائم والأسلاب والمنافع ..
ليست للقهر والغلب والاستغلال .. ليست للاستعباد والتجبر
والإذلال .. ليست للمباهاة والفخر والسيادة .. إنما هي
للدفاع عن حرية العقيدة وعن كرامة المعتقدين .

أما العقيدة نفسها .. فلم يكن القتال وسيلة لإكراه
الناس على اعتناقها .. فشأن العقيدة بطبيعتها تأبى الإكراه
.. لا يمكن أن تستقر في النفس عن طريقه .. إنها فكرة
يؤمن بها القلب عن طريق الرغبة .. يؤمن بها العقل عن
طريق الإقناع .. لم تكن القوة قط وسيلة إلى الإقناع ولا
سبيلا إلى الرغبة .. بين الله هذه الحقيقة فقال سبحانه " لا
إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي " .. كما قال "
وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر "
.. حدد للرسول مهمته بقوله " إن عليك إلا البلاغ " ..

حذره من إكراه أحد فقال " فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر " .. " أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " .. عاتبه حين شغله الحزن لعدم إيمان قومه فقال " لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين " .

إذن لم تكن القوة وسيلة من وسائل الإسلام لإكراه الناس على اعتناقه .. إنما كانت القوة لمدافعة أهل القوة .. لتأديب أهل البغي والعدوان .

العقيدة أعز ما يعتز به الإنسان .. أغلى ما يحرص عليه في حياته .. أنها الفرق بين الإنسان والحيوان .. من اعتدى عليها إنما هدم صاحب العقيدة .. ألغى وجوده كله .. عرف الإسلام العقيدة .. قدرها .. جعلها فوق الحياة ذاتها .. جعل الاعتداء عليها أشد جرما من الاعتداء على الحياة .. كانت حماية المؤمنين لعقيدتهم شيئا لا مناص منه .. ضرورة تحتمها الكرامة الإنسانية .. يلزم بها الوجود الانساني كله .

حربه ضد النفاق..

تحدى الله تعالى الأئس والجن في القرآن .. قال الحق سبحانه " قل لئن اجتمعت الأئس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " .. وقال سبحانه " أم أفتراه قل فأتوا بسورة من مثله وأدعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين " .

..

الأئس .. قاوموا الرسول .. جَاهروه بالعداء .. حاولوا منع الناس عن الدخول في الإسلام .. تأمروا على قتل الرسول .. أحبط الله أعمالهم .. بقى أن يستعينوا بقوة أخرى .. كانت هذه القوة هي الجن .. تحداهم الله بفشل الجن أيضا .. ليعرفوا جميعا أئس و جن أنهم لن ينالوا من الرسول .

استعانوا بالسحر .. أرشده الحق سبحانه وتعالى على أنهم سحره .. ارشد عن مكان السحر ومن سحره لتعرف الدنيا كلها .. ان الذي أرسله حافظه .. انه تحدى من الله لجميع الخلائق أن ينالوا من الرسول .. لكن أخبرهم أن

فشلهم معروف ليؤكد انه أرسل للاثنتين أنسا وجنا هاديا وبشيرا .. أبطل مفعول السحر وأستمر يدعو إلى الإسلام .
 المسألة ليست على رسول الله .. إنما هي لله وحده ..
 ثبت لنا أن الجن دخلوا التحدي ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الله نصره .. تعرض الرسول الكريم إلى سحر من نوع السحر الذي تعرض له موسى عليه السلام وهو سحر التخييل يؤثر على العين وحدها ولا يؤثر على القلب والعقل وباقي الجسد .. فيه قال تعالى " ما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله " ...

لكن من هم الأنس الذين تزعموا هذه الحرب ضد الرسول صلى الله عليه وسلم .. أنهم يهود المدينة ومن جاورها .. عاونهم أئمة الكفر من قريش .

بنو إسرائيل .. أنهم القوم الذي أنعم الله عليهم .. جعل فيهم أنبياء وملوك .. آتاهم مالم يؤت أحدا من العالمين .. نجاهم من فرعون .. تجلى لهم بآيات بينات بفلق البحر .. فجر لهم العيون .. أرسل عليهم المن والسلوى .. عفي عن ظلمهم وكفرهم .. مكن لهم في

الأرض .. جعل لهم دولة وملك .. من أنبيائهم سليمان و
 زكريا ويحيى والمسيح عيسى عليهم السلام .. بدأ
 تسلسلهم بيعقوب نبي الله وابنه يوسف وموسى وهارون .
 إلا أن الله غضب عليهم .. ارتكبوا من الأفعال ما ذكر
 في القرآن .. اعتقدوا أنهم شعب الله المختار مهما أوتوا
 من موبقات .. اغتروا بما أنعم الله عليهم من الإيثار
 والعلم .. ركنوا إلى ذلك فشاعت فيهم الفاحشة والإثم ..
 استغلوا العلم .. كتموه عن الناس .. بدلوا وجادلوا بالباطل
 واستخدموه في غير موضعه وفي طلب الدنيا وقتل دعاة
 الخير .. مما جعل الله يصفهم بالكفر والشرك والنفاق .
 أنهم أخطر أنواع البشر .. يلبسون الحق بالباطل ..
 يضلون الناس .. ظنوا أن اختيار الله لهم سيظل ولو ساء
 حالهم وبعدوا عن الحق .. انقضى عنهم سبب التفضيل
 بالآثام التي ارتكبوها والفساد الذي استشرى بينهم ..
 غلظت قلوبهم وأصبحت قاسية .. قويت نفوسهم واعتادت
 الشر ولم تعد تتردد في ارتكاب الموبقات.

يهاجر رسولنا وصحبه إلى المدينة المنورة .. يحيا
وسط العديد من البطون .. منهم الأوس والخزرج وبنو
إسرائيل .. نزع الأولان ليجدا بنى إسرائيل قد سبقوهما
للإقامة في المدينة .. وجدوا في " يثرب " القرى
والأسواق والحصون .. وجدوا الأحياء والأرض والديار
والمنعة عند حدوث أي عدوان .

الغلبة في يثرب كانت لليهود .. ملكهم فرض على
الناس ألا تتزوج امرأة إلا ويدخل بها قبل زوجها .. أن
الأوان لهذا الملك أن يكتب كلمة النهاية في حياته .. كان
ذلك على يد مالك بن عجلان .. إذ عقد لأخته فدخلت على
الناس كاشفة رجليها .. فقبل لها فعلت سوء .. قالت " ما
يفعل بي الليلة أسوأ .. يدخل بي رجل غير زوجي !!".

آثار ذلك شقيقتها مالكا .. أتفق أن يتزيا بزى النساء
وعندما يختلي بملك اليهود يقتله .. نفذ تخطيطه وهرب إلى
الشام .. استثار حمية ملك بنى غار فزار برجاله وتحايل
على كبار اليهود وأحاط بهم وقتلهم عن آخرهم .. بذلك
ظهرت الأوس والخزرج على بنى إسرائيل.

بنو إسرائيل تعاضموا على الأوس والخزرج بأنهم أهل كتاب ودين من السماء .. أكدوا انه سيظهر نبي ورد في كتبهم .. إذا ظهر سينتصرون به عليهم .. رددوا على مسامعهم أن هذا الزمان هو وقت بعثته .. وقتما يخرج سيقتلونهم قتل عاد وأرم .

عمدوا إلى الدس بين الأوس والخزرج .. ليحولوا دون اتحادهم .. استحكمت العدواة بين القبيلتين .. قامت بينهما الحروب على أسباب واهية .. إنما ذكى ذلك جذوتها اليهود .. مما ضعضع قواهم وأذهب أموالهم وأفنى العديد من رجالهم وشغلهم عن اليهود.

اليهود ينتظرون نتائج معاركهم .. يحالفون المهزوم .. يدفعونه للنيل من المنتصر .. لتبقى جذوة المعارك مشتعلة لا تنطفئ أبدا .. فيضعف الجانبان ويحتفظ اليهود بالمال والأعمال تاركين لهما أحقر الأعمال .. لذلك كانت القبيلتان في حاجة إلى اليهود .

ظهر بينهم بعض العقلاء .. تزعمهم عبد الله بن أبي
سلول .. اتفقوا على فض الخلاف بينهما بأي وسيله
وتتويجه ملكا عليهم لينقذهم مما هم فيه .

النبي صلى الله عليه وسلم يهاجر إليهم .. بعدما
عرض نفسه على نفر من الأنصار فقالوا أنه النبي الذي
توعدكم به اليهود فلا يسبقتم إليه .. أجابوه فيما دعاهم ..
صدقوه وقبلوا ما عرضه عليهم من الإسلام .. عادوا إلى
بلادهم ليدخل الإسلام جميع دور الأنصار.

تشاؤروا .. تساءلوا .. إلى متى يتركون رسول الله
يطوف على القبائل ويعيش في جبال مكه ؟!.. خرج في
العام التالي سبعين رجلا .. واعدوه أن يلقيه في العقبة ليلا
.. بايعوه على السمع و الطاعة في النشاط والكسل والنفقة
في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر ويقولون الحق لا يخافون في الله لومة لائم
وينصرونه ويمنعونه مما يمنعون عن أنفسهم وأزواجهم
وأبناءهم وأن لهم الجنة .. وتمت البيعة.

أحسنوا استقباله عند دخوله المدينة المنورة .. رحبوا
بقدومه .. اشترك في الترحيب اليهود وغير المسلمين ..
حتى من أستبطن العداوة لم يظهرها .. تقبل أهلها قيادته ..
تكاملت عناصر الدولة .. صار لها إقليم تمارس عليه
سيادتها .. شعب يدين بالولاء والطاعة من المسلمين وغير
المسلمين .. أرسلت السرايا والبعوث لتأمين المناطق
المحيطة بهم .. في الداخل اجتمعوا حوله صلى الله عليه
وسلم .. في المسجد الذي بناه .. شرع لهم أمور دينهم ..
يتشاورون في دنياهم ويقضى شئونهم .

هذه الحياة لم تكن مألوفة في حياة جماعة متفرقة
الأصل مشتتة العناصر مثل أهل المدينة .. يهود المدينة
تقبلوها .. رجاء التآليف بين البطون لتصبح المدينة كتلة
واحدة تنهض بها وتصبح أعظم مركز للتجارة في المنطقة
ويتفوقون على تجارة مكة .. المسلمون تقبلوها عن رضا
وقناعة .

المنافقون تبدأ حربهم ضد الإسلام والمسلمين ..
يظهرون الصداقة .. فإذا حدث خلاف في الرأي يتحاملون

حتى تتجه الأمور وفق ما يريدون .. يفشون الدعوة إلى
 الهزيمة .. يرددون الإشاعات والأقاويل .. يهولون في
 النتائج .. يثبطون وينذرون ويشيعون القلق في النفوس ..
 فيستشرون خطرهم وتجد أساليبهم ودعاويهم صداها في
 نفوس الضعاف ممن لم تملك المبادئ قلوبهم وحديثي
 العهد بها .. فينفضون عنها وينضمون إلى المنافقين أو
 يتذبذبون بين هؤلاء وهؤلاء .

هذا ما لاقاه الرسول صلى الله عليه وسلم عقب
 هجرته إلى المدينة .. حربا من النفاق من أعنف ما عرفه
 التاريخ .. قادهما سادة حروب التهويل والدعاية من يهود
 المدينة .. ظاهرهم من استحکم الإثم في قلوبهم من الأوس
 والخزرج .. استهدفوا التآليب على الرسول صلى الله عليه
 وسلم لإحباط الإسلام والقضاء عليه وهدمه .

عمدوا إلى النيل من الإسلام .. شككوا فيما جاء به ..
 كذبوا النبي وحاولوا صرف القلوب عن الإيمان .. تظاهروا
 لترويج مذهبهم بسذاجة المتسائل البرئ .. أحيانا بتحدي
 أهل العلم فيهم .. وأحيانا آخرين يجلسون في حلقات

الرسول صلى الله عليه وسلم يفاجئونه بين الحين والآخر بأسئلة توقع الاضطراب في النفوس وتزعزع العقيدة .
قابلهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالحسنى .. إلا أنهم جابهوه بحرب شعواء من الأسئلة المغرضة التي قصدوا بها التشكيك فيه .. تعمدوا السخرية منه .. يلوون ألسنتهم عند خطابهم ويقولون " راعنا " .. يدخلون عليه ويقولون " السام عليك " .. ومعناها " الموت عليك " .. فيرد عليهم في ابتسامة خفية " وعليكم " .

تمادوا في عداوتهم .. تعددت أساليبهم .. بل لجأوا إلى السحر الأسود .. ورد عن السيدة عائشة أنها قالت " سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من زريق يقال له لييد بن الأعصم حتى كان الرسول يخيّل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله .. حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي فدعا ربه .. ثم قال " يا عائشة شعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته .. حتى أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي .. فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل ؟ .. فقال مطبوب .. قال ومن طبه ؟ .. قال لييد بن

الأعصم .. قال في أي شئ ؟!. قال في مشط ومشاطه وحف
 طلع نخل ذكر . قال وأين هو؟.. قال في بئر ذروان ..
 فأثأها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من
 أصحابه . قال يا عائشة كان ماءها بلون الحناء أو كأن
 نخبها رعوس الشياطين . فقلت يا رسول الله أفلا
 استخرجته . قال قد عافاني الله فكرهت أن أثور على
 الناس فيه شرا فأمرت بالبئر فدفنت .

زاد المنافقون اشتعالا .. خاصة عبد الله بن أبي ..
 الذي أعلن أن مناقشاته مع الرسول صلى الله عليه وسلم
 بدلت اتجاه القرآن وظهر فيه ما ذكر .. مما يؤكد انه ليس
 من عند الله بل يوجهه الرسول كيفما يشاء .. فانزل الحق
 تعالى " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو
 مثلها" .. وكانت هذه المناوشات الفكرية .. بداية الحرب بين
 الإسلام وقطيع المنافقين من سكان المدينة ومن أعلن
 الإسلام واستبطن الكفر .. نصره الله فيها نصرا مؤزرا .

زيجاته..

آثرت أن أعرض هذا الجانب الانساني والاخلاقي من حياة نبينا الكريم لتوضيح جانب مهم في حياته .. وللتأكيد على أن الرجل في بيته .. هو نفس الرجل في ساحة المعركة .. هياً البيت وأسس دعائمه .. ثم أنطلق إلى المعركة ضارباً المثل والقذوة لغيره من الصحابة والمسلمين .

المفترون تقولوا عليه - صلى الله عليه وسلم بنقيصة .. طعنوه في مروءته ومزيته الخلقية التي يعتز بها الإنسان وينأى عن نفسه درك الحيوان البهيم .. يرددون انه تزوج العديد من النساء .. يقولون عليه في افتراءات كاذبة .. يقولوا " أنه جامع الشهوة .. لا يريد أن يمنع نفسه من طلبهن .. مادامت الفرصة متاحة لما يستهويه من الإباحة " .

وأكد أن محاولتهم إظهاره بالرجل الشهواني الذي لا صبر له على النساء والمستكثر منهن .. حتى يطعنوا روحانيته .. لينالوا منه وإظهاره بمظهر البشر المتطلع إلى

التمتع بمباهج الحياة ومنها النساء . . ويتساءلون إذن كيف يكون نبيا ؟!.

الحق أن سلوكهم المعوج نال في نفوس البعض .. التي تافت إلى وجود متنفس تنهرب من خلاله من تعاليم الإسلام .. وتطلق لعقالها العنان للتمرد والتمرغ في الم لذات الدنيوية .. نسوا أن الأنبياء بشر .. والإنسان المنصرف إلى آخرته تاركاً دنياه أدنى ممن جمع الآخرة والدنيا وتفوق في سبيلها .. ضرب الله بالنبي مثلاً بالإنسان الذي عرف الدنيا وخبرها وتفوق فيها وبين سمو روحه وعمله لآخرته.

يثار تساؤل هام .. هل جمع زيجاته العديدة لأنه شهوانياً؟ .. أم جمعهن لنوع محدد من الصلة والارتباط !!.. فان كان الارتباط لتعلق بلذة المضاجعة قبل كل شئ .. فالرجل شهواني بسبب تعلقه بتلك اللذة .. أما إذا كان يرتبط بهن برباط لا يقوم على طلب اللذة .. بل يقوم ارتباطه بهن على أواصر إنسانية سامية من مودة ورحمة وبر ورعاية وتكريم للشخصية الآدمية في المرأه .. كما

يقوم على اعتبارات وظروف ودواعي تطلبها واقع الإسلام ودوافع قبلية وسياسية واضحة ومحددة المعالم .. فالرجل ليس شهواني لانتفاء صلته بالمرأة على اللذة البهيمية .. بصرف النظر عن عدد النساء اللاتي في عصمته .

صاحب الزوجة الواحدة إذا أرتبط بها بصلة تراحم وإيثار وتكريم للشخصية الآدمية في المرأة .. في هذه الحالة فالرجل ليس شهوانيا إلا بسبب نوع إحساسه وصلته بالمرأة عموما .. لا بسبب اقتصاره على امرأة واحدة .

ويكون الرجل شهواني بهيم حال ارتباطه بزوجه واحد باللذة لذاتها فقط .. فالشهوانية ليست بتعدد النساء وإنما بالرابطة التي تربط الرجل بهن ورغبته فيهن .

حال نزلاء السجون .. ليس لهم إلى أي امرأة من سبيل .. فهل ننسب سلوكهم وسكون شهوتهم بالعفة؟! .. بالطبع هذا غير منطقي ولا معقول .. فما أشد جماح شهوة هؤلاء .. كثيرا ما تدفعهم إلى الشذوذ .. فعدم اتصالهم بالنساء لا ينهض آية على عفتهم .. لأن الشهوة لديهم أحيانا متقدمة.

نفس الحال .. من لا زوجة له ولا يقرب النساء بمانع من إرادته أو ظروف خارجة عن إرادته .. فان إحساسه بالمر أه ربما لا يكون إحساس المكثرت المتعلق بلذة المضجع .. إذ يكون شهواني بصرف النظر عن احتباس شهوانيته احتباسا ظاهريا أو عدم احتباسها .. فعدم الزوجة لا يكون في قلبه - أحيانا - موضع إلا للذة المضاجعة .. تكبر عنده حتى تكون معادله لأعظم النعم .

لا يكفى التعدد إذن للقول لجموح الشهوة وسيطرتها على الرجل .. ينبغي على المتابعين تلمس الحكم من شواهد أخرى مثل سلوكه مع النساء .. كثر عددهم أو قل .. لأن المعول على نوع الصلة وبواعثها .. لا على كثرة العدد أو قلته أو انعدامه .

ليس طلب المر أه للرجل وطلب الرجل للمر أه رجسا .. اى تقاس قيمة الإنسان بتعطل وظيفته الجنسية .. فما هو طبيعي في الإنسان لا عيب فيه .. العيب ألا يلتزم في وظائف بالمستوى الانسانى فينحط إلى درك الحيوان البهيم

.. كل ما يريدہ قضاء الشهوة بأي وجه ومع أي أنثى ..
وتنقضي صلته بانقضاء الفعل .

الرجل الشهواني الذي يرتبط بالأنثى لأنها أداة لقضاء
رغبته .. قيمتها عنده رهن بما تتيحه له من درجات اللذة
.. أما من كانت المرأه عنده "ذاتا" وصلته بها الإعزاز
الشامل والمودة فطلبه لها ليس بهيميا أعمى .. بل تتوحيج
للإعزاز وتكمل للمودة في مظهرها الحسي

رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم لم يكن رجلا
هزيل الحيوية .. لكنه يملك حيويته ولا تملكه .. يستخدم
وظائفه ولا تستخدمه .. يسخرها في المستوى الذي يكرم
به الإنسان .

زوجاته التي جمع بينهن كانت تسع .. قطعاً هو عدد
ليس بالقليل .. لكن العبرة ليست بالعدد .. بل بالظروف
التي أفضت به إلى الجمع بينهن .. منها ظروف اجتماعيه
ترجع إلى الأحداث التي كان هو محوراً .. أخرى ظروف
نفسية .

قبل أن يبعث .. على مدى أكثر من ربع قرن من الزمان .. خلال فترة الشباب العارم والرجولة الفتية .. لم يكن فيها رسولنا صلى الله عليه وسلم زوجا للعديد من الحريم .. كان زوج لامرأة واحدة هي السيدة خديجة بنت خويلد .. اكبر منه بأكثر من ١٥ عاما .. لو كان أخا لشهوة فلن تكون هذه الزوجة الواحدة مقنعة لشاب في مثل سن أبنها .. ولم تكن الزوجة الواحدة فرضا مفروضا عليه والبيئة لا تعرف إلا التعدد الذي لا حصر له .. ليس للتوحد في بيئتهم يومئذ قيمة متفق عليها .. مع ذلك لم يتزوج طيلة زواجه بها سواها .. لم ينشد غيرها صاحبة أو غيره .. لم يكن صاحب لهو أو مجون كسائر نظرائه من أبناء البيوت المرموقة في قريش .. لو كان هذا سلوكه لتشدقوا به وطعنوه وطالبوه بالتعفف والاستقامة والطهر عندما دعاهم إلى الإسلام .. فما أسكتهم وقتها إذا كان شهوانيا أو صاحب مجون .. وما فعلوا إلا انه كان على النقيض .. مشهورا بال التزام العفة والطهر والبعد عن الشبهات .

قالوا — وقولهم الكذب — انه لم يفعل شيئا من ذلك عن جبن ومصانعه لهذه السيدة الثرية التي عرف معها الرخاء واليسر وهى أقاويل باطله .. فالرسول صلى الله عليه وسلم تزوج في سن الخامسة والعشرين من العمر وهى ليست سن صغيره في بيئة شبه بدويه .. فهي سن متأخرة للزواج .. ومع انه كان معروفا الوسامة .. لكن حياته إلى أن تزوج كانت خاليه من المغامرات المعهودة في وقته .. على غير المؤلف كان حيايا منطويا مستقيما .. لقب " بالأمين " لهذا السبب .. الأمانة التي بهرتهم كانت في المال والأعراض والذمم .

إن القوة النفسية التي تجعل صاحبها يصمد لإغراء المال أو الكسب الحرام — وهو فقير — .. هي بعينها التي تمنع صاحبها من الزلل عند إغراء الجنس أو اللذة الحرام .. قوته الكامنة بداخله هي التي ألزمته حدودا لا يكثرث لها الناس في بيئته .. حدود العفة في الجنس .. الامانه على العرض .. لا زوجة له ولا رقابه ولا إلزام من العرف بالعفة .. لكنه كان العفيف الأمين .. يضمن بنفسه من

خساسة الفحش والفجور .. محمد صلوات الله وسلامه عليه الشاب الوسيم غير المتزوج فرضت عليه نفسه حدودا رعاها الله سبحانه وتعالى لإعداده للرسالة السامية .. عفة غريبة في تلك البيئة قبل الزواج .. على اكتمال في الشباب .. وسامة في الخلق .. سهولة المأثى لمن شاء أن يتخذ إلى لذته سبيلا .

ما القول إذن !!.

ألا يتفق هذا مع عفته وقد تزوج وعاش سنوات أخرى عديدة مثال للعفة والطهر .. يخلص لزوجته ويرعى مصالحها وشئون تجارتها .. أنها تصرفات تتفق مع سجاياه السابقة وليست شيئا مبتدعا .

وما يقولون انه تحمل .. حتى إذا ماتت خديجه انطلق على سجيته في طلب النساء .. لا يحده مانع ولا رادع .. فهي أقاويل أجراها الشيطان على ألسنتهم للطعن في أشرف الخلق .. فمن المعروف أن خديجه هي التي سعت إلى الزواج منه صلى الله عليه وسلم فأين الطامع وأين المطموع ؟ .. كان في وسعه وهو عاملها على

التجارة أن يستغل الظروف للتودد إليها .. يستميل قلبها
ويضمن قبولها إياه زوجا على فقره وثرائها .. عندها يمكن
القول أنه طامع أستغل الفرص لبيع شبابه ويثرى .. لكنه
فعل النقيض .. أدى الأمانة كاملة .. عاد من الشام بربح
وفير .. اخذ نصيبه المتفق عليه ثم أنزوي بعيدا إلى أن
جاءه رسولها يعرض عليه الزواج منها .. كانت أوسط
النساء في قریش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا .. كل
قومها حريص على الزواج بها لو يقدر عليه .

كتاب السيرة يقررون أنها بعثت إليه صاحبة لها تسمى
" نفيسة بنت منبه " .. سألته " ما يمنعك أن تتزوج وأنت
شاب وسيم ؟ .. أليس الأخلق بك أن تتزوج لتجد في كنف
زوجك ما يحتاج إليه الرجل من خفض العيش والرعاية
والولد ؟! " .

أجابها " ما بيدي ما أتزوج به " .
اغتمت المرأه الفرصة لتستدرجه إلى ما تريد فقالت "
فان كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة
.. ألا تجيب ؟

فسألها متعجبا " من هي ؟ "

فلم تزدد أن قالت " خديجه "

عجب محمد صلى الله عليه وسلم أكابر القوم وثراتهم
طلبوا يدها .. ألحوا في ذلك منذ ترملت .. ردتهم جميعا ..
ضنت بنفسها عليهم !!

سأل في حيره " كيف لي ذلك ؟ "

أسرعت المرأة تقول " ذلك على "

لم يتردد الرسول صلى الله عليه وسلم في إعلان
قبوله .. انصرفت "فقيسة" لتعود إليه بعد فتره وجيزة
بتحديد الساعة التي يحضر فيها مع أعمامه ليجدوا أهلها
في بيتها ويتم القران .

نجد أن السيدة خديجه التي بلغت الأربعين أمام شاب
فقير .. جربت أماتته وعزة نفسه .. أدركت أن له خلقا
يعصمه من الطمع في مالها .. فأحبت أن يكون زوجها .

ظروف الزواج وأسبابه على النقيض مما يزعمون من
التكالب أو الرياء أو المصانعة .. ليس ما فعلت السيدة

خديجة يسقط مروعتها أو يقلل من قدرها بين قومها ..
على هذا المنوال نسج كثيرون من عليتهم وأشرافهم.
بعد الزواج .. لم يسرف في استخدام مالها .. لم يعمد
إلى البذخ في مظهره .. ظل متواضعا عفيفا .. ازداد ابتعادا
عن كل ألوان الرفاهية .. زاد زهده في الرخاء والترف ..
صار يقضى جزء من وقته صائما معتزلا الناس في جبل
النور داخل غار حراء .

زاده الزواج عفه واستقامة .. زاده نزاهة وعزوفاً عن
البذخ والترف .. أين إذن الطمع والوصولية؟! .. لكنها
الأكاذيب والافتراءات .

أين هم ؟ .. عندما توفيت خديجة .. حزن عليها حزناً
شديداً .. ذكرها مراراً .. أكرم أقاربها ومعارفها .. ألم
يطلعوا على مواقفه منها خلال حياتها وبعد وفاتها ليقرروا
موقف رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم .

بعد وفاتها .. أدرك المسلمون القلائل إن نبيهم صلى
الله عليه وسلم وابنته الصغيرة فاطمة في حاجة إلى من
يرعاهما .. اختاروا " خوله بنت حكيم " لتعرض عيه أن

يتزوج .. من الذي تزوجها الذي قالوا عنه انه شهواني و
وصولي .. إنها السيدة " سوده بنت زمعه " امرأة متقدمه
في السن .. ليس لها جمال السيدة خديجة ولا مال لها على
الإطلاق ولا جاه .. حظها من الذكاء ليس كبيرا .. هي
أرمله بدينة طيبة القلب .. لها مشية كان زوجها العظيم
يضحك منها .. ليس فيها للرجال مأرب .

لماذا تزوجها إذن ؟ .. تزوجت قبل الرسول صلى الله
عليه وسلم من أحد الصحابة الأولين .. هاجر إلى الحبشة
فيمن هاجر .. قيل مات هناك .. قيل عاد من المهجر ومات
وبقيت " سوده " أرمله منقطعة وقد باعد إسلامها ما بينها
وبين أهلها ويخشى إن يفتنوها في دينها أو يسيئون
معاملتها إذا عادت إلى بيت أبيها .. ليس لها مال تعيش
منه ولا صنعة بيدها.

لو كان يصانع خديجه أثناء حياتها فما باله لم يتزوج
بعدها بشابة تعوض عليه ما فات .. لكنها الافتراءات التي
توجه إليه لتنال منه ولن يحدث بإذن الله .. وتحكى عائشة
— على صباها وملاحتها وهى البكر الوحيدة التي تزوجها

— إنها ضاقت ذات يوم بما في صدرها فهتفت " ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر وأبدلك الله خيرا منها " .. فإذا وجهه الشريف يربد ويصيح بعائشة " والله ما أبدلني الله خيرا منها .. آمنت بي حين كفر الناس .. صدقتني إذ كذبني الناس .. واستتني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله الولد منها دون غيرها من النساء " .. فمن كان يصانعه وقتئذ .. هل يصانع التي ماتت ليغضب التي يعيش معها ويحبها .. فليقل من شاء ما يشاء .. فمحمد وفاءه يفوق بشرية الناس جميعا .

السبب في زيجاته العديدة .. في تدبر ورويه نتناول ظروفها وأسبابها .. عندها نوقن زيف هذه الافتراءات وعظمة هذا الرسول الخاتم صلوات الله وسلامه عليه .

السيدة " سوده بنت زمعه " تزوجها لتكون مدبره لبيته ومربية لابنته .. لا لتكون متعة حس ولذة مضجع .. تزوجها لتكون في كنفه .. تنعم بظله وعطفه وتجد في الزواج منه شرفا وعزاء وعاصم من النكال والردة .. لتحل

بين أبناء دينها الجديد أرفع مكانه تصبو إليها المرأة المسلمة وهي أم المؤمنين .. وإن هي إلا سنوات قلائل حتى أحست هذه العجوز الطيبة القلب أنها عبء على كرم زوجها وبره .. عندها استأذنته أن تظل في بيته تعفيه من حقوق الزوجية .. قالت " والله ما بي على الأزواج من حرص .. لكنى أحب أن يبعثني الله يوم القيامة زوجا لك ". هذا أول حظه من النساء بعد وفاة السيدة خديجة .. ما هو بحظ الملهوف على لذات الفراش بعد طول صبر ومصانعه كما يدعون .

زوجته السيدة " حفصة بنت عمر بن الخطاب " .. تزوجت قبله من خنيس بن حذافه من بنى سهم .. هو أحد المسلمين الذين شهدوا غزوة بدر وانتصروا على أهل الكفر .. بعدها بقليل لقي خنيس ربه وترك أرملة الشابة وسنها لم يتجاوز الثامنة عشره .. لم يرد والدها عمر بن الخطاب أن تظل بلا زواج .. ذهب إلى أبى بكر وعرض عليه الزواج من ابنته فلم يجب الصديق .. اتجه الوالد إلى عثمان بن عفان فأجابه بأنه لا يريد الزواج.

انصرف عمر غاضبا .. ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والغضب بادي على وجهه .. تلقاه الرسول الكريم وهو أعلم الناس بطبعه .. أدرك ما يعانيه الأب من الألم .. قال له مواسيا " يتزوج حفصه من هو خير من عثمان ، يتزوج عثمان من هي خير من حفصه "

عرف عمر ما يرمى إليه رسول الله .. أيقن أن زوج حفصه الذي خير من عثمان هو الرسول ذاته .. سيساوى في المصاهرة بين صاحبيه الكبيرين أبى بكر وعمر " ألم يطلب عائشة من والدها .. وهاهو يطلب حفصه منه " .

دخلت بيته الأرملة حفصه .. لم يضمها إليه شدة الشهوه .. بل النخوة .. لابد أن نتذكر قول عمر وهو يحدثها ذات يوم قائلا " والله أنى أعرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحبك .. ولولا أنا لطلقتك " .

الزوجة التي تلتها هي " أم سلمه هند بنت زاد الركب " رفيعة النسب .. أبوها أبو أميه بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم الملقب بزاد الركب .. كان ممن يضرب بهم العرب المثل في الكرم .. إذا سافر لا يسمح بأى مرافق

أن يصحبه ومعه زاد .. يكفى رفاقه جميعا مهما طال سفرهم .

ترملت أم سلمه بعد استشهاد زوجها أبوسلمه عبد الله بن عبد الأسد بن المغيرة .. ابن عمه الرسول صلى الله عليه وسلم وأخوه في الرضاعة .. هاجر مع زوجته إلى الحبشة وفي مهجرها ولدت ابنها سلمه .. عادوا إلى مكة ثم هاجروا إلى يثرب .

عند هجرتها أبتليت .. إذ منعها أهلها من الهجرة مع زوجها .. استولوا على ابنها وتجاوزوه فيما بينهم حتى خلعوا يده .. فرقوا بينها وبين الزوج والابن .. استمرت عاما أو يزيد تخرج إلى الأبطح تبكى حتى تمسى .. مر بها رجل من أهلها فرق لها وسأل عشيرته أن يتركوها تلحق بزوجها وردوا إليها ابنها .. ارتحلت قاصدة المدينة وما معها أحد من الخلق سوى الله .

التاريخ يذكرها أنها أول مسلمة هاجرت إلى الحبشة والمدينة .. زوجها أول صحابي هاجر إلى المدينة .. استشهد الزوج بعد بلاءه الحسن في بدر .. جرح جرحا

غائرا عاوده في غزوة أحد فعاد إلى المدينة ولزم فراشه حتى لقي ربه وهو على صدر ابن خاله رسول الله صلى الله عليه وسلم .. سجاه بيديه الشريفتين ولم يترك الرسول زوجته للترمل وأولاده لليتم .

بعد انتهاء عدتها .. بعث إليها عارضا الزواج .. أبت .. بعثت تعتذر بكبر سنها وكثرة عيالها .. فأكد لمن أرسلهم إليها انه اكبر منها سنا .. أما العيال فإلى الله ورسوله .

وهنا يثار التساؤل .. هل هذا الزواج حركه دوافع غير النخوة؟! .

أما سيدة بنى المصطلق وابنة زعيمهم جويريه بنت الحارث .. تم أسرها عقب الغزوة التي جرت عند ماء الرسيغ .. عادت كتائب المسلمين إلى المدينة ظافرة ومعهم العديد من السبايا والغنائم .. وقعت " جويريه " من نصيب ثابت بن قيس .. كاتبها ان تجمع فديتها فيطلق سراحها وتعود إلى أهلها .

طرقت سيدة بنى المصطلق باب القائد المنتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم .. حدثته بأنها بنت سيد القوم .. أصابها السبي فجاءت تستعين به لجمع فديتها .

كان يمكنه أن يضمها إلى حريمه وهو في موقف المنتصر .. لكنه سألها ألك خير من ذلك؟! .. أجابته ما هو؟ قال : أقضى عنك كتابك وأتزوجك .. لا يرفع عنها ذل العبودية فقط .. بل يرفعها من الكفر إلى مقام أم المؤمنين .. يجعل بينه وبين أهلها المهزومين نسب وصهرا فيغسل الثأر ويحول الهزيمة والعداء إلى ألفة وولاء .

المسلمون أطلقوا سراح أسراهم وسبائهم من بنى المصطلق عندما عرفوا بهذا النسب .. هتفوا " أصهار رسول الله " .. اعتق بزواجه من جويريه أهل مائة بيت من بيوت قومها .. أهتز أهلها لهذا الصنيع النبيل .. أسلموا .. فعل الزواج ما لم يفعله السيف .. فأين لهذا الصنيع من الشهوة المزعومة؟! ..

عزيزة أخرى في قومها .. بنت ملك وزوجة ملك .. هي صفيه بنت حي بن أخطب .. ينتهي نسبها إلى هارون

أخي موسى .. زوجها أحد ملوك خيبر هو كنانة بن الربيع صاحب حصن من أمنع حصون اليهود وعنده كنزهم الأكبر. انتهت هذه العزيزة إلى الأسر .. سقط صناديد خيبر صرعى وسقطت نساؤهم سبايا .. الرسول صلى الله عليه وسلم لم يضطرها إلى استجداء ما تستعين به على فك أسرها .. حسم الأمر وجعلها في سهمه هو .. كان بيده أن يجعلها أمه وفق قانون الحرب .. أبى .. حررها .. تزوجها .. لم يكن جمالها — كما ورد على لسان المستشرقين — الدافع الى الزيجة .. وما نظن لأن باقي السبايا كن في مثل جمالها أو يقاربنه .. لكنها السيدة في دولتها المنهارة .. أراد بمصاهرتها أن يكسب أهلها وتضع الحرب أوزارها .

كذلك كانت أم حبيبه ابنة قائد الكفر وقتها أبى سفيان بن حرب بن أميه .. تزوجت من ابن عمه الرسول عبيد الله بن جحش الأسدي .. أسلما سويا وانطلقا مهاجرين إلى الحبشة .. هناك أرتد الزوج وهى حامل في ابنتها حبيبه .. تركها وعاد إلى مكة .. رفضت الزوجة الانصياع له .. وصلت محمد هذه الأخبار .. تمثل له كربها وهى في ديار

الغربة وأقدم على العمل الوحيد الذي ينتظر منه .. بعث إليها يخطبها إلى نفسه ووكل النجاشي في تزويجها منه .
في ارض المهجر أصبحت أم حبيبته زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. تطوع النجاشي فدفع إليها أربعمئة ديناراً مهراً هدية خالصة منه وغمرها بالتكريم هي وسائر المسلمين اللاجئين إليه .

هذه الزيجة أثارت السخرية في أحياء العرب لتركب أبى سفيان .. فيها قال كلمته المشهورة " هذا الفحل لا يجدع أنفه " .. أي أن محمداً بفعلته جدع أنف أبى سفيان ومن والاه .. لكن الحقيقة إن هذه الفعلة تركت أثراً خفياً في سريرة أبى سفيان .. بذرت بذرة تؤلف قلبه وعشيرته.
هذا الزواج حركه النخوة .. تم على بياض .. من أرض بعيدة .. لا أحد يدرى يكتب للغائب العودة مع سائر الغائبين .. أم يكون اللقاء في رحاب الله يوم يبعثون .
فهل يقال أنه زواج بواعثه الشهوة !!.

زوجته ميمونة بنت الحارث .. كانت شقيقة زوجة العباس وحمزة عما محمد .. رأت المسلمون وهم يؤدون

مناسك الحج أول مره منذ الهجرة إلى المدينة .. تجاوبت معهم وشعاب مكه تهتز بهتافهم وتلبيتهم .. هتفت تقول وهى تركب بعيرها " البعير وما عليه لله ورسوله " .. أفضت بذلك إلى العباس الذي رفع الأمر إلى ابن أخيه .. لم يرد الهبة وتزوجها وهى أرمله يومها دون الثلاثين .. أراد أن يعرس بها في مكه ويولم لأهلها مسلمين وكفار .. لكنهم أبوا فعرس بها في الطريق إلى المدينة .

الزواج الذي أثار اللغط .. علت للمستشرقين ضجة كبيرة .. تبعهم السوقة .. زواجه صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش .. قالوا إن محمدا تزوج مطلقة ابنه بالتبني .

حقا .. إن زيدا كان ابنا بالتبني لمحمد منذ الجاهلية .. الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه هو الذي زوجه من ابنة عمته زينب بنت جحش .

يتقولون أن زينب كانت وضيفة الحسن .. أثر الرسول بها زيدا .. انه ذهب ينشده في داره فخرجت لاستقباله

عندما سمعته ينادى .. وقتها — كما يدعون — كانت على غير أهبة كاملة في الزى فوقعت في قلبه موقعا حسنا .

رواية أخرى .. انه عند وقوفه صلى الله عليه وسلم بباب زيد عبث الهواء بستر مسدل على حجرة زينب فانكشف عنها وهى في حجرتها حاسرة فوقع إعجابها في قلب الرسول .. نهضت تدعوه للدخول فأبى وولى وهو يهمهم بكلمات لم تميز منها زينب سوى " سبحان الله العظيم .. سبحان مصرف القلوب "

عندما حضر زيد روت له زينب ما حدث .. ذهب الابن إلى أبيه بالتبني وعرض عليه أن يفارق زوجته .. فهتف النبي صلى الله عليه وسلم " أراك منها شئ ؟ " .. فقال الابن مؤكدا النفي .. لكنها تتعاضم عليه لشرفها .. فقال الرسول " أتق الله وأمسك عليك زوجك " .

أمسكها زيد .. لكن تعاضمها عليه أشد .. نفذ صبره فطلقها .. بعدها نزلت الآيات الكريمة لتضع تشريعا جديدا طبق أولا على رسول الأمة صلى الله عليه وسلم .. قال تعالى " وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك

عليك زوجك وأتق الله . وتخفى في نفسك ما الله مبديه .
وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها
وطرا زوجها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في
أزواج أديانهم إذا قضى منهن وطرا وكان أمر الله
مفعولا".

لقد زوج الرسول ابنة بالتبني لابنة عمته ليحطم
المسلمين الفوارق .. يعرفوا إن أكرمهم عند الله اتقاهم ..
وردت زينب بنت جحش مورد زيد بحكم الرسول صلى الله
عليه وسلم .. لكنها ظلت عصية النفس .. تجد لهذا الزواج
غصة .. ضاق الأمر بزيد وفتح محمد في طلاقها أكثر من
مره .. لكنه خاطبه " أتق الله وأمسك عليك زوجك " ..
لكن اعتزاز المرأة كان أقوى من أي إصلاح واستمرت
تؤذى زوجها حتى نفذ صبره وطلقها .

عادت إلى بيت أهلها .. ظلت تطاردها الأفكار .. تدور
في مخيلتها التساؤلات .. من يتزوج الثيب المطلقة من
مولى عتيق ؟ .. أكبر الحقائق لن يتقدم إليها كفاء لها ..

بل الجميع يعلمون أنها لم تحسن معاشرة الزوج .. موقف
عصيب لحره حسناء في مقتبل العمر .

رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم لم يكن بعيدا ..
لم يفته الموقف .. أعقل قوله " سبحان مصرف القلوب " ..
أي سبحان الله الذي صرف قلب الشابة الحسناء عن الفتى
الوسيم زيد .. لم تستطع أن تسكن إليه بعد زواجها منه ..
لم يلومها والله مالك القلوب وكل شئ .. فكر أن يكون لها
زواجا بمثابة " رد اعتبار " لها .. رأى أن يتزوجها .. تردد
محيرا بين أرضاء ضميره ونخوته وعادات بيئته بأن الابن
بالتبني يعامل معاملة الابن الشرعي .. تم الزواج وفق هذه
القاعدة التي نزلت من فوق سبعة سموات وليس تهورا
ساقه إليه فكره .

المحدثون والمستشرقون لغطوا كثيرا أيضا في زواجه
من السيدة عائشة بنت أبي بكر وهى دون العاشرة .. قالوا
إن محمدا انتهك طفولتها .. رددوا بأباطيل هي أبعد عن
خلائق الرسول الكريم .. روايات السيرة التي قدمت للسيدة
عائشة عند زواجها من الرسول روت أنها كانت مخطوبة

قبله لجبير بن المطعم بن عدى .. ما كان الناس وقتها يعرفون شهادات الميلاد .. أما أعمار النساء فلم تزل موضع تناقض واضح بين جميع الطبقات .. لا عن كذب متعمد .. بل عن سليقة في المرأة بفطرتها الأنثوية .. ليس خاصا بامرأة في مرحلة من عمرها .. بل تشاهده حتى فيمن لا شك في فراغهن من شأن الدنيا وانقطاع ما بين أجسادهم وبين الرجال انقطاعا تاما .. فما بالناس بأعمار البنات في تلك البيئة البدوية .. كانت تعرف بعلامات غير التقويم .. تعرف بأطوار النمو البدنى .. كما يعرف المزارع نضوج ثمره في الحقل .. آية النضج هي التي قرأتها " خوله بنت حكيم " كما قرأتها البيئة .. بوحى من هذه الآية ذكرتها " خوله " للرسول صلى الله عليه وسلم في معرض الزواج .. فعائشة يومئذ أنثى ناضجة اسمها في قائمة المرشحات للزواج في مجتمع مكة .. كانت مخطوبه لآخر قبل الرسول الكريم هو جبير وأهله جميعا على الكفر .. فهل تتم الخطبة وأبو بكر مسلما .. ليس من المنطق أن يتم ذلك .. لهذا خطبها الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت

لا تقل عن تسع سنوات على الأقل تصل بنا إلى سن الثانية عشرة بحسابنا نحن .. وحتى نهايات القرن العشرين كانت النساء تتزوج وتزف في مثل هذه الأعمار .. فما بالنا إذا عدنا إلى زمن الرسول .. العبرة أيضا بالبيئة التي وقع فيها الحدث .. فلا محل للادعاء بأن الباعث هو الوحشية الجنسية .. ما كان فارق السن بدعه .. إنما هو العرف السائد .

كانت عائشة أحب زوجاته إليه بعد السيدة خديجة .. هذه حقيقة .. إنها ترعرعت في بيت وبين سمع وبصر أحب الناس إليه .. بنت الصديق .. سأله عمرو بن العاص يوما عن أحب الناس إليه فقال عائشة .. فسأله عمرو بن العاص عن أحب الرجال .. أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم أبوها .. لذا أحبها لأنها ابنة أبى بكر .. تزوجها كرامة لأبيها .

نستطيع أن نقرر بملء إرادتنا وعقلنا أن زيجاته لم يكن هدفها الشهوة .. بل ضريبة واجب وزعامة ومكانه .. ما كان عليه صلى الله عليه وسلم وهو يؤسس أركان دولته ويثبت دعوته أن يزيد أعباءه بما يكون في بيته من

نساء كثيرات وما يحدث بينهن من صغائر الأمور .. لذا أنقذه القرآن بعد ذلك من التورط في الزيجات فحرم عليه بصريح النص في سورة الأحزاب ألا يتزوج النساء من بعد أو أن يبدل بهن أزواجه أخريات .

مات الرسول صلى الله عليه وسلم وترك تسع زوجات .. خمسة من قريش هن عائشة وحفصة وأم حبيبه وسوده وأم سلمه .. ثلاثة من سائر العرب هن ميمونة وزينب بنت جحش وجويرية وواحدة من بنى هارون هي صفية .. وممن تسرى بهن ماريه القبطية التي بعث بها المقوقس صاحب الأسكندرية هدية له .

ثبت أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يستمتع بدنياه .. لم يشبع ثلاثة أيام متتالية حتى أنتقل إلى الرفيق الأعلى .. قالت عائشة " كنت أبكى رحمة مما أرى به وأمسح بيدي بطنه مما أرى من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقوتك .. فيقول : ما لي وللدنيا .. أخواني من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا .

وقالت زوجه أم سلمه تصف ما وجدت في بيته ليلة عرسها " فإذا جرة فيها شئ من شعير ، وإذا رحى وبرحه وقدر كعب فأخذت ذلك الشعير فطحنته ثم عصدته في البرحه وأخذت الكعب فأدمته فكان ذلك الطعام للرسول وأهله ليلة عرسه .

أعجب شئ أن يقال عن النبي صلى الله عليه وسلم انه استسلم للذات الحس .. مع انه أوشك أن يطلق نساءه أو يخيرهن في الطلاق لأنهن طلبن إليه المزيد من النفقة وهو لا يستطيعها .. شكون على فخرهن بالانتماء إليه أنهم لا يجدن نصيبهن من النفقة والزينة .. اجتمعت كلمتهن على الشكوى واشتددن فيها حتى هم الرسول وخيرهن بين الصبر على معيشتهم أو تسريحهن .. ثم أعتزلهن فنزلت الآية الكريمة التي فيها التخيير فقال تعالى " يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنت تردن الحياة الدنيا وزينتها تعالين أمتعن واسرحكن سراحا جميلا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة ، فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ..

علام يدل هذا .. نساء محمد يشكون قلة النفقة
والزينة .. لو شاء لأغدق عليهن النعمة وأغرقهن في
الحرير والذهب وأطايب الطعام .. أهذا فعل رجل يستسلم
للذات الحس .. أما كان يسيرا عليه أن يفرض لنفسه
ولأهله من الأنفال والغنائم ما يرضيهن !! .. ماذا كلفه
للاحتفاظ بنسائه حتى يقال انه يفرط في ميله إليهن ؟!..
هل كلفه أن يخالف سنته أو سيرته أو تعاليم ربه ؟!..
لم يكلفه شيئا من ذلك .. لم يشغل عن جليل الأعمال
وصغيرها .



القصص..

حال المهاجرين منذ عهدهم بالمدينة .. ضنك في
المعيشة .. مشقة في العمل .. وحشة في الغربية .. حنين
إلى الوطن .. بعد عن الأهل والمال .. شعور بالظلم
والعدوان .

أما قريش .. كانت ترتع في رغد العيش .. سعة في
الرزق .. تستمتع بأموال المرغمين على تركها .. تتصرف
في دورهم ومتاعهم ومتاجرهم .. تستذل من بقوا من
المستضعفين .. تعد العدة للقضاء عليهم .

أخذ رسول الله يرسل الكتائب في طريق قريش ..
يتحسس أخبارهم .. يستطلع نواياهم .. يحاول قطع الطريق
على تجارتهم .. ليفقدوا شريان يمدهم بالجبروت ..
يشعرهم أن المسلمين أصبحوا قوة يخشى بأسها .. يحسب
حسابها .. لعلمهم يفيقوا إلى الصواب .. يكفوا عن عدوانهم

ألا يحق لهم استرداد بعض أموالهم .. أن يعودوا إلى
ديارهم .. يستنقذوا المستضعفين من أهلهم .. يؤمنوا
للمسلمين حريتهم حتى لا يفتنوا .. يشعروا عدوهم أنه

أصبح لهم قوة تستطيع أن تحمى .. ترهب من يحاول أن يعتدي عليهم .

إن وجود سبب واحد فقط من هذه الأسباب .. كفيل بدفع المسلمين لقتال قريش .. لكنه لم يكن سبب واحد .. بل أسباب مجتمعة .. دفعتهم إلى القتال .. ليدفعوا عن أنفسهم شر العدو .

قرر الرسول إيفاد سرايا .. لا يراد بها حربا .. كما لا يراد بها هجوما .. إنما هي مناوشات يراد بها إرهاب العدو .. اختبار قوته ومدى استعداده للقتال .. لهذا أوفد الرسول هذه السرايا واحدة بعد أخرى في فترات متلاحقة.

أرسل حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين من المهاجرين .. سار في الأول من رمضان من السنة الأولى .. حتى وصل البحر من ناحية العيص .. ألتقي بأبي جهل يقود قافلة لقريش ومعه ثلاثمائة راكب .. الفريقان كادا يقتتلان .. لولا أن حجز بينهما بن عمرو سيد جهينة .

في شوال من السنة نفسها .. أرسل عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في ستين راكبا من المهاجرين .. وصلوا

إلى وادي رابغ .. ألتقي هناك بمائتين من المشركين على رأسهم أبو سفيان بن حرب .. ترامى الفريقان بالنبل .. لم يقع بينهما قتال .. فر من المشركين إلى المسلمين في هذه السرية عتبة بن غزوان والمقداد بن ابن الأسود .

خرج سعد بن أبي وقاص في نحو عشرين من المهاجرين .. في ذي القعدة من هذه السنة .. هدفه اعتراض عير لقريش .. فاتهم العير .

في صفر من السنة الثانية من الهجرة .. خرج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في جمع من المهاجرين .. يريد عيرا لقريش .. أستخلف على المدينة سعد بن عباد .. سار حتى بلغ " ودان " جهة الأبواء .. وجد العير قد سبقته .

حالف الرسول صلى الله عليه وسلم بنى ضمرة على أنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم .. لهم النصر على من رامهم .. عليهم نصرة المسلمين إذا دعوا إلى ذلك .. رجع بعدها الرسول الكريم إلى المدينة بعد خمس عشرة ليلة .

علم الرسول صلى الله عليه وسلم أن عيرا لقريش آتية من الشام .. فيها أمية بن خلف ومائة من قريش وألفان وخمسمائة من العير.. خرج إليها في شهر ربيع الأول في مائة من المهاجرين .. استخلف على المدينة سعد ابن معاذ .. سار حتى بلغ " بواط " جهة ينبع .. وجد العير فاتته .. رجع ولم يلق كيدا .

بعد انتهاء شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى ترددت أنباء أن عيرا عظيمة خرجت من مكة تريد الشام .. على رأسها أبو سفيان ومعه بضعة وعشرون رجلا .. فيها أموال القوم كلها .. قيل أنه ما من قريشى ولا قريشية إلا وله في هذه العير مالا .. خرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أصطحبه مائة وخمسون من المهاجرين .. استخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسود .. سار حتى بلغ العشيرة من ناحية ينبع .. وجد العير مضت .. وادع بنى مدلج وحلفائهم .. رجع إلى المدينة يترقب عودة العير .

بعد عودة الرسول إلى المدينة .. أغار عليها كرز بن جابر الفهري .. استاق بعض ابل وأغنام ترعى بناحية الجماء على ثلاثة أميال من المدينة .

أسرع الرسول صلى الله عليه وسلم في جمع من أصحابه يطلب اللحاق بكرز .. أستخلف على المدينة زيد بن حارثة الأنصاري .. سار حتى بلغ "سفوان " من ناحية بدر .. لكن لم يدرك كرز .. يسمى الرواة هذه الغزوة بغزوة بدر الأولى .

سماها الرواة غزوة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج فيها .. اتفقوا على أن الكتيبة التي يخرج فيها الرسول تسمى غزوة .. أما التي لا يخرج فيها فتسمى سرية .

هذه السرايا أدت أهدافها .. حققت كسبا مغنويا للمسلمين .. عادت كل مرة بمعلومات قيمة .. حددت ما يبغيه العدو في قريش وما يستعد له .. أقضت مضاجع قريش .. تركتها مفزعة على أموالها ليلا ونهارا .. تحاذر المسلمون وتخشاهم على تجارتهم في الذهاب والإياب..

زادت حراسة قوافلها .. سلكت بها طرقا غير مألوفة .. بما في ذلك من الخسارة والمشقة .

يصف المؤرخون هذه السرايا بأنها كانت حرب أعصاب .. كما كانت حصارا اقتصاديا .. أثمرت محالفة عدد من القبائل الضاربة في الصحراء بين مكة والمدينة .. ضمنت مناصرتها للمسلمين إذا اعتدى عليهم .. أو على الأقل حيادهم وعدم انضمامهم إلى قريش أو غيرها من أعداء المسمين .

يصفوها بأنها الشرارة التي اشتعلت بها النار بين الفريقين .. أنها سرية عبد الله بن جحش .. أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب ومعه ثمانية من المهاجرين .. ليستطلع أخبار قريش .. كتب له كتابا .. أمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين .. فإذا نظر فيه فليمض لما أمره ولا يستكره أحدا من أصحابه .. فلما فتحه وجد " إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل " نخلة " بين مكة والطائف .. ترصد بها قريش .. تعلم لنا من أخبارها" .. فقال سمعا وطاعة .

أخبر أصحابه بما في الكتاب .. قال لهم : نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أستكره منكم .. فمن كان منكم يرغب في الشهادة فلينطلق معي .. ومن كره ذلك فليرجع .. أما أنا فماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .. مضى ومعه أصحابه .. لم يتخلف منهم أحد .. غير أن سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان .. أضلا بغيرهما الذي يتعاقبان الركوب عليه .. انطلقا يبحثان عنه .. فتخلفا عن أصحابهما .

مضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزلوا بنخلة .. هنالك صادفوا عيرا لقريش مقبلة من الطائف .. تحمل زبيبا وجلودا وتجارة من تجارة قريش .. معها أربعة نفر هم عبد الله الحضرمي وعثمان بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان .

كان ذلك في آخر يوم من شهر رجب .. تشاور عبد الله وأصحابه في أمر العير .. قال بعضهم : والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن به منكم .. لئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام .

ترددوا .. هابوا أن يقدموا عليهم .. ما زالوا بين الإحجام والإقدام .. حتى شجع بعضهم بعضا .. هجموا على العير .. قتلوا من حراسها عبد الله بن الحضرمي .. استأسر لها اثنان .. فر الرابع فلم يدركوه .

قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم بالعير والأسيرين إلى المدينة .. غضب الرسول صلى الله عليه وسلم من أمرهم .. قال " ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام " .. أبى أن يأخذ العير والأسيرين .. سقط في أيديهم .. ظنوا أنهم هلكوا .. عنفهم أخوانهم المسلمين .

قريش وجدتها فرصة سائغة لإثارة العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أشاعت أن محمدا وصحبه استحلوا الشهر الحرام .. سفكوا فيه الدماء .. أخذوا الأموال .. أسروا الرجال .

استفزع الناس ما حدث .. تساءلوا عما وقع من المسلمين .. أيقون هذا من محمد الذي يؤكد أنه يتبع طاعة الله ويدعو إلى دينه .. المسلمون في مكة دافعوا عن أصحابهم .. شمت بالمسلمين أعداؤهم .. فرح اليهود ..

تفاعلوا بأن الحرب واقعة لا محالة بين المسلمين وقريش .. بل بينهم وبين العرب جميعا .. جزاء ما انتهكوا من حرمة الشهر الحرام .. تخرج الموقف .. أشكل الأمر .. كثر القيل والقال .

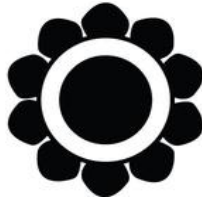
فعلت قريش الأفاعيل .. تناست كل ما فعلت .. لم تذكر إلا حادثة ابن الحضرمي واستلاب العير .. اتخذتها حجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. تثير العرب بها على الإسلام وعلى أهله .

الله أقحم حجتها .. رد عن المسلمين كيدها .. جعل هذه الحادثة مفتاحا من مفاتيح الخير .. نزلت من السماء نجدة .. جاء الوحي بقول الله تعالى "يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ؟ قل : قتال فيه كبير .. وصد عن سبيل الله وكفر به ، والمسجد الحرام ، وإخراج أهله منه .. أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردونكم عن دينكم إن استطاعوا ، ومن يردد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " .

نعم .. القتال في الشهر الحرام كبيرة .. لكن ما فعل
المشركون أكبر إثما و أعظم جرما .. كفروا بدين الحق ..
صدوا عن سبيل الله .. انتهكوا حرمة البلد الأمين .. آذوا
المسلمين بكل أنواع الإيذاء .. صبوا عليهم ألوان العذاب ..
حتى فتن منهم من فتن .. مات منهم من مات .. فر بدينه
من فر .. أخرجوهم من ديارهم ظلما .. حالوا بينهم وبين
المسجد الحرام .. يطاردونهم أينما ذهبوا .. يؤلبون عليهم
الأعداء .. يثيرون عليهم الفتن .. يسعون جاهدين في الكيد
لهم حتى يقضوا عليهم .. فأبي جرم أكبر مما فعلوا.

قال ابن إسحاق : لما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله
عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق .. قبض رسول الله
الغير والأسيرين .. بعثت قريش في فداء عثمان بن عبد
الله والحكم بن كيسان .. فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم " لا نفديكموها حتى قدم سعد بن أبي وقاص وعتبة
بن غزوان .. فانا نخشاكم عليهما .. فان تقتلوهما نقتل
صاحبكم " .

قدم سعد وعتبة .. فأفداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن .. طمعوا في الأجر .. قالوا : يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطي فيها أجر المجاهدين ؟ .. فأنزل الله فيهم " إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم " ..



يوم الفرقان..

انتصار الله تعالى لفعل عبد الله وأصحابه .. مشجعا
للمسلمين على مواجهة قريش .. ومن وقف ضد الإسلام
وأهله .. زادت البعوث الخارجة .. أصبحت تتألف من
المهاجرين والأنصار .. أيقن المسلمون أنهم يستقبلون
مرحلة جديدة .. عليهم الاستعداد لها .. لا جناح عليهم إذا
قاتلوا من حاول فتنهم .. حتى لو كانوا في الشهر الحرام "
والشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمت قصاص ، فمن
اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا
الله واعلموا أن الله مع المتقين " .

أدركت قريش أنها ستواجه المسلمين .. لن يتركوها
تصول وتجول .. كما كانت من قبل .. الأذلة الضعفاء
بالأمس .. أصبحوا قوة لها خطرهما .. عقبة يحسب
حسابها في طريقها إلى الشام .

أخذت قريش تعيد النظر في أمر المسلمين .. تفكر في
حماية تجارتها منهم .. كان المسلمون يفكرون في قطع
الطريق عليها .. في اغتيال تجارتها .. مصدر أموالها ..

مصدر طغيانها وقوتها .. الأجنحة التي تطير بها ..
المخالب التي تفتك بها .

حدد المسلمون هدفهم .. قص هذه الأجنحة .. تقليم
هذه المخالب .. أخذوا يترصدون تجارتها .. يقفون لها بكل
سبيل .. حتى تنكسر شوكتها .. فتكف عن طغيانها
وعدوانها على المسلمين .

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العير التي
خرج لها في غزوة العشيرة خرجت من الشام .. عائدة إلى
مكة .. قال لأصحابه " هذه عير قريش فيها أموالهم ،
فاخرجوا إليها ، لعل الله أن يغنمكموها " .

حرص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ألا تفوته
العير في إيابها .. كما فاتته في ذهابها .. استنهض لها من
خف من أصحابه .. أمر من كانت ركوبته حاضرة أن
ينهض .. لم ينتظر من كانت ركوبته غائبة .. أسرع من
أسرع .. أبطأ من أبطأ .. ظنا أنها العير .. لن يلقى
الرسول صلى الله عليه وسلم حربا .. كما كان يحدث في
كل مرة .

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم السبت الثاني عشر من رمضان .. بعث طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد يتحسان خبر العير .. لكنه خرج بأصحابه قبل أن يعودا إليه .. حرصا أن يدرك العير .. وخوفا مما يصادف رسوليه من عقبات الطريق .

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوت السقيا .. على نحو ميل من المدينة .. نزل بها يوم الأحد .. ضرب عسكره هناك .. أستعرض الجند .. رد منهم صغارهم الذين لا يقوون على حمل السلاح .. ممن ردهم عبد الله بن عمر ورافع بن خديج والبراء بن عازب وأسيد ابن حضير بن سماك وزيد بن الأرقم وزيد بن ثابت .. حاول رد عمير بن أبى وقاص لصغره .. بكى عمير فأجازه وسيره مع الجيش .

غادر الرسول صلى الله عليه وسلم بيوت السقيا في نحو خمسة وثلاثمائة مقاتل .. منهم سبعين من المهاجرين .. مائتين وأربعين من الأنصار .. الخيل التي معهم اثنين فقط .. أما البعير فكانت سبعين .. كانوا يتبادلون الركوب

عليها .. كل اثنين أو ثلاثة أو أربعة يتبادلون ركوب بعير واحد .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب ومرثد بن أبى مرثد يتبادلون على بعيرا .. حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنس يتبادلون بعيرا .. أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يتبادلون بعيرا .. وهكذا كان كل جماعة يتبادلون المشي والركوب على بعيرهم .

أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يشارك أصحابه في تعبهم وراحتهم .. يأخذ دوره في المشي .. كما يأخذ دوره في الركوب .. كواحد منهم .. كان إذا انتهت نوبته في الركوب نزل .. يقول له رفيقه " اركب يا رسول الله حتى نمشي عنك " .. فيقول " ما أنتما بأقوى منى على المشي ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكم " .

وضع رجاله في تشكيل حربي .. يلائم السير في أرض المعركة .. قد يلاقى العدو في أي لحظة .. لذا يجب أن يكونوا على أهبة الاستعداد .. نظم رجاله بالطريقة التي

يأمن به المفاجأة .. جعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة
.. على المقدمة الزبير بن العوام .. عقد ألوية ثلاثة ..
لواء ابيض يحمله مصعب بن عمير .. رايتان سوداوان ..
أحدهما مع على بن أبي طالب .. الأخرى مع رجل من
الأنصار .

أرسل أمامه عينين .. يأتياه بخبر المشركين .. هما
بسبس بن عمرو وعدى بن أبي الزغباء .. أنتهيا إلى ماء
بدر .. وجدا جاريتين تسقيان من الماء .. علما من
حوارهما أنهما يترقبان غير قريش .. توشك أن تصل إلى
بدر غدا أو بعد غد .. رجعا إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأخبراه .

وصل أبو سفيان النبأ .. محمد وأصحابه يترصدون
عودته .. أرسل على عجل موفدا إلى قريش .. ينبئها بما
قرره محمد وصحبه .. يستنفرها لحماية أموالها .. أوصاه
اتخاذ كل وسيلة لاستنهاض همهم للغوث والنجدة.

استجاب الموفد المشرك .. اتخذ مظهر الصارخ
الملهوف .. جدع بغيره .. حولّ رحله .. شق قميصه ..

وقف يصرخ ببطن الوادي " يا معشر قريش .. اللطيمة ..
اللطيمة .. أموالكم مع أبى سفيان عرض لها محمد في
أصحابه .. الغوث .. الغوث .. "

خرج رجال قريش سراعا .. أعان قويهم ضعيفهم ..
حتى ما من رجل إلا خرج أو بعث مكانه رجلا .. يقول
الرواة إن أمية بن خلف أراد أن يتخلف .. جاءه عقبة بن
أبى معيط ومعه مجمرة وبخور .. وضعها أمامه وهو
جالس مع القوم وقال له " استجمر أبا على فإنما أنت من
النساء " .. خجل واستحيا وقام من فوره فتجهز وسار من
الناس .

أبو سفيان ما زال يتشمم الأخبار .. سار بالقافلة ..
حتى إذا قرب من بدر تقدم العير حتى ورد الماء .. سأل
عن أخبار المسلمين .. علم أن راكبين نزلا على تلة هناك
.. أناخا راحلتيهما ساعة حتى استقيا ثم رحلا .. ذهب إلى
الموقع .. أخذ شيئا من أبعارهما .. فركه .. عرف فيه آثار
النوى .. علم أن الراكبين من المدينة .. قال : هذه والله
علائف يثرب .. هذه عيون محمد أقبلت تتحسس أخبارنا .

رجع مسرعا إلى العير .. جعل يضرب وجوها ويحولها
عن السير إلى بدر .. متجها إلى ساحل البحر .. تاركا بدر
إلى يساره .. أستطاع أن ينجو بأموال قريش .

وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي "
ذفران " .. جاءه النبأ .. قريش خرجت بأجمعها لتحمي
عيرها .. كما علم بأمر العير .. هرب بها أبو سفيان .

جمع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أصحابه ..
أخبرهم بخبر خروج قريش .. استشارهم .. كره فريق
منهم لقاء قريش وهم على غير أهبة لقتال .. قالوا إنما
خرجنا لأجل العير .. لم تذكر لنا قتالا فنستعد .

كره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجبن أصحابه
عن لقاء قريش كرر عليهم قوله .. " ما ترون في
قتال القوم ؟ " .. فيقولون : لا .. والله ما لنا بقتال العدو
طاقة .. لكننا أردنا العير .

تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. بدا عليه
الغضب .. أدرك القوم ما هم فيه .. إنهم يخالفون رغبة
الرسول صلى الله عليه وسلم .. قام فريق منهم يدعو إلى

القتال .. قام أبو بكر فقال فأحسن .. قام عمر فقال فأحسن .. ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله امض لما أمرك الله به فنحن معك .. والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى أذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .. فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أشيروا على أيها الناس " .. عندها قال سعد بن معاذ : لعنك تريدنا يا رسول الله ؟ .. قال " أجل " .. فقال سعد : انك عسى أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله لك غيره .. فانظر الذي أحدث الله إليك فامض له .. إنا آمنة بك وصدقناك .. شهدنا أن ما جئت به الحق .. أعطيناك عهدنا على السمع والطاعة .. لعنك يا رسول الله تخشى ألا تكون الأنصار ترى عليها ألا ينصرونك إلا في ديارهم .. انى أقول عن الأنصار وأجيب عنهم فامض يا رسول الله حيث شئت .. صل حبل من شئت .. اقطع حبل من شئت .. سالم من

شئت .. عاد من شئت .. خذ من أموالنا ما شئت .. ما
أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت .. ما أمرت فيه من
أمر فأمرنا تبع لأمرك .. فامض يا رسول الله لما أردت ..
فنحن معك .. والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا
البحر فخضته لخضناه معك .. ما تخلف منا رجل واحد ..
ما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا .. إنا لصبر في الحرب ..
صدق عند اللقاء .. لعل الله يريك منا ما تقر بك عينك ..
فسر على بركة الله .

سر لذلك رسول الله وانبسط وجهه .. بدا عليه البشر
والنشاط .. فقال "سيروا على بركة الله وابشروا .. فان الله
وعندي إحدى الطائفتين .. والله لكأني أنظر إلى مصارع
القوم " .

حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يقف على
حقيقتهم أحد .. لا يعرف مقصدهم أحد .. أمر أن تقطع
الأجراس من أعناق الإبل .. كلما نزل منزلا يتحسس أخبار
القوم .. يسأل عنهم في حيلة وحذر .

مضى بأصحابه .. وصل إلى وادي بدر .. نزل بالعدوة الدنيا منه .. هي الجانب القريب من المدينة .

عند المساء .. بعث على ابن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بدر .. يلتمسون الخبر .. وجدوا سقاة يسقون .. أمسكوا بغلامين منهما .. جاءوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كان يصلى .. حاولوا التماس أي معلومات منهما .. أخذوا يسألوهما : لمن أنتما ؟ .. فقالا : نحن من قريش .. بعثونا نسقيهم من الماء . ظنوا أنهما يكذبان .. ضربوهما ثم يسألوهما فيقولان : نحن من قريش .. فلما أوجعهما ضربا قالوا : نحن لأبى سفيان .. فتركوهما .

بعد فراغ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الصلاة قال " إذا صدقاكم ضربتموهما .. وإذا كذباكم تركتموهما ؟ ! .. صدقا والله .. أنهما لقريش " .. ثم سأل الغلامين عن قريش فقالا : وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى .. سألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم " كم القوم ؟ " .. قالوا : كثير .. قال " ما عدتهم ؟ " .. قالوا

: لا ندرى .. قال " كم ينحرون كل يوم " ؟ .. قالوا : يوما تسعا ويوما عشرا من الجزر .

قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم " القوم فيما بين التسعمائة والألف " .. ثم قال لهما " فمن فيهم من أشراف قريش .. فذكرنا أسماء أشرافها حتى أتيا على كل أسمائهم .. فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقال لهم : " هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها " .. فعلم المسلمون أنها الحرب لا محالة .. وأنه لا بد من لقاء قريش وهى من أقوى قوة وأعظم استعداد .

المكان الذي نزل فيه المسلمون كان بعيدا عن الماء .. بينهم وبينه مسافة من الأرض تسبخ فيها الأقدام .. ظمئ المسلمون وأصابهم الجهد .. كما أصابهم حرج شديد حين أعوزهم الماء للوضوء والتطهر حتى يصلوا — لم يكن التيمم قد فرض — وسوس الشيطان لقلوب بعض المسلمين بأنهم سيلقوا حتفهم عطشا .. عندها سيتحكم المشركون فيهم .. يهزموهم شر هزيمة .

جاءت نجدة السماء .. أنزل الله المطر .. شرب
 المسلمون وتطهروا .. ملأوا الأسقية وسقوا الركائب ..
 تلبد الرمل تحت أقدامهم فسهل عليهم السير .. استراحوا
 من الجهد الذي أصابهم .. من الحرج الذي أقلقهم ..
 أصابتهم غشية من النعاس فانقلبوا نياما .. فما نهضوا من
 نومهم إلا وقد تبدل حالهم .. صار خوفهم أمنا .. قلقهم غدا
 طمأنينة .. يقو الله تعالى " إذ يغشيكم النعاس أمانة منه ،
 وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم
 رجز الشيطان ، وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام " .
 في معسكر الشرك .. خرجت قريش عن بكرة أبيها ..
 أنهم سدنة البيت وأهل الحرم .. لم يذلوا أبدا من قبل ..
 زين لهم الشيطان سوء أعمالهم .. سيتصدون لمحمد
 وصحبه الذين تجرأوا على التصدي لغيرهم .. سيلقتوهم
 درسا .. لن يكون لهم وجود بعد ذلك اليوم .. خاطبهم
 الشيطان بأنه لا غالب لهم اليوم وأنه جار لهم .. ساروا
 معترزين بقوتهم .. يقينهم أنهم سيضربون الضربة القاضية
 التي تقضى على الإسلام وأهله.

عندما علم معسكر الشرك أن أبى سفيان نجا بالغير ..
 رغب كثير منهم في الرجوع .. لكن أبا جهل ركب رأسه ..
 عز عليه أن يرجعوا فتضعف شوكتهم بين العرب .. يطمع
 المسلمون فيهم .. أخذ يصيح في القوم : والله لا نرجع
 حتى نرد بدرا فنقيم عليها ثلاثا .. نحر الجزر .. نطعم
 الطعام .. نسقى الخمر .. تعزف القيان .. تسمع العرب بنا
 وبمسيرنا وجمعنا .. فلا يزالون يهابوننا أبدا .. وجعل
 يحرض الناس على مواصلة السير .

انقسم المعسكر إلى فريقين .. الأول يرى أن الخروج
 كان لإنقاذ العير .. وهى قد نجت .. فلا معنى للسير ..
 الفريق الثاني يرى رأى أبى جهل فيدعو إلى مواصلة السير
 .. حتى لا تسخر العرب منهم .. من الفريق الأول بنو عدى
 وبنو زهرة رجعوا .. أما بقية القوم واصلوا السير تحت
 ضغط من أبى جهل وشيعته .. حتى وصلوا إلى وادي بدر .
 نزلوا بالعدوة القصوى .. وهى الجانب الذى يبعد من
 المدينة ويتجه نحو مكة .

هكذا أرادت المشيئة الإلهية .. اجتمع الفريقان في وادي بدر .. المسلمون بالعدوة الدنيا مما يلي المدينة .. المشركون بالعدوة القصوى مما يلي مكة .. أما العير التي خرج الفريقان من أجلها . هرب بها أبو سفيان إلى ساحل البحر فنجا بها .

تدبير الله فوق كل تدبير .. إرادته وحدها المسيرة للحياة وأحداثها .. له الحكمة العليا في كل ما يدبر وما يريد .. جمع بين الفريقين على غير موعد .. دبر بينهما أسباب اللقاء .. على قلة المؤمنين وضعف عدتهم .. مع كثرة المشركين وقوة استعدادهم .. ليكون هذا اللقاء الذي اجتمعت فيه كل عوامل النصر الظاهرية إلى جانب المشركين .. كما اجتمعت كل عوامل الهزيمة الظاهرية في جانب المؤمنين .

أعطى المولى سبحانه وتعالى درسا لكل الدنيا .. فرق به بين الحق والباطل .. حتى سمي يوم الفرقان .. ميزان أسباب النصر والهزيمة .. ليست كثرة العدد ولا ضخامة الاستعداد ولا قوة الدعاية .. هي السبب الحقيقي للنصر ..

إنما أسباب النصر في صلاح العقيدة .. قوة الإيمان بها ..
طول الصبر عليها .. صدق الجهاد في سبيلها .. قال
سبحانه " ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض
ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين "

رسولنا الكريم بات قائما يصلى .. يدعو ربه أن ينجز
له وعده .. حتى طلع الفجر .. دعا أصحابه إلى الصلاة
فصلى بهم .. حرضهم على القتال .. خرج يبادر قريشا إلى
الماء .. نزل بأول ماء من مياه بدر .

الحباب بن المنذر أحد الصحابة الأظهر عالما بمياه
بدر.. سأل الرسول الكريم : أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا
أن نتقدم عنه أو نتأخر أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ ..
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " بل هو الرأي
والحرب والمكيدة " .. فقال الحباب: يا رسول الله .. ليس
لك هذا بمنزل .. فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من
القوم .. فاني أعرف غزارة مائه وكثرته فننزله .. فنغور
ما عداه من الآبار .. ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ..
فنشرب ولا يشربون .. فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم " لقد أشرت بالرأي " .. نهض بأصحابه حتى نزلوا حيث أشار الحباب .. صاروا بأقرب منزل من القوم .. حتى ليس بينهم وبينهم إلا كثيب من الرمل .. بنوا الحوض على البئر الذي أشار به الحباب .. طمسوا كل ما وراءهم من الآبار .

أشار سعد بن معاذ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنوا له عريشا .. يشرف منه على المعركة ويوجهها .. يأمن غيرة العدو ومكره .. أثنى رسول الله عليه ودعا له بخير .. بنى العريش على تل مشرف .. كما أشار سعد .. أعدت عنده أنجب الركائب .. ليكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه .

هكذا القائد .. الذي أرسى قواعد الشورى .. حتى في أحلك المواقف وأصعبها .. لم يرفض رأى صحابته .. لكنه شاورهم .. أستمع إليهم .. وافقهم على الرأي .

سوى الرسول الكريم الصفوف .. تفقد الرجال .. هيا أصحابه للقتال .. دفع رايته إلى مصعب بن عمير .. تقدم بها إلى موضعها الذي أمره أن يضعها فيه .. أستقبل

المغرب وجعل الشمس وراءه .. أقبل المشركون فاستقبلوا الشمس .

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه .. حثهم على القتال .. رغبهم في الأجر .. حمد الله وأثنى عليه ثم قال " أما بعد .. فاني أحثكم على ما حثكم الله عليه .. أنهاكم عما نهاكم عنه .. فان الله عظيم شأنه .. يأمر بالخير ويحب الصدق .. ويعطى الخير أهله على منازلهم عنده .. أنكم قد أصبحتم بمنزل من منازل الحق لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى به وجهه .. إن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم .. ينجي به من الغم .. تدرك به النجاة في الآخرة .. فيكم نبي الله يحذركم ويأمركم فاستحيوا اليوم أن يطلع الله عز وجل على شئ من أمركم يمقتكم عليه .. فان الله يقول : " لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم " .. أبلوا ربكم في هذه المواطن أمرا تستوجبوا به الذي وعدكم من رحمته ومغفرته .. فان وعده حق .. قوله صدق .. عقابه شديد .. إنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم ..

إليه ألبأنا ظهورنا .. به اعتصمنا .. عليه توكلنا .. إليه
المصير .. يغفر الله لي وللمسلمين ..".

أقبلت قریش .. رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
كثرتهم وقلة أصحابه .. توجه إلى الله يستعينه عليهم ..
فقال " اللهم هذه قریش قد أقبلت بخیلائها وفخرها تحادك
وتكذب رسولك .. اللهم فنصرک الذي وعدتني .. اللهم
أحنهم الغداة "

أرسل معسكر الكفر عمير بن وهب الجمحى يتعرف
على أحوال المسلمين .. وجدهم قليلو العدد .. تتراءى من
مناظرهم صور الموت .. تراصت صفوفهم .. تلاحمت
أجسامهم .. يدورون بعيون تبعث الموت .. تتحرك شفاهم
بما لا تظهره أصواتهم .. يسودهم صمت رهيب .. جاهدوا
في سبيلها .

رجع عمير إلى قومه .. قال : يا معشر قریش ..
البلايا تحمل المنايا .. نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ..
قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم .. والله ما أرى أن

يقتل رجل منهم حتى رجل رجلا منكم .. فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ؟ .

تعاظمت في أعين المشركين هيبة المؤمنين .. اخذ الخلف يدب بين صفوفهم من جديد .. جعل بعضهم يمشى إلى بعض .. رجاء أن ينفضوا قبل أن تنشب المعركة ويحتدم القتال .

أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بينهم من خلاف .. أرسل عمر بن الخطاب يطالبهم بالرجوع وعدم القتال .. أقتنع عتبة بن ربيعة بقول عمر إلا إن أبى جهل سفه رأى عتبة .. وصفه بالجبن .. أشاع بين الناس أنه لم يقل ما قال إلا خوفا على ابنه أن يقتل .. حرض الناس على الشر .. يقول: لا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد .. اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا بعرف .. حرض عامر بن الحضرمي الذي قتل أخوه في نخلة يحرضه على طلب ثأر أخيه .. فقام الحضرمي يحثو على نفسه التراب .. يصيح "واعمراه .. واعمراه " .. فحمى

الناس واستوثقوا على ما هم عليه من الشر .. اتخذوا أهبة الزحف والاستعداد للقتال .

بدأت قريش الزحف .. اندفع من صفوفها الأسود بن عبد الأسد المخزومي إلى حوض الماء الذي أقامه المسلمون .. يردد " أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن من دونه .. " .. تلقاه حمزة بن عبد المطلب بضربة من سيفه قطع بها ساقه فوقع على الأرض استمر يزحف حتى وصل إلى الحوض فتابعه حمزة بالسيف حتى قتله .

حمى عتبة بن ربيعة .. اندفع من الصف بين أخيه شيبه وابنه الوليد يدعون إلى المبارزة .. نادوا يا محمد أخرج إلينا أكفأنا .. أخرج إليهم سول الله صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب .. بارز عبيدة عتبة .. بارز حمزة شيبه .. بارز على الوليد .. حمزة وعلى قتلا من معهما .. أما عبيدة وعتبة وقع كلاهما على الأرض .. فكّر حمزة وعلى على عتبة بأسيا فجهزا عليه .. حملا

عبيدة فجاءا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساقه
قطعت .. أفرشه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشره
بالشهادة .

هجم المشركون على صفوف المسلمين .. أمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يكسروا هجماتهم
بالنبل .. دون أن يتركوا من أماكنهم .. لما أوشك الصفان
أن يتلاحما .. أمر الرسول الكريم أصحابه أن يحملوا عليهم
نادى " والذي نفس محمد بيده .. لا يقاتلهم اليوم رجل ..
فيقتل صابرا محتسبا .. مقبلا غير مدبر .. إلا أدخله الله
الجنة".

بقلوب ملؤها الإيمان بالحق هجم المسلمون على
المشركين .. الرغبة في الشهادة .. الطمع في ثواب الله ..
يحركهم ويدفعهم لجزء رءوس الكفر .. يتصيدونهم وسط
الجموع الزاحفة .. ينقضون عليهم كالصواعق ..
يتصايحون " يا منصور.. أمت .. أمت " .

هبت عليهم رياح الجنة .. هانت عليهم الحياة .. لذت
لهم الشهادة .. استهانوا الموت في سبيلها .. أمدهم الله

بروح من عنده .. ازدادت الحماسة .. ارتفعت الحرارة ..
تضاعفت القوة .. يحس الواحد منهم أن كفاء لعشرة من
المشركين .. يد الله فوق يده .. تحرك سيفه فيضرب ..
تسد رميته فيرمى .. أنه في حشد من حشود الله الخفية
.. التي لا يدرك كنهها ولا يعرف مداها .

تضاعلت في أعينهم كثرة المشركين .. أكتسحوهم كما
يكتسح السيل الغناء .. انعقد فوق المعركة جو رهيب ..
ملأ قلوب المشركين بالرعب .. بقدر ما ملأ قلوب المسلمين
بالقوة والثبات .

رسول الله في عريشه .. يتابع المعركة .. تارة ينزل
إلى المعمة ينهض الهمم .. يحث على القتال .. تارة
يصعد إلى العرش يدعو ربه و يستغيثه .. يقول " اللهم
أنشدك عهدك ووعدك .. اللهم أرعب قلوبهم .. زلزل
أقدامهم " .. ما زال يدعو حتى سقط الرءاء عن منكبيه
فالتزمه أبو بكر يسوى رءاءه .. يقول له إشفاقا : يا رسول
الله بعض مناشدتك ربك .. انه منجز ما وعدك..

استقبل الرسول أبو بكر مستبشرا .. قال " أبشر يا أبا بكر .. أتاك نصر الله .. هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده عليه غبار المعركة .

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه .. يبشرهم بنصر الله .. يقول لهم " شدوا .. سيهزم الجمع ويولون الدبر .. من قتل قتيلًا فله سلبه .. من أسر أسيرًا فهو له " .. حمل المسلمون عليهم حملة صادقة .. تصدعت جموع المشركين .. انهارت قواهم .

ألقي الرعب في قلوب الجميع من معسكر الكفر .. ألقوا بأثقالهم وفروا من المعركة .. نجاة لأنفسهم من الموت .. انقض المسلمون عليهم يأسرون ويهزمون ويغنون .

عصرا تصدعت جموع الشرك أمام قوة الإيمان .. انجلت المعركة عن سبعين قتلا وسبعين أسيرا من المشركين .. غنم المسلمون كل ما خلف المشركون من زاد وعتاد .. الذين فازوا بالشهادة من المؤمنين كانوا أربعة عشر شهيدا .

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدفن الشهداء من المؤمنين .. كما أمر أن يوارى القتلى من المشركين في بئر مهجور ببدر .. وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول " هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ .. فاني وجدت ما وعدني ربي حقا " .. قال أصحابه : يا رسول الله أتكلم الموتى ؟ .. فقال لهم " أنهم أسمع بي منكم " .

أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيرين إلى المدينة .. يبشران بالنصر .. أرسل عبد الله بن رواحه إلى أهل العالية .. كما أرسل زيد بن حارثة إلى أهل السافلة .
بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته بوادي بدر.. في الصباح أرتحل بأصحابه إلى المدينة .. معه الأسرى من المشركين والغنائم .. في الطريق قسم الغنائم على أصحابه .. جعل للفرس نصيبا وللفارسي نصيبا .. جعل للورثة حصة من استشهد من المسلمين .. كما منح من كفهم أعمالا غير القتال ومن حجزهم عذر قاهر بنصيب كمن حضر القتال .

أستقبل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالروحاء .. قدموا له التهنئة بما فتح الله عليه .. اعتذروا له عما كان من تأخرهم في الخروج معه .

ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل والقذوة في حسن معاملة الأسرى .. وزعهم على أصحابه .. دعاهم أن يستوصوا بهم .. أكرمهم المسلمون .. قال احدهم " كانوا — يقصد المسلمين — إذا قدموا غداهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر .. لوصية رسول الله إياهم بنا .. ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفخني بها .. فاستحي فأردها عليه فيردها على ما يمسيها .

استشار الرسول الكريم أصحابه في الأسرى .. أشار بعضهم إلى قتلهم أو حرقهم .. أنهم رءوس الكفر .. أئمة الضلالة .. لما أسلفوا من الإساءة إلى المسلمين .. بعضهم أشار إلى قبول الفدية .. لعل الله أن يقبل بقلوبهم فيتوبوا .

آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفداء .. طلب أن يفدى كل أسير نفسه .. عتب الله على رسوله قبوله الفداء وآثره على الإثخان .. بكى رسول الله حين نزلت

الآيات الدالة على ذلك .. تمنى أخذه برأى عمر في قتل الأسرى .. قال تعالى " ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم " .

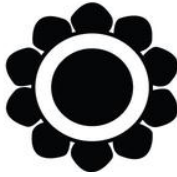
غفر الله سبحانه وتعالى لرسوله عن هذه الهفوة .. أحل له وللمسلمين أخذ الغنيمة .. فقال تعالى " فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم " .

من الرسول الكريم على فقراء الأسرى .. أطلقهم بغير فداء .. جعل فداء بعضهم ممن يعرفون الكتابة أن يعلم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة .. وهذا دليل على أهمية العلم والتعلم .. أما أغنياؤهم فطلب أن يفديهم أهلهم .. فداء الواحد يتراوح بين ألف وأربعة آلاف درهم بحسب حاله من الضيق والسعة .

في نفس الوقت رفض رسول الله أن يمن على عمه العباس .. كان بين الأسرى .. طالبه أن يفدى نفسه وفدية نفر من أهله .. كما طالبه بفدية من حالفه وكان معه .

انتصر المسلمون في بدر .. على قلة عددهم وضعف
أهبتهم .. مع كثرة عدوهم وقوة استعدادهم .. إن الله أمد
المؤمنين بمدد من قوته .. أيدهم بروح من عنده .. أنزل
جنودا لم يروها .. كتب لهم النصر جزاء ما صبروا
وصدقوا .. جزاء ما تحملوا من تضحيات وآلام .

إن تأييد الله للمسلمين .. خذلانه للكافرين .. ليحق
الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون " يريد الله أن يحق
الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل
الباطل ولو كره المجرمون . إذ تستغيثون ربكم فاستجاب
لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين . وما جعله الله
إلا بشرى ولتطمئن قلوبكم ، وما النصر إلا من عند الله ،
إن الله عزيز حكيم " .



حرب الكرامة ..

حز في نفوسهم انتصار المسلمين .. ستقوى شوكتهم
في المدينة .. سيعز الإسلام ويظهر .. يكون لرسوله
الخطوة .. أنهم يهود المدينة . . كان نبي الله يطمع في
إيمانهم .. لأنهم أهل دين .. يدعون إلى التوحيد كما يدعو
الإسلام .. أهل علم يؤمنون بمنطق العقل.. حرصهم على
مكانتهم الدينية ومنافعهم الدنيوية .. دعا أحبارهم
ورؤساءهم إلى حسد الرسول والطعن في رسالته .. ناوأوا
الإسلام .. نفوسهم غلت بالعداوة .. خاصة بعدما رأوا
الإسلام يستعلى بعد بدر .

لم يعودوا يطيقون العداوة سرا .. أخذوا يعلنون بها
ويجاهرون .. من وقتها بدأت العلاقة بين اليهود
والمسلمين تنقلب إلى عداة ظاهر.. أخذ العداة يتطور
ويستحكم .. أخذ اليهود يكيدون للإسلام ويأتمرون به ..
يعملون للقضاء عليه بكل ما يستطيعون من وسيلة .

بعد انتصار بدر نقضوا عهد المسالمة مع المسلمين ..
انطلق شعراؤهم يستهزئون بالمسلمين .. يهونون من

انتصارهم في بدر .. يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم وينالونه بالكلام الساخر .

بنو قينقاع أول من جاهر بالعداوة .. كانوا أشجع اليهود .. أقربهم إلى المسلمين منازل .. يسكنون بينهم في وسط المدينة .. أما بنو النضير وبنو قريظة فكانت مساكنهم في أرياض المدينة وأطرافها .

الجو أصبح مشحونا بالعداوة .. أصبحت النفوس مهياة للثورة .. أي عمل كافيا لإشعال نار الحرب بين الفريقين .

الشرارة التي أشعلت هذه النار.. حادثة امرأة مسلمة ذهبت إلى سوق بنى قينقاع .. جلست في حاجة لها عند صائغ .. انتهك أحد اليهود حرمتها .. أدت إلى انكشاف عورتها.. اندفع احد المسلمين إلى اليهودي فقتله .

تجمع اليهود على المسلم فقتلوه .. تنادى المسلمون واليهود .. أوشك الأمر أن يكون مذبة .. لولا رسول الله تغلب بحكمته على إطفاء هذه الشرارة .

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساءهم ..
حذرهم عاقبة البغي ونكث العهود .. حذرهم ما نزل بقريش
من النعمة .. طالبهم بأن يسلموا .. رفضوا .

أصبح بنو قينقاع أعداء .. يدعون إلى الشر ..
يدفعون بأقوالهم وأفعالهم إلى الحرب .. فهل يأمن المسلمون
جانبهم بعد هذا ؟ .. أنزل الله على رسوله قوله سبحانه
وتعالى " إما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ،
إن الله لا يحب الخائنين " .. أنهم بدت في أعينهم الخيانة
.. نقضوا عهودهم التي عاهدوا رسول الله عليها .. أخذوا
يتحرشون به وبأصحابه .. يتلمسون الأسباب لإثارتهم
وغيظهم .. أصبحوا لا أمان لهم وهم يجاورون المسلمين
في مساكنهم .. يخالطونهم في أعمالهم .. يعرفون كثيرا
من دخالهم .. يطلعون على كثير من أسرارهم .. فلم يكن
من بد إذن في عمل حاسم يؤمن للمسلمين شرهم .

أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب عليهم ..
اعتصموا بحصونهم .. حاصرهم رسول الله وأصحابه
خمسة عشر يوما .. لا يصل إليهم طعام ولا شراب ولا مدد

ولا معونة .. لم يأت إليهم نجدة من بنى النضير ولا من بنى قريظة .. مما يؤكد خيانتهم .. أنهم الذين بغوا وظلموا دعوا إلى الحرب بنقضهم الميثاق .. مجاهرتهم بالعداوة .. مناوأتهم للرسول وصحبه .

طال الحصار .. عجزوا عن المقاومة .. أدركهم الرعب .. سألوا رسول الله أن يخلى سبيلهم .. يخرجوا من المدينة مع نساءهم والذرية .. ولرسول الله وصحبه الأموال والسلاح .

وافق رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أمهلهم ثلاثة أيام .. وكل إلى عبادة بن الصامت الإشراف على جلائهم .. رحلوا إلى أذرعات من بلاد الشام .

غنم المسلمون أموالهم وسلاحهم .. كانت شيئا كثيرا .. لاشتغالهم بالذهب والفضة .. كانوا يهونون اقتناء السلاح .. احتجز الرسول الخمس من الغنائم لله ولرسوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل .. وزع الباقي على أصحابه.

غزوة قينقاع كانت في السنة الثانية من الهجرة
المشرفة .. في منتصف شوال .. خلف فيها رسول الله
على المدينة أبا لبابة الأنصاري وجعل اللواء إلى عمه
حمزة بن عبد المطلب .

هكذا خلت المدينة من بنو قينقاع .. الرواة يجمعون
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع اليهود حين قدم
المدينة .. كتب بينه وبينهم عهدا .. يسألموه ويسألمهم ..
يدعوه ودينه ويدعهم ودينهم .. ألا يظاهروا عليه عدوا ..
يكونوا مع المسلمين يدا واحدة على من دهم المدينة
وحارب أهلها .

هذا العهد ضمان كاف .. ليعيش اليهود مع المسلمين
في أمن وسلام .. نصوصه صريحة واضحة .. تحدد
الواجبات والحقوق .. الأساس الذي قام عليه التعاون
والإخلاص والمسالمة .. التناصر على كل ظالم ومعتد .

السؤال الذي يثار .. هل كان اليهود مخلصين ؟ .. الله
العليم بأسرار النفوس يشهد عليهم .. يحذر المؤمنين من
الاطمئنان إليهم والثقة بهم .. يقول سبحانه " يا أيها الذين

آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألوكم خبالا ، ودوا لو
 عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم
 أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون . ها أنتم أولاء
 تحبونهم ولا يحبونكم ، وتؤمنون بالكتاب كله ، وإذا لقوكم
 قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ، قل
 موتوا بغيظكم ، إن الله عليم بذات الصدور ، إن تمسكم
 حنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ، وإن تصبروا
 وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ، إن الله بما يعملون محيط " .
 تصور الآيات بدقة نفسية اليهود .. توضح ما تخفية
 صدورهم من كوامن الحقد والعداوة للمسلمين .. أعمالهم
 مصدقة للوصف .. فما يغيظ اليهود من انتصار المسلمين
 على قريش إلا العداوة التي امتلأت بها نفوسهم .. جعلت
 نفوسهم تفيض .. نطقت ألسنتهم .. صرحت بها جوارحهم
 .. نقضوا العهد .. صاروا في عداد الأعداء .. بعد أن كانوا
 يستخفون ويدعون أنهم أوليائه .

كبيرهم .. كعب بن الأشرف .. ما الذي جعله يذهب
 إلى قريش ؟ .. ذهب ليستثيرهم على محمد وصحبه ..

الرواة جميعهم أجمعوا على ذلك .. بل انه أطلق لسانه في
أعراض المسلمات .. آذى المسلمين وأثار حفيظتهم .. لذا
قرر الرسول الكريم قتله .. حدث ذلك بالفعل .

مشركو المدينة .. بعد هذه الأحداث .. بدأوا
يتحسسون أن المستقبل قد لا يكون لهم .. لكنهم لم يكونون
على ثقة من ذلك .. أخذوا يعيدون النظر في موقفهم من
الإسلام .. يخشون إن ظلوا على عداوتهم للإسلام أن
تكتسحهم قوته .. لكنهم يخشون أن نصرهم فورة وقتية ..
لمحة عارضة .. يعودون بعدها إلى الضعف .. يعودون إلى
الاستكانة .. فهم إذا أسلموا فلن يكسبوا بإسلامهم شئ ..
إلا عداوة غير المسلمين .

قرروا الإسلام ظاهريا .. دخلوا في عداد المسلمين ..
كفروا باطنا .. استطاعوا أن يقفوا على كثير من أسرار
الإسلام .. يقدموها لأعداء الإسلام كلما وجدوا فرصة
سائحة .

وقع المسلمون في حيرة من أمر هؤلاء المنافقين ..
فلا هم كافرون ظاهرين بكفرهم .. حتى يعاملهم المسلمون

معاملة الأعداء .. ولا هم مسلمون مخلصون في إسلامهم .. حتى يطمئنوا إليهم .. لذا أصبحوا من القوى التي تهدد الدولة الإسلامية الناشئة .. التي يجب استئصالهم في أقرب وقت ممكن .

إذا عدنا إلى قريش .. نجدها تعيش في حداد .. ناحت على قتلها .. لم يدر بخلداهم أن محمدا ينتصر عليهم .. خشيت أن يشمت فيهم المسلمون فكفوا عن النواح .. قلوبهم ظلت تطفح بالحزن على صرعى بدر .

قرروا أنه لن يبرد لوعة حزنهم سوى الانتقام .. جز النساء شعورهن .. خاصمن الأزواج. غدا الرجال شعنا يسودهم الوجوم والصمت .. تعلوهم الكآبة .. قريش كلها لا هم لها إلا الثأر من محمد وصحبه .

بعد شهرين ونصف من بدر .. خرج أبو سفيان في مائتي راكب من قريش .. جاعوا حياى بن أخطب من بنى النضير .. رفض استقبالهم .. ذهبوا إلى سلام بن مشكم فاستقبلهم .. أكرمهم وأخبرهم من أخبار محمد .. وقت السحر خرج أبو سفيان .. على بعد ثلاثة أميال من المدينة

.. قتل رجلا من الأنصار وأجير له وحرقت بيتا .. وولى هاربا.

نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه بالخروج .. خرج في مائتي راكب من الأنصار والمهاجرين .. يطلب أبو سفيان .. جد أبو سفيان وأصحابه في الهرب .. تخففوا من أثقالهم .. ألقوا جرب السويق التي تضم أزوادهم .. جمعها المسلمون ولم يلحقوا بهم .. سميت غزوة " السويق " .

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .. بعد غياب خمسة أيام .. استعمل عليها أبا لبابة بشير بن عبد المنذر .

لم تحقق قريش شيئا من هذه الغزوة .. بل كان هروبها شر هزيمة .. لذا باتت تعد العدة لغزوة أكبر .. تسترد بها كرامتها وهيبتها بين العرب .. لعودة كرامتهم المهذرة .. لتأمين تجارتهم إلى الشام .

حاول القرشيون تحويل طريق التجارة إلى الشام .. ليكون عبر الساحل .. تجهز صفوان من الفضة والبضائع

بما قيمته مائة ألف درهم .. انطلقت القافلة .. عينا من عيون المسلمين وقفت عليها .. بعث رسول الله زيد بن حارثة في مائة راكب من المهاجرين والأنصار.. اعترضوا القافلة عند ماء " القردة " .. فر رجالها وتركوا العير وما عليها .. أخذها المسلمون فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه .

حدثت مناوشات بين المسلمين وبعض القبائل العربية القريبة من المدينة .. غنم المسلمون فيها بعض الغنائم .. ارهبوا الخارجين من هؤلاء البدو .. كلما علم الرسول بتجمعهم يفاجئهم قبل أن يستعدوا .. يشتت شملهم فوق رؤوس الجبال .. من ذلك غزوة بنى غطفان بذي أمر من ناحية نجد في ربيع الأول من السنة الثالثة .. وغزوة بنى سليم ببحران في جمادى الأولى من هذه السنة .

يوم الأُحزان ..

أخذت قريش تستجمع قوتها .. تعد للضربة القاصمة .. تقضى على محمد وصحبه .. تفرغ من أمر دعوته ودينه .. أعدت العدة .. رصدت الأموال .. عبأت القوى .. جمعت السلاح .. بعثت رسلها إلى قبائل العرب تستنصرهم .. تستعين بهم على الضربة القادمة .

عام كامل بذلت الأموال .. جمعت من أنصارها .. بلغت من ذلك ما أرادت .. غدت في أتم أهبة وكل استعداد .
لم يكد يستدير العام .. حتى خرجت في جيش يضم رجالها .. يرافقها من والها من رجال تهامة وكنانة .. معهم من حالفها من الأحابيش من بنى المصطلق وبنى الهون بن خزيمة .. توجهت إلى المدينة لتضرب الضربة القاضية .

أبت نساء قريش إلا أن يكن معهم .. يحمسن الرجال .. يثرن الحمية .. خرج منهن من ربات الخدور أربع عشر امرأة .. على رأسهن هند بنت عتبة زوج أبى سفيان بن حرب .. خرج مع الجيش أبو عامر الأوسى .. وهو من رجال الأوس ومعه خمسون من شيعته وغلماهم .

في أوائل شهر شوال من السنة الثانية من الهجرة ..
 خرج الجيش الجرار من مكة .. يقوده أبو سفيان بن حرب
 .. يحمل لواءه طلحة بن أبي طلحة .. على يمينته خالد بن
 الوليد .. على يسارته عكرمة بن أبي جهل .. على رجالته
 صفوان بن أمية .. ثلاثة آلاف مقاتل في أكمل استعداد
 وأحسن تعبئة .. منهم مائتان من الفرسان المدربين على
 ظهور الخيل .. سبعمائة من الدراعين المحصنين بالزرد
 والدروع الواقية .. يحملون عدد كبير من الركائب ..
 يتبعهم حشد كبير من العبيد والغلمان .. معهم عبد حبشي
 اسمه "وحشي" يجيد الرماية بالحرا ب .. أغراه سيده جبير
 بن مطعم على قتل حمزة بن عبد المطلب .. إن قتله فهو
 حر . . كذلك أغرته هند بنت عتبة على قتله وأنه سيغنم
 لقاء ذلك .. كان حمزة قتل في بدر طعيمة بن عدي عم
 جبير وعتبة بن ربيعة والد هند .

خرجت قريش في جو من الستر .. خطتها أن تفاجئ
 المسلمين في عقر دارهم .. قبل أن يستعدوا .. تأخذهم
 على غرة .. إذا أخفقت المفاجأة فالخطة التفريق بين

صفوف المسلمين عند اللقاء .. فان لم تفلح والتحم الفريقان فالخطة الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم برعوس أصحابه من المهاجرين .. كما فتك المسلمون برعوسهم في بدر .

واصلت قريش السير حتى نزلت في وادي أحد .. على نحو خمسة أميال من المدينة .. أرسل العباس إلى النبي صلى الله عليه وسلم بخروج قريش .. بدونها كان الجيش سيطبق على المدينة في غفلة من أهلها .

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطلع خبر القوم .. جاءوا إليه فأخبروه بمنزلهم من وادي أحد .. قدروا أعدادهم وعتادهم .. أطلق المشركون خيولهم وجمالهم في مزارع المدينة .. جعلت تأكل الزرع والشجر حتى أوشكت تدخل المدينة .. بات الخطر جاثما على الأبواب .. صار الواجب على المسلمين أن يأخذوا حذرهم ويستعدوا .. حرسوا المدينة كلها طوال الليل .. باتوا يحملون السلاح .

في الصباح جمع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه .. تشاوروا كيف يلقون عدوهم .. قال لأصحابه " أشيروا على " .. فقال الأنصار : إن مدينتنا عذراء ما فضت علينا قط .. ما خرجنا إلى عدو قط إلا أصاب منا .. وما دخل علينا قط إلا أصبناه .. فدعهم يا رسول الله فإنهم إن أقاموا أقاموا بشر محبس .. إن رجعوا رجعوا خائبين مغلوبين لم ينالوا خيرا "

رأى الأنصار وافق رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم " امكثوا في المدينة .. اجعلوا النساء والذراى في الآطام .. فان دخلوا عينا قاتلناهم في الأزقة .. نحن أعلم بها منهم .. أرموهم من فوق الصياصى والآطام ."

قال فتیان أحداث لم يشهدوا بدرا .. رغبوا في الشهادة .. أحبوا لقاء العدو .. " أخرج بنا يا رسول الله إلى عدونا " .. وقال رجال من أهل السن وحسنى النية .. " إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج إليهم جنباً عن لقائهم .. فيكون هذا جرأة منهم علينا .. كنت يوم بدر

في ثلاثمائة فظفرك الله عليهم .. اليوم نحن بشر كثير ..
كلنا نتمنى هذا اليوم .. ندعو الله به ساقه الله إلينا
في ساحتنا " .. قال أحد الصحابة " يا رسول الله نحن بين
إحدى الحسنين .. إما يظفرنا الله بهم وهذا الذي نريد ..
الأخرى يرزقنا الله الشهادة وان فيه كلا خيرا " .. وقال
حمزة بن عبد المطلب " والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم
اليوم طعاما حتى أجالدهم بسيفي خارجا من المدينة " ..
وقال النعمان بن مالك " يا رسول الله لم تحرمنّا الجنة ؟ فو
الله الذي لا إله إلا هو لأدخلنها " .

المبعوث رحمة للعالمين .. يشاور قومه وأصحابه في
أدق الأمور .. لم يتخذ قرارا ثم يدافع عنه .. لكنه استمع
إلى كل الآراء .. رأى أن الخروج هو الرغبة الغالبة ..
كثرة الناس تدعو إليه .. صلى بهم الجمعة .. وعظهم
وأمرهم بالجد والجهاد .. أخبرهم أن لهم النصر ما صبروا

فرح الناس بالخروج إلى عدوهم .. كثيرا منهم كرهوا
ذلك المخرج .. لما رأوا في وجه رسول الله من الكراهة

له .. لكنهم اتخذوا أهبتهم للقتال.. لبسوا درعهم .. تقلدوا سيوفهم .. توافدوا على مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام .. لما كان العصر صلى بهم رسول الله .. أمر أن يرفع النساء والأطفال في الآطام والحصون .. دخل بيته ولبس ملابس الحرب .. الناس خارج البيت يتناقشون ويتجادلون .. لا يزال فريق منهم يرون أن البقاء هو الأصوب .. أن بعضهم استكره رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج .. عزم عليه وهو كاره .

جاء سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا " قلتم لرسول الله ما قلتم واستكرهتموه على الخروج .. الأمر ينزل من السماء .. ردوا الأمر إليه .. فما أمركم فافعلوه .. ما رأيتم له فيه هوى أو رأيا فأطيعوه " .

خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام عليهم وهو مرتدي "لامته" ملابس الحرب .. فقال الذين كانوا يلحون عليه في الخروج : يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك .. أصنع ما بدا لك .. فقال " دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم .. لا ينبغي لرسول إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله

بينه وبين عدوه .. أنظروا ما أمرتكم به فاتبعوه .. امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم " .

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف مقاتل .. عقد ألوية ثلاثة .. دفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير .. دفع لواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر .. أما لواء المهاجرين فدفعه إلى مصعب ابن عمير .. دعا بفرسه فركب وخرج معهم .. يصحبه مائة من لابسى الدروع .. بينما المسلمون عن يمينه ويساره .. السعدان " سعد بن عباد وسعد بن معاذ يعدوان أمامه " .. أمر على المدينة ابن أم مكتوم يصلى بالناس .. كان ذلك يوم الجمعة السادس من شوال .

عسكر سول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه في مكان يقال له الشيخين .. استعرض الجيش .. رد من استصغر سنه .. بات ليلته .. استعمل على حراسة الجيش محمد ابن مسلمة وعلى حراسته هو ذكوان بن قيس .

سار بجيشه في السحر .. وصل بستان بين المدينة وأحد يسمى الشوط .. هناك انشق ثلث الجيش على رسول

الله .. رجع عبد الله بن أبى بثلاثمائة من أصحابه وهو يقول : أطاع الغلمان وعصاني .. فعلام نقتل أنفسنا ها هنا. حثت خليلة عظيمة في بناء الجيش .. همت بنو حارثة من الخزرج وبنو سلمة من الأوس أن تفعلوا فعل أصحاب بن أبى .. الله عصمهم بإيمانهم .. عادا إلى صفوف الجماعة .. ساروا مع الجيش كما يسيرون .

مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبل أحد .. انه جبل كثير المسالك والشعاب .. تقطعه عدة وديان .. يدور دورة واسعة في مواجهة السهل الضيق الذي وقفت عنده قريش .. به تعرجات الأرض جعلت انحداره فجوات تشبه الحفر .. تصلح للاختفاء في الحرب الدفاعية لقذف النبل .

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب على جانب الوادي .. يجاوره تل يقال له عينين .. صف أصحابه .. عبأهم للقتال .. جعل ظهورهم إلى الجبل يحتمون به من الخلف .. وجوهمهم إلى المدينة .. يستقبلون الوادي .. يشرفون عليه من أعلاه .. أمر خمسين من الرماة

بالتمرکز علی جبل عینین .. أمّر علیهم عبد الله بن جبر
 .. طالبهم أن یحموا ظهور المسلمین عند القتال .. ألا
 یبرحوا مکانهم سواء أکان النصر للمسلمین أم علیهم .. أكد
 الوصیة علیهم ألا یغادروا مواضعهم وإن رأوا أصحابهم
 تتخطفهم الطیر .

انتهی الرسول صلی الله علیه وسلم من تنظیم
 الصفوف .. إعداد المواضع .. خطب فی أصحابه ..
 حرضهم علی القتال .. حثهم علی الصبر .. أمرهم ألا یبدأوا
 بقتال حتی یأذن لهم .

ظهر القرشیون فی السهل المنبسط تحت التل .. صار
 الجیشان وجها لوجه .. ظهرت نساء قریش یمشین بین
 الصفوف .. یضربن بالدفوف .. ینشدن الأناشید .. تحریرا
 علی القتال .. لإثارة حمیة الرجال .

عندما ألتقی الجمعان .. بدأ أبو سفیان خطة التفریق
 بین الأتصار والمهاجرین .. ناداهم " یا معشر الأوس
 والخزرج .. خلوا بیننا و بین بنی عمناء وننصرف عنکم " ..
 ذهب نداؤه صرخة فی فضاء .. أعقبه أبو عامر الراهب

فبرز بين الصفوف ينادى قومه الأوس .. فما كان جوابهم
إلا الرجم بالحجارة .

أخفقت خطة التفريق .. كما أخفقت خطة المفاجأة ..
حاولت قريش تطويق المسلمين .. تضم عليهم جناحيها ..
بحركة التفاف سريعة .. تحرك لواء عكرمة من الميسرة
ليدور حول عسكرهم فلم يستطع .. حاول خال من اليمين
فأمطره الرماة وابلا من النبال .. فارتدت الخيل على
أعقابها مسرعة .. عاد المشركون إلى أماكنهم .. كما كانوا
في أول المعركة .

خرج من صفوف المشركين رجل يطلب المبارزة ..
برز له الزبير بن العوام فقتله .. سر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكبر فكبر المسلمون وشدوا على أعدائهم وهم
يتصايحون " أمت .. أمت " .

هجم على بن أبي طالب على حامل لوائهم طلحة بن
أبي طلحة فقتله .. أخذ اللواء أخوه عثمان .. حمل عليه
حمزة بن عبد المطلب فقتله .. اخذ اللواء أخوهما أبو سعيد
فرماه سعد بن أبي الوقاص بسهم فقتله .. فتناوب اللواء

بعده أربعة من أولاد طلحة .. كلهم يقتلون واحدا بعد واحد .. حمل اللواء غلام لهم فقتل أيضا .. سقط اللواء على الأرض .. أخذ المشركون بذلك أخذًا شديدًا .. انكسرت شوكتهم .. انفرجت صفوفهم .. حمل المسلمون عليهم حملة صادقة .. أمعنوا فيهم ضربًا بالسيف .. طعنا بالرمح .. رميا بالسهم .. انكشفوا .. ولوا الأدبار .. صاحت نساءهم وتولول .. أخذن يتسابقن في الهرب والفرار من الأسر .. مشمرات عن سيقانهن وخلايلهن .

تبع المسلمون أعداءهم .. يضعون فيهم السلاح .. أبعدهم عن المعسكر .. وقعوا على الغنائم والأسلاب يجمعونها .. مطمئنون إلى أن ظهورهم محمية بالرماة .

الرماة .. خيل لهم أن المعركة انتهت .. الهزيمة تمت .. خشوا أن يسبقهم إخوانهم في جمع الغنائم .. قرروا النزول من الجبل والمشاركة في جمع الغنائم .. أميرهم يذكرهم وصية رسول الله بألا يغادروا المعسكر .. تركوه في نفر لا يجاوز العشرة .. نزلوا إلى أرض المعركة .. انكشف الحصن الذي كان يحمي ظهور المسلمين .

خالد بن الوليد أثناء تقهقره نظر إلى جبل الرماة ..
 رأهم يتركونه .. انقلب راجعا في دورة واسعة .. جاء في
 أعقابهم عكرمة بلوائه .. تسللوا فوق الجبل .. أزاحوا
 الرماة .. اقتحموا خطوط المسلمين من الخلف .. جعلوا
 يتنادون .. أقبل المشركون بعد إدارهم .. أخذت عمرة بنت
 علقمة الحارثية اللواء فرفعته .. جعلوا يلوحون به .

فوجئ المسلمون بأعدائهم قد التفوا حولهم ..
 حاصروهم .. أوجعوا فيهم قتلا ذريعا .. اضطرب أمرهم ..
 انتفضت صفوفهم .. جعلوا يقاومون على غير نظام ..
 يقاتلون بدون خطة .

وسط هذه الفوضى .. صرخ صوت يقول " إن محمدا
 قتل " .. أخذ المسلمون بهذه الصرخة .. زلزلوا .. دبّت في
 صفوفهم روح الهزيمة .. سرى في روحهم التخاذل ..
 تفرقوا .. منهم من أمعن في الفرار لا يلوى على شئ ..
 منهم من ثبت همه الدفاع عن نفسه أو يقاتل حتى يقتل ..
 منهم من أذهلته المفاجأة فألقى بسلاحه وأستسلم .. منهم
 من أخذته الحيرة لا يدري ماذا يفعل ؟ .

رسول الله فطن لخرج الموقف .. صاح فيهم " إلى عباد الله .. إلى عباد الله .. أما رسول الله " .. ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجه العدو .. قاتل قتالا شديدا .. ظل يرمى بالنبل .. حتى فتى نبلة .. انكسرت قوسه وانقطع وتره .. بدأ يرمى الحجارة حتى وقع على جنبه .

ثبت معه نفر من أصحابه دون العشرة .. بايعوه على الموت .. حاطوا به يصدون عنه هجمات العدو .. التفوا حوله من كل ناحية .. يتلقون عنه ضربات العدو .. يذودون عنه .. يقاتلون دونه .. حتى استطاعوا أن يحولوا بينهم وبينه . أبلى هؤلاء النفر من الصحابة أحسن البلاء .. امتاز فريق منهم بالصدق والشجاعة .. قاتل طلحة بن عبيد الله قتالا شديدا .. صار يذود بالسيف عن الرسول من بين يديه ومن خلف وعن يمينه وعن شماله .. يدور حول رسول الله يترس بنفسه دونه والسيوف تغشاه والنبل يأتيه من كل ناحية .. فلم يزل حتى انكشف المشركين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فيقول

صلى الله عليه وسلم " أوجب طلحة لنفسه الجنة بصدق دفاعه عنى " .

كان شماس بن عثمان بن الشريد المخزومى .. لا يرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره يمينا ولا يسارا إلا رآه يذود بسيفه .. حتى أحاط العدو برسول الله فجعل نفسه ترسا بينه وبين العدو .. يقاتل حتى استشهد .. فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما وجدت لشماس شبيها إلا الجنة " .

أبو طلحة كان راميا جيدا .. نثر كنانته بين يدي رسول الله وصار يرمى عنه .. ترس أبو دجانة بنفسه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم .. جعل النبل يقع في ظهره وهو منحني عليه حتى كثر فيه النبل .. رمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ناوله رسول الله النبل وهو يقول " فداك أبى وأمي " .. دافعت أم عمارة عن رسول الله حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا .. الحباب بن المنذر يحوش المشركين كما تحاش الغنم .. زياد بن السكن في نفر من الأنصار يقاتلون دون رسول الله

حتى استشهدوا جميعا .. مات مصعب بن عمير وهو يتلقى ضربة سدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 مات في ذلك اليوم دون رسول الله شهداء كثيرون ..
 كلهم يفديه بنفسه .. يحول بينه وبين العدو .. أصيب معه نحو ثلاثين .. كلهم يجئ .. يتقدم بين يديه .. يقاتل حتى يصاب .

أربعة من قریش تعاهدوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الأول عبد الله بن شهاب شج جبهته حتى سال الدم على وجهه فأخضل لحيته .. الثاني عتبة بن أبى وقاص أصاب شفته السفلى وكسر ربايعته اليمنى .. الثالث عمرو بن قمنه أصاب وجنته حتى دخلت فيها حلقتان من حلق القناع الحديد ثم ضربه بالسيف على عاتقه فوقع في حفرة فجحشت ركبته .. أما الرابع فهو أبى بن خلف شد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول " يا كذاب أين تفر ؟ " فطعنه رسول الله بحربة في عنقه فمات وهم عائدون إلى مكة .

عرف المسلمون أن رسول الله لا يزال حيا .. أحاطوا به .. حتى ابعدوا عنه العدو .. أول من عرف رسول الله كعب بن مالك فنادى بأعلى صوته "يا معشر المسلمين .. ابشروا .. هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فاء إلى رسول الله فئة من المسلمين .. نهضوا به إلى الشعب .. احتمى به مع يحتمي به .. نهض صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها .. لم يستطع من كثرة ما نزف من الدماء .. فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها .

أكتفى المشركون بما فعلوا .. انتقاما ليوم بدر .. هدأت المعركة .. خمدت حرارتها .. شغل المشركون بدفن قتلاهم .. أخذت نساءهم يمثلن بالقتلى من المسلمين .. يجدعن أنوفهم وآذانهم .. يتخذن منها قلائد .. مثلت هند بنت عتبة بحمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضع تمثيل .. بقرت بطنه .. أخرجت كبده .. قضمتها بأسنانها لتأكلها .. فلما لم تستطع أن تستسيغها لفظتها .

تفقد أبو سفيان القتلى .. كان همه أن يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القتلى .. عندما لم يجده خامره الشك أنهم قتلوه .. ذهب إلى ناحية الشعب الذي اعتصم فيه الرسول وأصحابه ونادى " أفيكم محمد ؟ .. أفيكم ابن قحافة ؟ .. أفيكم ابن الخطاب ؟

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يجيبوه .. عندها قال "أما هؤلاء فقد كفيتموهم " .. فقال عمر بن الخطاب " كذبت يا عدو الله .. أبقى الله لك ما يسوءك " .. فقال أبو سفيان " إنكم ستجدون في القوم مثله .. لم آمرهم بها ولم تسؤني " ثم ارتجز قائلاً " نعمت فعال .. إن الحرب سجال .. أعلى هبل .. أعلى هبل " .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا له "الله أعلى وأجل " .. فقال أبو سفيان " لنا العزى ولا عزى لكم " .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا له " الله مولانا ولا مولى لكم " .. فقال أبو سفيان " يوم بيوم بدر " .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا له " لا سواء .. قتلانا في الجنة وقتلاكم

في النار" .. فصاح أبو سفيان " إن موعدكم بدر العام القادم .. فقال رسول الله قولوا له " هو بيننا وبينكم موعد " .
 قفل أبو سفيان راجعا إلى أصحابه .. أراد رسول الله أن يعرف وجهتهم .. بعث على بن أبي طالب وقال له " اخرج في آثار القوم .. أنظر ماذا يصنعون وما يريدون ؟ .. إن جنبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون مكة .. إن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة " .

خرج على في آثارهم .. رآهم جنبوا الخيل وركبوا الإبل وتوجهوا إلى مكة .. جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " والذي نفسي بيده لئن أرادوا المدينة لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم " .

أحاط أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم به يعالجون جراحه .. قام أبو عبيدة فنزع الحلقة بأسنانه من وجه رسول الله .. سقطت مع الحلقة الأولى إحدى ثناياه .. سقطت مع الثانية ثنيته الثانية .. فكان أبو عبيدة بعد ذلك أحسن الناس هتما .

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض المعركة .. رأى عمه حمزة وما فعل به فحزن حزنا شديدا .. ثم نظر إلى القتلى جميعا وقال " أنا شهيد على هؤلاء .. انه ما من جريح يجرح في الله إلا ويبعثه الله يوم القيامة يدمى جرحه .. اللون لون الدم .. الريح ريح المسك " .

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفن القتلى حيث صرخوا .. قال " نفوهم بدمائهم وجراحهم .. انظروا أكثرهم جمعا للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه في القبر " .. كانوا يدفنونهم بثيابهم ودمائهم دون أن يغسلوا .. يوضعوا كل اثنين وثلاثة في القبر الواحد .. كان عدد القتلى نحو سبعين .. أربعة من المهاجرين .. الباقي من الأنصار .. أما قتلى المشركين فكان أربعة وعشرين .

بعد الفراغ من دفن الشهداء .. عاد الرسول وأصحابه إلى المدينة .. يتحاملون على أنفسهم من شدة الإعياء .. الصحابة يتلاومون لخلافهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .. يرجون أن يغفر الله لهم هذه الزلة .. يتجاوز لهم عن هذه السيئة .

عندما وصلوا المدينة وجدوا النساء يبكين قتلاهن ..
لما رأوا الرسول صلى الله عليه وسلم هانت عليهن
المصيبة .. دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم " اللهم
اذهب عنهم حزن القلوب .. اجبر مصيبتهم .. أحسن
الخلف على من خلفوا " .

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجرحى أن
يركنوا إلى بيوتهم .. ليداوا جراحهم .. حتى جاء بيته ما
نزل عن فرسه إلا حملا .. مشى يتحامل على السعدين ..
سعد بن معاذ وسعد بن عباد .. حتى دخل بيته .. لما أذن
لصلاة المغرب .. خرج على حالته تلك يتوكأ على السعدين
فصلى ثم عاد إلى بيته .

بات الأوس والخزرج يحرسونه .. مخافة أن تكرر
قريش وهو غافلون .

أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في البكاء على
القتلى .. لما فيه من التنفيس عن القلوب والتفريج من
لوعة الحزن .. لكنه نهى عن نتف الشعور وخمش الوجوه
وشق الجيوب ونياحة الجاهلية .

دروس وعبر ..

أحد كانت تجربة قاسية .. امتحانا ثقيلا الوطأة ..
 محص السرائر .. مزق النقاب عن مخبئها .. امتاز النفاق
 عن الإيمان .. تميزت مراتب الإيمان نفسها .. عرف الذين
 ركلوا الدنيا فلم يهتموا بأي مطمع فيها .. كما عرف الذين
 مالوا إليها كل الميل .. نشأ عن أطماعهم ما نشأ من أحداث
 استفاد المسلمون منها دروسا كثيرة .. عرفوا مواضع
 ضعفهم وقوتهم .. تعلموا بالتجربة ما ينبغي أن يكون
 المجاهدون في سبيل الله .. من صدق الإيمان بالعقيدة ..
 من الإخلاص والتجرد من كل شواغل الدنيا .. من الثبات
 والصبر عند لقاء العدو .. عدم التخاذل حين يشتد البأس ..
 وقتما تثقل الوطأة ويحمى الوطيس .. من التوجه إلى الله
 وحده .. الاعتماد عليه في استمداد المعونة والنصر .

أنزل الله نحو ستين آية من سورة آل عمران .. بين
 فيها للمؤمنين أخطائهم .. لم يتركهم في غمرة اليأس القاتل
 للنفوس ويضعف الحمية .. مسح أحزانهم في رفق ورحمة
 .. مزج العتاب الرقيق بالدرس النافع .

بين لهم — سبحانه وتعالى — أن الهزيمة لا تنال من شرف الغاية .. لا تنال من شرف المبادئ التي يدافعون عنها .. فمبدأهم أسمى المبادئ .. غايتهم أشرف الغايات ما النصر والهزيمة إلا عارضان يتداولان الناس .. سنة من سنن الله في الخليقة .

بين لهم أن الهزيمة لم تكن شرا يراد بهم .. إنما محنة أراد الله بها تمحيص المؤمنين المخلصين .. كشف النقاب عن المنافقين المخادعين .. فرصة صالحة هيأها ليتخذ منهم شهداء .. أنهم الصفوة الخالصة التي يختارها الله من بين المجاهدين في سبيله .. ليسبغ عليهم من فضله واساهم في محنتهم .. عزاهم في مصيبتهم .. كشف لهم عن نواحي العبرة في أحداثها ومواقفها .. يحذرهم ألا يسلموا قيادهم إلى الكفار والمنافقين .. فحسب الشهداء ما أعد الله لهم من حسب الثواب .. إنهم لم يموتوا .. إنهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم من فضله .

الهزيمة في أحد .. أول هزيمة للمسلمين الذين نصرهم الله ببدر وهم قليل .. كأنما وقر في نفوسهم أن

النصر في كل موقعة هو الطبيعي .. مهما يكن من تصرفهم
وتغلب شهواتهم عليهم .. أراد الله سبحانه وتعالى أن يعلم
عباده المسلمين أن النصر لا يكون إلا لمن يأخذ بأسباب
النصر .. أما الهزيمة فلا تكون إلا على من يجنح لأسباب
الهزيمة .. إن الله لن يتخلى عن المؤمنين ما داموا
يخلصون له .. فإذا شغلهم شاغل من أعراض الدنيا .. فانه
يتخلى عنه بمقدار ما يشغلهم .. لا يكون معهم حتى
يكونوا معه بقلوبهم وحواسهم وظاهرهم وباطنهم .

خرج المسلمون إلى أحد يقودهم الحماس إلى لقاء
العدو .. يفيض شوقهم إلى الموت .. ما كادوا يقطعون
بعض الطريق حتى ظهر الخلاف بينهم .. دب الشقاق في
صفوفهم .. رجع عبد الله بن أبي بثلث الجيش .. تصدع
البناء .. تزلزلت أركانه .. كاد يسقط منه شطر آخر .. لكن
رحمة الله تدخلت .. عصم بنى سليم وبنى حارثة من
الشقاق .

عندما التحمت المعركة تهافت الرماة على الغنائم ..
خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .. رغم تحذيره

لهم ألا يغادروا أماكنهم .. خرجوا على أميرهم عبد الله بن جبير .. اندفعوا مع رغباتهم في جمع الغنائم .. فسدت الخطة التي وضعها القائد رسول اله .. عصيانهم كان سببا في إفساد الخطة .. سببا في اضطراب الجيش .. اضطراب الجيش سببا في تحول النصر إلى هزيمة .. أوشكت هذه الهزيمة أن تكون ساحقة .. لكنها رعاية الله ولطفه .

الرواة أجمعوا أن الرماة عصوا أمر أميرهم عبد الله بن جبير .. حذرهم عاقبة الخلاف .. ذكرهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لكنها مجمعة على أنهم لم يتركوا أماكنهم إلا حين رأوا الأعداء منهزمين .. رأوا إخوانهم عكفوا على جمع الغنائم وهو آمنون .. بعض الرواة يقول إن الرماة لم ينزلوا من الجبل مخالفين أمر رسول الله .. لكنهم تأولوا قوله .. ظنوا أنه ما دام العدو انهزم .. فلا بأس من مغادرة الموقع والاشتراك في جمع الغنائم .. لكنها كما وصفها القرآن الكريم " معصية " .. ظاهرة من ظواهر الضعف البشري .

أدرك المؤمنون سنة من سنن الله في خلقه .. لا يكون
الله مع المؤمنين إلا إذا كانوا معه .. يتخلى عنهم حين
يشغلون بشاغل ما .. لما انصرفت همته إلى جمع الغنائم
.. كانت الهزيمة .. إذن فالنصر لا يحدث إلا بأسبابه ..
الهزيمة لا تكون إلا بأسبابها .

نقطة ضعف أخرى .. كشفتها المعركة .. حين أحاط
بهم العدو .. لم يتضامنوا ويتكتلوا .. بل تفرقوا في كل
وجه .. فر بعضهم إلى المدينة .. لم يمنعه دخولها إلا
الحياء .. شغلوا بأنفسهم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم .. تركوه في المعركة وحيدا .. يعانى وطأة العدو ..
معه قلة من الرجال ما كانت تغنى عنه شيئا إلا برعاية الله
في هذا التوقيت كان يجب عليهم أن يحيطوا بقائدهم ..
تخلى الجيش عن قائده ورسوله وشغل بأمر نفسه .. حتى
كادت تقع الكارثة بموته .

غفلوا عنه رغم أنه لاحقهم بصوته .. تابعهم بندائه
وهم ممعنون في الهرب .. مشغولون بأمر أنفسهم .. لا
يلتفتون إلى شئ مما عداهم .

كانت هذه زلة من زلات الضعف البشرى .. مرت
بالمؤمنين في تلك الساعة الحرجة .. أراد الله أن يكشفها
لهم .. حتى يعاينوها .. يلمسوا آثارها .. ثم يغفرها لهم
حتى لا يعودوا لمثلها ثانية .

ظاهرة أخرى .. حين شاع نبأ موت رسول الله صلى
الله عليه وسلم كف بعض المؤمنين عن القتال .. ألقوا
بأسلحتهم .. كأنما ظنوا أنهم أخطأوا بحضورهم إلى القتال
.. الحزم كان فيما فعله ابن أبى حين رجع .. كأنما جاعوا
إلى القتال .. لا عن عقيدة يدافعون عنها .. بل طواعية
لأمر رسول الله .. فلما مات ذهب السبب الذي جاعوا من
أجله .

أنه خطأ فادح .. الهدف الذي يدافعون عنه ليس
محمدا .. إنما الهدف الأول والخير هو نصر الله وإعلاء
كلمته .. هي العقيدة التي آمنوا بها وخرجوا للدفاع عنها
.. ما كان منهم ألا يلقوا بأسلحتهم ويستسلموا للهزيمة ..
بل عليهم الدفاع عن العقيدة .. لأنهم يدافعون عن عقيدة لا

عن شخص الرسول .. فإذا كان الرسول مات فإن الله حي لا يموت .

سجلت أحد أن بعض المؤمنين .. كانوا يقيسون صلاح العقيدة وفسادها بما يصيب أتباعها من نصر أو هزيمة .. يظنون أن صلاح العقيدة وحده كاف لأن ينصرها .. حتى لو لم يأخذ أصحابها بأسباب النصر .. فلما هزموا تساءلوا عن شأن العقيدة .. أهى صالحة ودين حق ؟ .. فلما إذن الهزيمة .

صحح الله لهذه الطائفة خطأها .. علمهم أن النصر والهزيمة لا صلة لها بصلاح العقيدة أو فسادها .. الموت والحياة لا صلة لهما بالحرب ولا السلم .. إنما هي من سنن الله في الأرض .. ومن أخذ بأسباب النصر كتبه الله له .. أما من اتبع أسباب الهزيمة فسينالها .

ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة دروساً على أصحابه .. أهمها الشورى .. صدق العزيمة .. ثبات القلب .. احتمال الأذى .. العفو عن المسيء .

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد وهو كاره .. خرج نزولا على رأى أصحابه .. لما أحسوا أنهم استكروهه أرادوا أن ينزلوا عند رأيه .. فأبى لأنه انتهى من الاستشارة والتفكير ثم اختار .

في صموده للعدو في الساعات الحرجة من المعركة والكل من حوله يفر بنفسه درس بليغ في الثبات والقُدوة الحسنة للقائد الشجاع .. دعاؤه للمسلمين أن يعودوا إليه ليقوى قلوبهم ليتماسكوا أكبر الدروس البليغة في الثبات .
رغم فرارهم لم يعنف احد .. لم يلم أحد .. بل عفا عنهم .. واساهم وشد من عزائمهم .. قال لهم " لن ينالوا منا مثلها حتى نستلم الحجر " .

المنافقون..

اليهود والمنافقون لم يخفوا شماتتهم .. فرحوا بما أصاب المسلمين .. جاهرُوا بعداوتهم للإسلام .. نالوا منه وأهله .. أطلقوا ألسنتهم بالسوء في رسول الله صلى الله عليه وسلم .. شككوا في الدعوة .. ردّوا أنه لو كان نبيا ما ظهرُوا عليه ولا أصيب منه ما أصيب .. لكنه طالب ملك تكون الدولة له وعليه .

حاولوا التفريق بين رسول الله والمسلمين .. سعوا لإيلاهم وإشعارهم بالحزن على قتلهم .. بالغوا في اللوم والتكثير .. متظاهرين بأنهم كانوا أحزم منهم وأحكم حين رجعوا .. إذا رجع المسلمون معهم كما رجعوا ما أصابهم الذي أصابهم .

أكثرُوا القول في رسول الله وفي المسلمين .. أوشك الأمر أن يصبح فتنة .. خشي رسول الله أن يتملك المسلمين الوهن والضعف .. كما خشي أن تطمع فيهم قريش فتعاود الكرة ثانية .. لذا فكر في عمل سريع وحاسم .. يزيل أثر الوهن من قلوب أصحابه .. علاج يعيد إلى

المسلمين ثقتهم بأنفسهم .. يستردون به ما فقدوا من
الهيبة في نفوس أعدائهم .

قرر الخروج بأصحابه في اثر قريش .. رغم ما كان
فيهم من إعياء وجهد .. أراد بذلك أن يقطع الطريق على
المنافقين فلا يدع فرصة لأباطيلهم تعمل في نفوس الصحابة
.. في نفس الوقت يشعر قريشا أن المسلمين لم يضعفوا ..
لا تزال بهم قوة يستطيعون بها أن يرهبوا عدو الله
وعدوهم .

سارع الصحابة بارتداء ملابس الحرب .. توافدوا على
المسجد .. اجتمعوا فيه .. لم يتخلف منهم جريح ولا
صحيح .. ركع رسول الله ركعتين في المسجد .. دعا
بفرسه .. دفع اللواء إلى علي ابن أبي طالب .. استخلف
على المدينة ابن أم مكتوم .. أقام على حرسه عباد بن
بشر .

مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه ..
وصل إلى " حمراء الأسد " .. على بعد ثمانية أميال من
المدينة .. أقام فيها أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء .

قيض الله لمحمد وصحبه معبد الخزاعي .. مر بهم ..
 واسى الرسول وأصحابه .. ثم مضى .. لقي أبا سفيان
 وقريشا بالروحاء .. على نحو ستة وثلاثين ميلا من
 المدينة .. وجدهم يتلاومون أنهم لم يستأصلوا محمد
 وصحبه .. أنهم سيعاودون الكرة لتحقيق ذلك .. خدعهم
 معبد .. حدثهم أن محمد خرج في أصحابه يطلبهم في جمع
 لم يرى مثله .. يتحرقون كل تحرق .. اجتمع معه من
 تخلف عنه بالأمس .. فقال أبو سفيان : ويحك والله ما أرى
 إلا أن نرحل ولا نلقاهم .

لم يتقابل محمد وصحبه مع أبو سفيان وقريش .. أقام
 مع أصحابه في حمراء الأسد ثلاثة ليال .. حتى علموا أم
 قريشا انصرفت إلى مكة .. عادوا إلى المدينة ليدخلوها
 رافعين الرأس .

تألبت أكثر القبائل على المسلمين .. ظن البدو
 المحيطين بالمدينة أنهم قادرون على الإغارة عليها ونهبها
 أول من تهياً لذلك بنو أسد .. علم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بما يخططون له .. بادروهم بالغزو قبل

استعدادهم .. أرسل إليهم أبا سلمة في مائة وخمسين من أصحابه .. باغثوهم في ديارهم .. شتتوا جموعهم .. ظفروا بأنعامهم .. عادوا إلى المدينة غانمين .

عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن خالد بن سفيان الهذلي يجمع الرجال ليغير على المدينة .. بعث إليه عبد الله بن أنيس .. ذهب إليه متنكرا .. حتى إذا استيقن أنه يجمع لرسول الله استدرجه حتى ظفر به وقتله .

عز على هذيل أن يقتل شيخها .. أرسلوا إلى رسول الله رجال من قبائل عضل والقارة .. زعموا أنهم يرغبون في الإسلام .. يريدون أن يرسل معهم رجالا من المسلمين يعلمونهم الدين والقرآن .

أرسل معهم النبي خيرة من أصحابه .. على رأسهم عاصم بن ثابت .. لما كانوا عند ماء يقال له "الرجيع" غدروا بهم .. فوجئوا بمائتي رام من هذيل يحيطون بهم .. لجأوا إلى جبل للاعتصام فيه .. قاتلوا حتى قتلوا .. لم يبق منهم إلا ثلاثة خدعوا بحيلة من هذيل .. قاموا بأسرهم وهم خبيب بن عدي ، زيد بن الدثنه ، عبد الله بن طارق .. عبد

الله بن طارق قاوم حتى قتل .. أما صاحبا فخرجوا بهما إلى مكة فباعوهما لقريش .. اشترى خبيبا عقبة ابن الحارث .. اشترى زيدا صفوان بن أمية .. قاما بقتلهما .
لم تهدأ نفس النبي وأصحابه من هذا الحادث .. أصابهم حادث أشد .. قدم عليهم شيخ من شيوخ بني عامر عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام .. لم يسلم ولم يبعد عن الإسلام .. طلب من الرسول أن يوفد إلى أهل نجد أصحابه .. يعلمون الناس .. لعلمهم يستجيبوا أكد انه جار لهم .

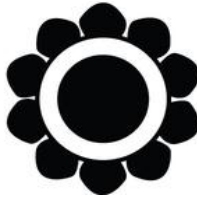
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو في أربعين من أصحابه .. ساروا حتى نزلوا عند بئر " معونة " .. هي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم .. بعثوا بكتاب رسول الله إلى عامر ابن الطفيل شيخ بني عامر .. لم ينظر في الكتاب حتى قتل من يحمّله .. استجدوا بني عامر فأبوا أن ينجدوهم .. استجدوا بني

سليم فخرجوا فأحاطوا بهم .. قاتلوهم حتى قتلوا جميعا ..
إلا كعب بن زيد تركوه وبه رمق .

كان في ركائب المسلمين عمرو بن أمية ورجل من
الأنصار .. لما أبصرا الطير تحوم حول المعسكر . . أقبلوا
ينظران .. إذا المسلمون في دمائهم .. الخيل التي أصابتهم
لا تزال واقفة .. قاتل الأنصاري حتى قتل .. أما عمرو بن
أمية فقاموا بأسره .. أطلقوه عندما أخبرهم أنه من مضر
قدم المدينة .. أخبر الخبر .. حزن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حزنا شديدا .. مكث نحو شهر يدعو على قتلة
أصحابه في بئر معونة والرجيع .. حتى انزل الله قرآنا
فسكنت نفسه وانقشع عنه حزنه .

بنى النضير هموا باغتيال النبي صلى الله عليه وسلم
علم النبي ما دبوا له من الغدر .. فوت عليهم غرضهم ..
أنذرهم بأن يخرجوا من البلد .. أعلن الحرب عليهم ..
حاصرهم في مساكنهم وأجلاهم عن المدينة .

كانت غزوة بنى النضير في ربيع الأول من السنة الرابعة
من الهجرة .. تحدث عنها الله تعالى في سورة الحشر ..
برر ما فعل المؤمنون من تقطيع النخيل وحصار العدو حتى
أخرجوه من ديارهم .. توعّد المنافقون الذين ناصرُوا
الكافرين .. أصفى الله لرسوله وللمؤمنين ما أفاء الله
عليهم من أموال .. أصبحت خالصة لهم .



تأديب العصاة..

هدأت المدينة فترة من الزمن .. وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم جهوده إلى تأديب العصاة .. أخضع القبائل الثائرة عليه .. من أعراب البادية.

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى محارب وبنى ثعلبة يتهياون لحربه .. خرج إليهم في جمادى الأولى يصحبه سبعمائة من أصحابه .. ولى على المدينة عثمان بن عفان .

سار صلى الله عليه وسلم حتى نزل "تخلا" .. موضع بنجد من أرض غطفان .. لقي بها جمعا عظيما .. تقارب الناس ولم يكن بينهم حرب .. خاف الناس بعضهم بعضا .. صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف .. صلى بفريق من أصحابه .. بقى فريق يحميهم من غدر العدو .. إذا انتهى الفريق الأول من الصلاة قام تجاه العدو وصلى النبي بالفريق الآخر .. سميت هذه الغزوة ذات الرقاع .. لأن الحجارة أوهنت أقدامهم .. كانوا يشدون عليها رقاع الخرق .

عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ..
 بقى فيها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب ..
 خرج في شعبان إلى بدر .. ليوافي أبو سفيان الموعد الذي
 ضربه للقتال .. وقتما انصرف من احد .. لم يخرج أبو
 سفيان إلى بدر .. أستأجر رجل ذهب إلى المدينة .. ادعى
 أن قريشا جمعت للمسلمين جموعا لا قبل لهم بها .. لم يثن
 ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .. صمم على الخروج
 في الموعد .

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف
 وخمسمائة من أصحابه .. استخلف على المدينة عبد الله
 بن عبد الله بن أبي .. لما أتوا بدرا لم بها أحدا من قريش
 .. خشي أبو سفيان مغبة اللقاء .. خرج بأصحابه ثم
 أمرهم بالعودة .. متعللا بأنه عام جذب .. سماهم أهل مكة
 " جيش السويق " .. أنهم خرجوا يشربون السويق ..
 ساءت سمعتهم بين العرب .. ذهبت بما فعلوه من نصر يوم
 أحد .

ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ثمانية أيام ..
يبيع ويشترى .. ربح وأصحابه ربحا كثيرا .. نفوا عن
أنفسهم وصمة هزيمة أحد .. استعادوا الهيبة والمكانة .
عاد المسلمون من بدر .. تحوطهم الطمأنينة ..
يظلهم الأمن .. أقاموا فيها ستة أشهر في سلام ورخاء
ودعة .. في هذه الأثناء تزوج رسول الله أم سلمة بعد وفاة
زوجها .

عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول
من السنة الخامسة .. أن جماعة من الأعراب بدومة
الجنديل يفسدون في الأرض .. يقطعون الطريق .. يسلبون
الأموال .. أنهم يريدون المدينة .

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم في ألف
من أصحابه .. استعمل على المدينة سباع بن عرفة ..
سار متخفيا في غير الطريق المألوف .. يسير بالليل ..
يكن بالنهاري .. قطع الطريق في نحو خمسة عشرة ليلة .

لما أحسوا بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أصابهم الرعب .. تفرقوا في كل وجه .. نزل صلى الله

عليه وسلم في ساحتهم .. لم يلق أحد ا.. بعث السرايا ..
فرقها في كل ناحية .. رجعوا إليه سالمين .. أصابوا رجلا
من القوم .. جاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
.. عرض عليه الإسلام فأسلم .. رجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما أصاب من أنعامهم .. دخل المدينة في عشر
من ربيع الآخر .

في شعبان من نفس السنة .. خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى بنى المصطلق .. بلغه أنهم يجمعون
لحربه .. خرج إليهم في جمع كثير .. معه كثير من
المنافقين .. طمعا في الغنيمة .. خرج معه نساءه عائشة
وسودة .

ساروا حتى ماء يقال له " المريسيع " .. هناك التقوا
بالعدو .. صف الفريقان للقتال .. تراءى الجمعان .. أمر
رسول الله عمر بن الخطاب أن ينادى في المشركين أن
يقولوا " لا اله إلا الله .. تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم " ..
أبوا أن يقولوها .

تراشق الفريقان بالنبل ساعة .. أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يحملوا .. حملوا عليهم حملة رجل واحد .. قتلوا منهم عشرة وأسروا بقيتهم .. ما أفلت منهم أحد قط .. غنم المسلمون من الإبل ألفى بغير ومن الشاة خمسة آلاف .. سبوا أهل مائتي بيت من الرجال والنساء والذرية.

من جملة من تم السبي كانت جويرية بنت الحارث .. أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرب قلب قومها إلى الإسلام .. أعتقها وتزوجها .. كان زواجه بركة على قومها جميعا .. إذ أطلق المسلمون من بأيديهم من الأسرى .. أكراما لصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كما كان سببا في إسلام أكثرهم .

أبى المنافقين أن تمر الغزوة بأكبر قدر من النجاح .. أثاروا فتنتين كادت تعصف بوحدة المهاجرين والأنصار .. تدنس بيتا من أظهر البيوت وأقدسها.

الفتنة الأولى .. كانت خلافا على الماء بين أجير لعمر بن الخطاب وحليف لبنى الخزرج .. تشاجر الرجلان بسببه

فتضارباً .. صرخ الأجير : يا معشر المهاجرين .. وصرخ
الحليف : يا معشر الأنصار .. فاجتمع عليهما المتسرعون
من هؤلاء وهؤلاء .. كادوا يقتتلون .. أوشكت أن تقوم
فتنة بين المهاجرين والأنصار .

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرعاً .. قال " دعوى الجاهلية " .. فأخبروه الخبر .. فصاح غاضباً " دعوا هذه الكلمة فإنها منتنة " .. أدرك الفريقان وهدأت ثورتها .. بذلك سكنت الفتنة وتصافى الفريقان .

عبد الله بن أبي عز عليه أن تموت الفتنة .. تنطفئ بهذه السهولة .. يجب أن تأتي على الأخضر واليابس .. تذهب بما في الصفوف من وحدة وائتلاف .. ثار وقال لأصحابه " والله ما رأيت مذلة كالיום .. نافرونا وكاثرونا في بلدنا وأنكروا منتناً .. إذا رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل " .

شاع في المعسكر ما قاله ابن أبي .. لم يعد للناس حديث غيره .. طلب عمر بن الخطاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم الأذن ليقتله .. فقال له المبعوث رحمة

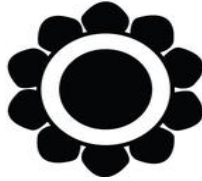
للعالمين " سيتحدث الناس ويقولون أن محمدا يقتل أصحابه .. لكن أذن بالرحيل " .

مشى رسول الله بالصحابة يومهم حتى أمسى .. استمر في السير ليلا حتى أصبح .. كما سار صدر يومهم الثاني .. نزل بهم .. لم يلبثوا أن وجدوا الأرض فوقعوا نياما .. فعل رسول الله ذلك ليشغل الصحابة عن الحديث الذي كان من عبد الله بن أبي .

بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي أن رسول الله أمر بقتل والده .. جاء الرسول يستأذنه أن يقوم هو بقتل والده .. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " بل تترفق به وتحسن إليه ما بقى معنا " .

هذا التصرف الكريم من النبي .. جعل الصحابة هم الذين يقومون عبد الله بن أبي إذا تحدث .. فقال النبي لعمر "أرأيت والله لو قتلته يوم قلت لي .. لأرعدت له " .. فقال عمر : والله قد علمت أن أمر رسول الله أعظم بركة من أمري .

الحادث الآخر هو حادث الإفك .. ليس موضعه
الحديث عنه هنا .. لأن الله هو الذي تحدث عنه في كتابه
العزیز .. أصدر براءة الكريمة الطاهرة عائشة بنت أبی بكر
وحبيبة رسولنا الكريم .. حدد أن المنافقين أخوة للشياطين
.. اذهب كيدهم وفضحهم .



أيام الحسم ..

هي أيام تيقن العرب بعدها .. أنهم لن يتمكنوا من قهر
القوة المسلمة .. الموجودة في المدينة المنورة .. اجتمعوا
من قبائل شتى .. جاءوا بعتادهم وسلاحهم .. حملوا معهم
أطعمة ومؤن .. تكفيهم شهورا عديدة .. زحفت معهم
النساء والأولاد .. ليشدوا من أزهرهم .. يثيروا فيهم نخوة
الدفاع عن أعراضهم وعقائدهم وممتلكاتهم .. إلا أن كلمة
الله سبقت ترتيبهم .. أنزل عليهم الرعب .. بعث عليهم
ريحا .. كفئت قدورهم .. أطارت خيامهم .. أقفلوا عائدين
.. ترسخ في أذهانهم واقع الحياة الجديدة .. ضرورة
التعايش مع هذا الدين الجديد .. قال وقتها رسول الله
صلى الله عليه وسلم " الآن نغزوهم ولا يغزونا .. نحن
نسير إليهم ."

تبدأ هذه الأيام بترتيب يهودي .. بعدما أجلاهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة .. نزلوا وتجمعوا
في خيبر .. عكر عليهم صفو الحياة أن محمدا وصحبه
يعيشون في سلام وأمان .. شرعوا في التآمر على هذه
العصبة المؤمنة .. يعدون العدة لجمع أعداء الإسلام ..

خرج نفر منهم حتى قدموا قریشا .. ساقوا إليهم أنهم معهم
لاستئصال محمد وصحبه .. اتفقوا على قتالهم .

سرهم ما وجدوا من قریش .. ذهبوا إلى غطفان
ودعوهم نفس الدعوة .. اجتمعوا سويا على الشر والنيل
من المسلمين .

خرجت قریش وقائدها أبو سفيان بن حرب .. خرجت
غطفان وقائدها عيينه بن حصن في بنى فزاره والحارث بن
عوف في بنى مره ومسعد بن رخیله بن غطفان فيمن تابعه
من قومه من أشجع .

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجمعوا له
من أمر .. عقد مجلسا استشاريا .. بحث خطة الدفاع عن
المدينة .. اتفقوا على قرار الصحابي سلمان الفارسي ..
قال " إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا " ..
كانت خطة حكيمة لم تعرفها العرب من قبل .

أسرع المسلمون في تنفيذ هذه الخطة .. وكل إلى كل
عشرة رجال أن يحفروا من الخندق أربعين ذراعا .. قاموا
بعملهم بجد ونشاط .. رسول الله صلى الله عليه وسلم

يحثهم ويساهم معهم .. خرج إليهم وهم يحفرون في صباح بارد .. قال " اللهم إن العيش عيش الآخرة .. فأغفر للأتصار والمهاجرة "

عملوا بنشاط وهم يقاسون من الجوع والعطش .. ربطوا الأحجار على بطونهم حتى لا يشعروا بحاجتهم إلى الطعام .. فيه ظهرت آيات من علامات النبوة .. فقد ذبح أحد الصحابة بهيمة وطحن صاعا من الشعير .. ألتمس من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأيته ليأكل .. فقام صلوات الله عليه وسلامه بدعوة جميع أهل الخندق .. فأكلوا من الطعام وشبعوا وبقيت برمة اللحم مملوءة كما هي والعجين كما هو .. وجاءت إحدى النساء بجفنة من تمر إلى الخندق ليتغذى أبوها وخالها .. مرت بالرسول فطلب منها التمر .. بدره فوق ثوبه .. دعا أهل الخندق .. أكلوا منه وفاض .

يروى أنه عرضت لهم صخرة شديدة .. جاعوا النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه .. قال " أنا نازل " .. أخذ المعول وضرب فأصبحت رملا غير متماسك .

واصل المسلمون عملهم .. يحفرون طوال النهار ..
يعودون إلى منازلهم في المساء .. حتى أكتمل الخندق قبل
وصول المشركين إلى أسوار المدينة .

أقبلت قريش فنزلت بمجمع الآسيال من رومة بين
الجرف وزغايه في عشرة آلاف من فتيانهم ومن تبعهم من
بنى كنانة وأهل تهامة .. أقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل
نجد ونزلوا بذنب نقمي إلى جانب أحد.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ثلاثة
آلاف مسلم .. جعلوا ظهورهم إلى جبل سلع .. ضرب
معسكره بين الجبل والخندق .

وقف الفريقان أمام الخندق .. وجها لوجه ..
المسلمون على قلة عددهم وضعف عدتهم .. المشركون في
كثرة جموعهم وضخامة استعدادهم .. شتان بينهما .. قوة
متماسكة بأمل وإيمان واحد .. أناس متفرقين في غاية
مشتركة تجمع قلوبهم .

أياما .. يرقب كل منهما الآخر .. كتائب الأحزاب لا
تنفك تطوف بالخندق ليلا ونهارا .. لعلها تجد فيه منفذا ..

ينفذون منه .. ينتهزون فرصة من المسلمين يتمكنون فيها من اجتيازه .. المسلمون لم يغفلوا لحظة .. كلما رأوا طليعة من طلائع العدو تدنو من الخندق أمطروها وابلا من السهام والنبال .. فترتد على أعقابها وترجع من حيث أتت .

طال التربص والانتظار .. ليس بين القوتين إلا تبادل السهام والنبال .. خشي حي بن أخطب أن تفلت الفرصة من يديه .. تسأم قريش وغطفان طول المقام .. ترجع كل قبيلة إلى ديارها .. خاصة أن الأرض شتاء والأرض مجدية .. أو شك ما معهم من علف الدواب أن ينفد .. الخيل والإبل كادت تهلك من الهزال .

رأى حي بن أخطب أنه لا سبيل إلى دخول المدينة إلا من ناحية بنى قريظة .. أنهم في عهد مع رسول الله .. ذهب إلى زعيمهم كعب بن أسد .. حدثه .. أقنعه انه جاء بقريش على قادتها وسادتها وبغطفان مثلهم .. ساق له أنهم عاهدوه لن يبرحوا المدينة حتى يستأصلوا محمدا ومن معه .. لم يزل به حتى أعطاه عهدا .. أن يدخل معه في

حصنه إذا لم تصب قریش محمدا .. خرج حي سعيدا بنقض
كعب عهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وصل الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .. بعث
للتأكد من صدقه فتيقن منه .. اشتد خوف المسلمين ..
عدوهم من أمامهم .. حليف الأمس من خلفهم .. حثهم
القائد المحنك والرسول الهادي على التماسك والفوز
بالشهادة أو النصر.

أقام الرسول وجيشه في معسكرهم .. يحيط بهم الخطر
من كل اتجاه .. كفار قریش ومن يعاونهم يحاصرونهم ..
بينهم الخندق .. يدورون حوله .. يكتشفون نقاط ضعفه ..
لا يجرؤن على الاقتراب منه .. لا يستطيعون اقتحامه أو
اهالة التراب لبناء طريق للعبور فيه

حاول المشركون اقتحام الخندق .. قاومهم المسلمين
ورشقوهم بالنبل وناصلوهم حتى فشلوا في محاولاتهم ..
قتل رجال من الجيشين .. بلغوا ستة من المسلمين وعشرة
من المشركين .

في هذه الآونة قامت يهود بنى قريظة ببعض المناوشات .. كانت نساء المسلمين في حصن حسان بن ثابت .. مر بهم رجل يهودي .. طاف بالحصن مرات .. أمرت صفيه بنت عبد المطلب حسان أن ينزل إليه ليقتله .. فقال لها " والله ما عرفت ما أنا بصاحب هذا " .. فأخذت السيدة صفيه عمودا ونزلت من الحصن وقتلته .. ظن اليهود بعد هذا أن القاتل من رجال المسلمين المحتشدين داخل الحصن .. رفضوا الاقتراب منهم خشية القتل .. مع أن الحصن لم يكن فيه سوى النساء .

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سلمة بن أبي سلمة في مائتي رجل .. كما بعث زيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة .. كان الخوف على النساء بالمدينة من بنى قريظة .. أشد من الخوف من قريش وغطفان .

أحاط المشركون بالمسلمين .. جعلوهم في حصنهم .. اخذوا بكل ناحية .. اختلط الأمر على المسلمين .. لا يعرفون أين تقع كتائب العدو ؟ .. دخلوا المدينة أم لا ..

بلغ الأمر غايته .. دعا الرسول الكريم ربه " اللهم أنشدك عهدك ووعدك .. اللهم أرفع عنا شرهم .. انصرنا عليهم لا يغلبهم غيرك" .. جاءه المسلمون يقولون : هل من شئ نقوله ؟ .. قال " نعم .. قولوا اللهم أستر عوراتنا وآمن روعاتنا " .

هياً الله للمسلمين رجلاً من غطفان يقال له نعيم بن مسعود الأشجعي .. جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. حدثه انه أسلم ويضع نفسه تحت أمرّة الرسول .. فقال له " إنما أنت رجل واحد .. خذل عنا ما استطعت .. فان الحرب خدعه " .

ذهب نعيم إلى بنى قريظة .. حدثهم بأن قريشا ليست مثلهم .. فالمدينة بلدهم .. فيها أموالهم ونساءهم وأبناءهم .. لن يتحولوا إلى بلد غيره .. أما قريش وغطفان فجاءوا لحرب محمد وأصحابه .. فان أصابوا فرصة انتهبوها .. والا لحقوا ببلادهم وتركوهم لمحمد فينتقم منهم .. سألوا : ما العمل ؟ .. قال نعيم " لا تقاتلوا حتى يعطوكم رهائن " .

ثم مضى إلى قريش .. قال لهم إن يهودا ندمت على نقض محمد وأصحابه .. إنهم سيأتوهم ليأخذوا رهائن منهم

ليقدموها إلى محمد ثم يوالونه عليهم .. طالبهم ألا يعطوهم
رهائن إذا طلبوا ذلك.

نجحت الخدعة .. أرسلت يهود تطلب رهائن .. رفضت
قريش وغطفان .. تخاذل الفريقان .. دبّت الفرقة بين
صفوفهم .. خارت عزائمهم .. توترت الأعصاب .. انعدمت
الثقة .. سئمت النفوس طوال المقام .

ليلاً أرسل الله على المشركين جنداً من الريح ..
قوضت خيامهم .. لا يقر لهم قرار .. أرسل جنداً من
الملائكة .. زلزلتهم .. ألقت الرعب في قلوبهم .. عقدوا
العزم على الرحيل.

وصلت الرسل تخبر محمداً برحيل المشركين .. رد الله
عدوه .. كفاهم الله القتال .. صدق وعده .. نصر عبده ..
هزم الأحزاب وحده .

رجع النبي وجيشه إلى المدينة بعد حوالي شهر .. بعد
معركة لم يتم فيها قتال مرير .. إلا أنها كانت أيام حاسمة
.. أكدت نجاح القوة الإسلامية النامية في المدينة المنورة .
لم تكن معركة ميدان .. تتميز فيها البطولة بالكر والفر
.. الإقدام والإحجام .. بل كانت معركة أعصاب .. امتحان

عزائم .. اختبار قلوب .. لهذا أخفق المنافقون .. نجح المؤمنون .. بمقدار ما أظهر المنافقون ومرضى القلوب من الجزع والشك .. أظهر المؤمنون من الجلد والصبر وقوة الاحتمال .. ما يدل على قوة إيمانهم وصدق يقينهم بالله .. ثقة بأن وراء هذه الشدة فرجا قريبا .. أراد الله تعالى أن يبتليهم ويمتحن إيمانهم .. فلما نجحوا أمدهم بنعمته ونصرهم على عدوهم .قال تعالى " ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا ، ليجزى الله الصادقين بصدقهم ، ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ، إن الله كان غفورا رحيما ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا ."

إستئصال الغدر..

أوشك الغدر أن يكون فيه فناء دولة الإسلام .. سببه
الحقد الكامن في نفوس يهود بنى قريظة .. على الإسلام
والمسلمين .. نقضوا عهدهم للمسلمين .. أثناء عزوة
الأحزاب .. لم يكن هناك من سبب يدعوهم إلى هذا .. لكنه
كان كفيلا بالقضاء على دولة بأكملها .. على دين الحق
الذي أرسل الله به خاتم النبيين .. العهد مع رسول الله
يقضى أن يدافعوا عن المدينة مع المسلمين .. لا أن
يخونوهم .. ي غدروا بهم .. في أصعب الظروف وأشدّها
حرجا.

لم يكن غدرا فقط .. بل خيانة في نفس الوقت ..
استنكره رجال منهم .. وصفوه بأنه طعن من الخلف لمن
أدار لك ظهره وهو واثق إلى أمانتك ومروءتك .

من الطبيعي أن يوقع بهم المسلمين العقاب .. يصنعوا
بهم ما كانوا يريدون أن يصنعوا معهم .. جزاء تفرّقه
الأديان كلها .. تفرّقه قوانين الحرب قديمها وحديثها .. يفرّقه
منطق الحق والعدل والمروءة .. ليس على المسلمين حرج
إذا حاصروهم .. إذا أبادوهم كما كانوا يريدون أن يبادوا ..

ليس من المنطق أن يأمنوا إليهم بعد ذلك .. أن يتركوهم في حالهم إلى جوارهم .. يعرفون أسرارهم ويذيعونها بين الأعداء .. أمن الحكمة والعقل أن يخرجوهم كما خرجوا بنى النضير من قبل ! .. فيذهبون يجمعون لهم الجوع ويؤلبون عليهم الأحزاب .. كما فعل بنو النضير في عزوة الأحزاب .. التي كادت تعصف بالإسلام وأهله .. لم ينج منها المسلمين إلا بمعجزة إلهية .

قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحاصر بنى قريظة .. في اليوم الثاني لانكشاف الأحزاب .. رأى مباغتتهم قبل استكمال عدتهم .. صلى الظهر ثم بعث ينادى في الناس .. قال المنادى " من كان سامعا فلا يصلين العصر إلا في بنى قريظة " .

أخذ المسلمون يلبسون سلاحهم .. توافدوا سراعا على حصون بنى قريظة .. منهم من أدرك صلاة العصر هناك .. منهم من أدركته في الطريق فصلاها حيث أدركته .. منهم من أخذ بظاهر الأمر ففوت الفريضة عن وقتها .. أبى أن يصلها إلا حيث أمر رسول الله أن تصلى .. لم تأت العشاء

حتى كان المسلمون جميعا عند بني قريظة .. ثلاثة آلاف رجل وستة وثلاثون فارسا .

دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء إلى على بن أبى طالب .. استقبلهم اليهود يسبون المسلمين والصحابة .. فقالوا لهم " السيف بيننا وبينكم " .. ركب الرسول صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه .. أدركوا المسلمين المتواجدين هناك .

تحصن بنو قريظة بحصونهم حينما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. حاصرهم الرسول والمسلمين خمسا وعشرين ليلة .. جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب .. أرسلوا إلى رسول الله أن يخرجوا بنسائهم وأبنائهم وما حملت الإبل من أموالهم .. كما خرجت بنو النضير .

أرسلوا إلى رسول الله أن يخرجوا بنسائهم وأبنائهم بلا مال ولا سلاح .. أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكمه .

أشار زعيمهم كعب بن أسد أن يدخلوا في الإسلام ..
ذكرهم بما في كتابهم من نبوة محمد .. لم يقبلوا رأيه ..
أشار أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم ويخرجوا للقتال .. حتى
يقاتلوا فيقتلوا أو يظفروا .. أبوا ذلك .. فأشار عليهم أن
يخرجوا ليلة السبت .. فقالوا لا نحل السبت .. واختلفوا
وندموا على ما صنعوا .

اشتد الحصار .. أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يرسل إليهم أبا لبابة للاستشارة .. فبعثه .. رق
أبا لبابة لبنى قريظة حينما أجهش النساء والأطفال بالبكاء
.. سألوه ماذا يرى ؟ .. فأشار إلى حلقه وقال الذبح .

نزل بنى قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم .. أمر برجالهم فكتفوا بالحبال ونحوا ناحية .. أخرج
النساء والذرية في ناحية أخرى .

مشى رجال الأوس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجوه أن يعامل بنى قريظة كما عامل بنى قينقاع .. فوافق
أن يحكم بينهم رجل يختارونه .. اختاروا سعد بن معاذ .

انتهى سعد إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قال " أحكم فيهم " .. قال " أحكم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى النساء والذرارى " .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات " .

في اليوم التالي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحفر خنادق في المدينة .. ثم دعا برجال بنى قريظة .. خرجوا إليه جماعات .. تضرب أعناقهم ويطرحون في الخنادق .. استمروا في قتلهم حتى الليل .. قتلت امرأة واحدة .. ألقت الرchy على بعض المسلمين وهم يستظلون بظل حصن من حصونهم .. فقتلت مسلما .

أسلم من بنى قريظة ثلاثة رجال .. أمنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنفسهم وأهليهم وأموالهم .
قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء والأبناء على المسلمين .. بعث بعض السبايا إلى الشام ونجد .. فاشتري بها سلاحا وخيلا للمسلمين .

انه الجزاء الذي يحكم به الدين .. يحكم به العقل ..
من جنس العمل .. أنهم حنثوا العهد الذي عاهدوا عليه
محمدًا .. لو لم تفعل بنى قريظة لما أصابها من الشر شيء .
قضت هذه الغزوة على بطون اليهود في المدينة .. فقد
المنافقون أنصارهم .. خفتت أصواتهم .. انكسرت شوكتهم
.. لم تقم لهم بعدها قائمة .. مكن الله للمسلمين في المدينة
بعد هذه الغزوة .. سارت أمورهم في طريق أكثر أمنًا ..
أتسمت الدعوة بعدها بالقوة والغنى والاعتزاز .. لا طابع
الضعف والفقر والاستكانة .

يقول الله سبحانه وتعالى " وأنزل الذين ظاهروهم من
أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب ، فريقا
تقتلون وتأسرون فريقا ، وأورثكم أرضهم وديارهم
وأموالهم وأرضا لم تطئوها ، وكان الله على كل شيء
قديرًا " .

نظرة جديدة..

نظرة جديدة إلى محمد وصحبه .. سرت بين العرب ..
خاصة بعد غزوة الأحزاب وهزيمة بنى قريظة .. سرى في
النفوس أن هذه الدعوة مؤيدة بقوة الله .. محمد وصحبه
على الحق .. لهم الغلبة والنصر .

خفت القبائل المعادية من عداوتها .. حاولت التقرب
من المسلمين .. جو من الرهبة والجلال ملأ النفوس عن
الإسلام ورسوله .. تحدثوا بقوة المسلمين وسلطانهم ..
بمقام محمد وقوته ورهبة جانبه .

لم يلق المسلمون سلاحهم .. ظلوا أيقاظا .. يعلمون
أن أعداءهم كثير .. لا يزالون محنقين .. يملأ نفوسهم
الغيظ .. ليشعروهم بأنهم قوة قادرة على الإرهاب والغزو
على صد العدو مهما كانت جموعه .. مهما كانت قوته ..
حتى لا يفكر أحد من العرب واليهود في غزو المدينة..
يتمنى هزيمة المسلمين .

لم يتكل المسلمون على الله .. أنه مؤيدهم بحوله
وقوته .. تعلموا من غزوة الأحزاب أنه لا يكون مع

الغافلين .. لا يؤيد المتواكلين .. الذين يرجون النصر والتأييد دون الأخذ بأسباب القوة ما استطاعوا .

بعد الانتهاء من أمر بنى قريظة .. بدأ المسلمون بإرهاب العدو في كل ناحية .. يبعث السرايا ويقود الغزوات في الشرق والغرب .. في الشمال والجنوب .

في الليلة العاشرة من شهر المحرم من السنة السادسة من الهجرة .. بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة في ثلاثين راكبا إلى بنى بكر بن كلاب .. كانوا بناحية " ضرية " على سبع ليال من المدينة في طريق البصرة .. يسير بالليل ويكمن بالنهار .. دهمهم .. قتل منهم عشرة وهرب باقيهم .. استاق من أنعامهم مائة وخمسين بعيرا وثلاثة آلاف شاه .. رجع المدينة في الليلة الأخيرة من شهر محرم .

أول ربيع الأول .. خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتين من أصحابه .. قاصدا بنى لحيان .. كانوا في وادي بالحجاز ناحية مكة يسمى "فزان " .. أشاع رسول الله أنه يبغى الشام .. حتى لا يعرف مقصده .. خرج ميمما

نحو الشمال .. سار نحو تسعة كيلو مترات .. ثم استقام
على طريق مكة .. انحدر إلى ناحية الجنوب إلى فزان ..
بنى لحيان كانوا يراقبون .. أدركوا أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يريدهم هربوا إلى رعوس الجبال .

وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ديارهم ..
لم يجد أحدا .. أقام هناك يومين .. بعث سراياه في كل
ناحية .. لم يعثروا على أحد .

قبل العودة إلى المدينة .. بعث صلى الله عليه وسلم
نفر من أصحابه بقيادة أبي بكر إلى مكة .. ليرهب قريش
.. يعلمها بمسيرهم .. وصلوا إلى "كراع الغميم " .. ثم
عادوا .

عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .. بعد
غياب أربعة عشر يوما .. وصلها في يوم شديد القيظ ..
كان يقول " آيبون تائبون .. لربنا حامدون .. أعوذ بالله
من وعشاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل
والمال .

بعد ليال من العودة .. خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في نحو خمسمائة من أصحابه إلى " ذي قرد " .. هو ماء على نحو يوم من المدينة .. كانت بها ابل لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. ترعى بين الأشجار .. أغار عليها "عينه" في رجال من بنى غطفان .. قتلوا راعى الإبل واختطفوا امرأة كانت معه .. ذهبوا بالإبل والمرأة إلى ديارهم .

علم بما فعلوه سلمة بن الأكوع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .. صعد جبل سلع .. صرخ واستغاث وصل صراخه إلى أهل المدينة .. أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المقداد بن الأسود على من بادر إليه من الرجال .. قال له " اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس " .

سارع الصحابة .. يطلبون المعتدين .. أدركوا أخرياتهم .. قتلوا منهم ثلاثة رجال .. استنقذوا عشر نوق حوامل .. أفلتوا بعشر .

لحق بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسمائة من أصحابه .. اجتمعوا في " ذي قرد " .. فاتهم المعتدين

.. وصلوا منازل غطفان .. أقاموا على الماء يوما وليلة ..
رجع إلى المدينة بعد غياب خمس ليال .
أبدى سلمة بن الأكوع ضروب من الشجاعة .. قال
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم " خير فرساننا أبو
قتادة وخير رجالتنا اليوم سلمة " .. أعطاه سهم الراجل
والفارس معا .

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن
محص في أربعين ركابا إلى " الغمر " .. خرج في ربيع
الأول .. هو ماء بنى أسد على طريق نجد .. خرج سريعا
ليأخذ القوم على غرة .. لكنهم علموا به وهربوا .. استاق
أنعامهم إلى المدينة ولم يلق كيدا .

خرج محمد بن مسلمة في عشرة رجال إلى بنى ثعلبة
في " ذي القصة " .. على بعد أربعة وعشرين ميلا من
المدينة .. ناحية الحجاز .. كمن لهم المشركون في مائة
رجل .. تربصوا بهم حتى ناموا .. انقضوا عليهم فقتلوهم
جميعا إلا محمد بن مسلمة .. وقع جريحا فظنوه أنه مات

.. تركوه .. فر به رجل من المسلمين .. حمله إلى المدينة .. كانت هذه السرية في ربيع الآخر .

أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلا إلى بنى ثعلبة .. وصل منازلهم .. لم يجد فيها إلا بعض النسوة والنعم والمتاع .. رجعوا بما وجدوا ولم يصلوا إلى القوم .

في ربيع الآخر .. بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في نفر من أصحابه إلى بنى سليم في " الجموم " .. على بعد أربعة أميال من المدينة إلى ناحية البصرة .. عندما وصلوا وجدوهم تفرقوا .. وجدوا امرأة دلتهم على بعض منازلهم .. أصابوا نعما وأسروا عدد من الرجال وجدوهم .

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ابن حارثة في مائة وسبعين راكبا إلى " العيص " .. على أربع ليال من المدينة .. ليعترض عيرا لقريش قادمة من الشام .

أدركها زيد فأخذها .. فيها فضة كثيرة لصفوان بن أمية .. أسروا فيمن أسروا من الرجال يومئذ أبا العاص بن الربيع .. زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
عندما وصل العاص بن الربيع إلى المدينة استجار بزينب .. نادى في الناس إنها أجارت العاص .. وافقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردوا عليه ماله .

هذا الموقف الانساني هز العاص بن الربيع .. عاد إلى مكة .. أدى إلى كل ذي مال ماله .. بعدها أعلن أن يشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله .. أقسم أمامهم أنه ما منعه من الإسلام وقتما كان في المدينة إلا تخوفه أن تظن قريش أنه فعل ليأكل أموالهم .. فلما ردها إليهم أعلن إسلامه .. خرج من مكة فقدم المدينة مسلما .. رد عليه رسول الله زوجته السيدة زينب .

في جمادى الآخرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ابن حارثة إلى بنى ثعلبة بناحية " الطرف " .. هو ماء بطريق العراق على ستة وثلاثين ميلا من المدينة .. خرج في خمسة عشر رجلا .. أصاب بغيرا وهربت

الأعراب .. لم يعثر على أحد منهم .. عاد زيد بالنعيم إلى المدينة .. بعد غياب أربع ليال .

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى " وادي القرى " .. ليقصص من بنو فزارة .. كانوا تعرضوا لزيد وهو راجع بتجارة من الشام .. فسلبوا ما كان معه وكادوا يقتلونه .. لما جاء إلى المدينة وأخبر رسول الله .. أرسله إليهم في نفر من أصحابه .. ساروا إليهم حتى داهموهم في منازلهم .. أحاطوا بهم وقتلوا منهم جمعا كثيرا . . كان ذلك في جمادى الآخرة .

في شعبان أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف في سبعمئة من أصحابه .. إلى بنى كلب في " دومة الجندل " .. هي قرى في أطراف الشام .. بينها وبين دمشق خمس ليال .. بينها وبين المدينة خمس عشر ليلة .

قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أغزوا جميعا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله .. لا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا .

سار إليهم عبد الرحمن بن عوف .. عرض عليهم الإسلام ثلاثة أيام .. أسلم الأصبغ بن عمرو وهو شيخهم وكان نصرانيا .. أسلم معه ناس كثير من قومه .. أقام بقيتهم على دينهم على أن يدفعوا الجزية .

صالحهم عبد الرحمن بن عوف على ذلك .. تزوج ابنة الأصبغ وقدم بها المدينة .. أنجبت له سلمة بن عبد الرحمن .

في نفس الشهر.. بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب في مائة رجل .. إلى بنى سعد بن بكر في " فدك " .. هي قرية على يومين من المدينة .. بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يريدون أن يعاونوا يهود خيب على غزو المدينة .. كان يهود خيب يجمعون لذلك .

سار على إليهم بمن معه من الرجال .. انتهوا إلى ماء يسمى "الهمج" بين خيبر وفدك .. وجدوا به رجلا من القوم .. أمنوه على نفسه حتى أخبرهم على مكانهم .. هرب القوم عندما أحسوا بهم .. أخذ المسلمون من أنعامهم

خمسمائة بعير وألفى شاة .. قدموا المدينة دون أن يلقوا
كيدا .

في رمضان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد
الله بن أبى عتيك في أربعة من رجال الخرج إلى خيبر
لقتل زعيم من زعمائهم .. هو أبو رافع سلام بن أبى
الحقيق .. كان من زعماء النضير الذين ذهبوا إلى خيبر
بعد إجلائهم عن المدينة .. كما كان ممن حزب الأحزاب
على المسلمين في غزوة الخندق .. أعان المشركين فيها
بالمال الكثير .. فلما انتهت بهزيمة الأحزاب وتقتيل بنى
قريظة .. أخذ يحزب الأحزاب من جديد .. ليثأر لبنى قريظة
فسعى في غطفان وفيمن حوله من مشركى العرب .. جعل
لهم المكافآت الكبيرة لحرب محمد وصحبه .

تمكن الصحابة منه .. علوه بأسيا فهم وضربوه ..
عادوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه بقتل
عدو الله .

الرؤيا الصادقة..

رؤيا صادقة .. شاهدها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم .. رأى في منامه ذات ليلة .. أنه دخل المسجد الحرام في أصحابه .. آمنين محلّقين رعوسهم ومقصرين .. لا يخافون عدوا ولا مانعا يمنعهم .

استبشروا .. قص ما رأى على أصحابه .. استبشروا وفرحوا .. استيقنوا حقيقة واقعة لا شك فيها .. رؤيا الأنبياء حق .. الهام من الله لما سيحدث .. جاءت في وقت اشتاق فيه الرسول الكريم وأصحابه إلى الحرم وزيارة البيت .. حركت الرؤيا كوامن الشوق والحنين .

عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزور البيت الفرصة مؤاتية .. الظروف مهيأة .. الأمن في المدينة مستتب .. خاصة بعد جلاء اليهود .. المنافقون مكسورة شوكتهم .. الأعراب في البادية أمنت جوانبهم .. رهبة الإسلام زلزلت النفوس وتملكت القلوب .. بعد ما بدا للجميع من دفع الله عنه وتأيينه.

موسم الزيارة أهل .. تهيأت له العرب .. لم لا ينتهز
المسلمون الفرصة .. يقصدوا البيت مع القاصدين ..
يدخلون مع الداخلين .

لعل قريش لات .. خففت من غلوائها .. بد ما
جربت كل وسائل القوة واللين .. لم تستطع أن تنال منه
منالا .. بل يزداد قوة كلما حاولت إضعافه .. يزداد نورا
كلما حاولت إطفاءه .. يزداد إقبال الناس على الدخول فيه
كلما نفرت منه الناس وأرهبتهم وعذبتهم .

ليس لها أن تمنع المسلمين وحدهم من زيارة البيت ..
انه للناس سواء للعاكف فيه والباد .. فان فعلت أشهدت
الناس على ظلمها وعدوانها .. ألزمت نفسها الحجة ببغيها
وطغيانها .

لقطع كل حجة على قريش .. أعلن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه أتى البيت زائرا مسالما .. خرج في ذي
القعدة معتمرا .. لا يريد حربا .. استنفر العرب ومن حوله
ليخرجوا معه .

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرين
والأنصار ومن لحق بهم من العرب .. ساق معه الهدى ..
سبعين بدنة .. احرم بالعمرة ليؤكد للناس أنه لن يحارب ..
ليعلموا أنه يخرج زائرا للبيت ومعظما له .

استخلف النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن
أم مكتوم .. أخذ معه من نسائه أم سلمة .. خرج من
المدينة مع هلال ذي القعدة .. معه نحو ألف وخمسمائة من
المسلمين .. لا يحملون من السلاح غير السيوف في
أغمادها .. انه السلاح الذي لا بد منه للمسافر في بلاد
العرب .

ركب صلى الله عليه وسلم ناقته القصواء .. سار
بأصحابه حتى وصل إلى " ذي الخليفة " أبيار على حاليا ..
على نحو ستة أميال من المدينة .. صلى الظهر .. دعا
بالبدن فجللها .. فعل أصحابه بما ساقوا من الهدى .

أحرم سول الله صلى الله عليه وسلم .. أحرم الصحابة
معه بالعمرة .. اتجهوا نحو المدينة محرمين يلبون " لبيك

اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك
والملك ، لا شريك لك " .

جميع من يراهم يوقن أنهم خرجوا مسالمين .. لا
يبتغون إلا أن يؤدوا مناسكهم .. يقضوا فرض الله من
زيارة البيت الحرام .. قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين يديه عباد بن بشر في عشرين فارسا .. بعث بشر بن
سفيان إلى قريش عينا .. يعلم ما يعملون .. يستشف
نواياهم .

أخذت قريش حمية الجاهلية .. أبت أن يدخل محمدا
وصحبه قريش .. مهما كانت الأسباب .. أخذت تعد العدة
للحرب .. أرسلت خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل في
مائتين من فرسانها إلى كراع الغيم .. ليعترضوا طريق
المسلمين عند مدخل مكة .. استنفروا من أطاعهم من
الأحابيش ورجال ثقيف .. خرجوا إلى ظاهر مكة .. ضربوا
القباب والأبنية .. عسكروا بنسائهم وصبيانهم .. وضعوا
على الجبال عيوننا يراقبون حركات المسلمين .

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عسفان .. على مسافة عشرين ميلا من مكة .. لقيه بشر بن سفيان .. أنبأه نبأ قريش .. فقال رسول الله " ويح قريش .. أكلتهم الحرب .. ماذا لو خلوا بيني وبين سائر الناس .. إن أصابوني كان الذي أرادوا .. إن أظهرني الله دخلوا في الإسلام .. والله لا أزال أجاهدكم على الذي بعثني الله به .. حتى يظهره الله أو تنفرد صفحة العنق " .

رسول الله رغم هذا .. ليس راغبا في قتال .. حريص على رحلة سلمية .. لذا تحول عن الطريق الرئيسي إلى آخر وعر وشاق .. أفضى بهم إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي .. أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسلكوا ذات اليمين .. حتى بلغ مهبط الحديدية من أسفل مكة .. صار منها على مسيرة يوم واحد .

بركت ناقته .. طلب الناس أن يصيحون لتنهض .. لكنها ظلت في مكانها باركة .. دهش الناس لما عراها .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " حبسها حابس الفيل عن مكة .. والذي نفس محمد بيده لا تدعوني قريش اليوم

إلى خطة يسألونني فيه صلة الرحم وتعظيم الله إلا أعطيتهم إياها " .. أمر الناس أن ينزلوا حيث كانوا .

نزلوا في وادي جاف .. ليس فيه سوى حفرة واحدة .. فيها قليل من الماء .. طلب رسول الله أن يأخذوا منه فينزحوه .. شكوا إلى رسول الله العطش .. فجلس الرسول الكريم على شفير البئر .. طلب منهم دلو .. أتوه فغرف منه غرفة ثم مضمض ودعا .. فما لبث أن فاض حتى صار غمرا .. ارتوى الناس وتطهروا .. سقوا ركابهم وأنعامهم .. أخذوا حاجتهم من الماء حتى ارتحلوا من المكان .

استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية .. أتى إليه بديل بن ورقاء في نفر من رجال خزاعة .. سأله عن سبب مجيئه ومجئ المسلمين .. قال الرسول الكريم : لم نأت لقتال أحد .. جننا معتمرين .. فان شأنت قريش مدة يخلوا بيني وبين الناس وان أبوا فو الذي نفس محمد بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى أموت في سبيل الدفاع عنه .

رجع بديل وأصحابه إلى قريش .. فقال لهم أنه لم يأت لقتال .. إنما جاء زائرا للبيت .. أخبرته قريش أنه لن يدخلها عنوة أبدا .. ولن تتحدث العرب كلها بذلك .

طلب منهم عروة بن مسعود سيد ثقيف أن يذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتحدث إليه .. كان عروة رجلا حازما حكيما .. سمحوا له بذلك .

التقي عروة برسول الله صلى الله عليه وسلم .. قال له إن قومه استنفروا له .. اقساموا بالله لا يخلون بينه وبين البيت حتى يجتاحهم .. لذا فهو بين أمرين .. إما أن يجتاح قومه .. لم نسمع برجل فعلها من قبل .. أو يخذلك من معك .. نال منه أبو بكر وقال له : ويحك لن نخذله أبدا

انصرف عروة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مأخوذاً بما رأى من حب أصحابه له .. عاد إلى قريش وقال لهم : انى جئت كسرى وقيصر والنجاشي في ملكهم .. والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه .. والله ما يحدون إليه النظر .. ما يرفعون عنده الصوت .. ما يكفيه إلا أن يشير إلى امرئ فيفعل .. عرفت القوم ..

رأيتهم لا يبالون ما يصنع بهم إذا منعوا صاحبهم .. فما رأيكم .. أعطوه مدة للسلام .. اقبلوا ما عرض عليكم .. انى ناصح لكم .. أخاف ألا تنصروا .

قال الحليس بن علقمة سيد الأحابيش : دعوني آته .. فقالوا له : ائته .. لما أشرف الحليس عليهم .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: أنه من قوم يعظمون الهدى .. ابعثوا الهدى في وجهه . قدموا الهدى واستقبلوه يضجون بالتلبية .. لما رأى الهدى يسير في الوادي عليه القلائد والقوم محرمين .. رجع ولم يصل إلى النبي إعظاما لما رأى .. قال لقريش : ما حالناكم على أن تصدوا عن بيت الله من جاءه معظما لحرمة .. مؤديا لحقه .. والذي نفسي بيده لتخلن بينه وبين ما جاء له أو لأتفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد .. فقالوا له : كل ما رأيت يا حليس مكيدة .. اكف عنا حتى نأخذ لأنفسنا بعض ما نرضى به .

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث رسولا من قبله إلى قريش .. يؤكد لهم أنه جاء إلى البيت زائرا ..

لا غازيا .. مسالما لا محاربا .. بعث إليهم خراش بن أمية الخزاعي .. لم يقبلوا منه شيئا .. عقروا جملة .. هموا به ليقتلوه .. منعه منهم الحليس سيد الأحابيش .. احتملها منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وغفرها لهم .

أراد أن يرسل إليهم رجلا أقرب إليهم رحما .. بعث إليهم عثمان بن عفان .. لم يستطع دخول مكة حتى أجاره أبان بن سعيد بن العاص .. بلغهم رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أكد صدق نيته فيما قصد إليه من زيارة البيت .. أبوا أن يستمعوا لصوت الحق أو يستجيبوا لداعي السلام .. حاول عثمان إقناعهم فلم يقتنعوا .. طالبت المفاوضات بينهم ثلاثة أيام .. شاع بين المسلمين أنه قتل اتسعت الشائعة حتى وصلت إلى رسول الله كأنها حقيقة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نبرح حتى نناجز القوم .. دعا المسلمين إلى مبايعته على القتال .. أسرعوا يبايعونه .. لبسوا السلاح وتهيأوا للحرب .. بايع رسول الله عن عثمان وقال : إن عثمان ذهب في حاجة الله

بائع الصحابة أنفسهم لله في رضي واغترباط .. رغم أنهم كانوا يحملون من السلاح السيوف فقط .. لم يكن عليهم من لباس الحرب ما يقي أجسامهم .. لكنهم أقدموا على البيعة في حماسة وقوة .. لذا رضي الله عنهم وأرضاهم .. تقبل منهم البيعة وباركها لهم .. كانت فتحا مبينا .. قال الله تعالى " لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ، وأتابهم فتحا قريبا ، ومغانم كثيرة يأخذونها ، وكان الله عزيزا حكيما " .

۲۵۲

اللقاء قد تنطوي هزيمتها .. سيكون القضاء على سمعتها
بين العرب .

فكرت قريش في هذا .. قدرت أمر مستقبلها .. قارنت
بين الحق والباطل في موقفها .. بين الخير والشر في
أمرها .. بدا لها أن الصلح خير من التماذي في البغي
والعدوان .. الجنوح إلى السلم أبقي على هيبتها من قتال لا
تدرى ماذا تكون عاقبته .. خاصة بعد موقف الأحابيش
وعدم رضاهم عن موقفها .

استجابت إلى دواعي السلم .. أرسلت سهيل بن عمرو
في نفر من رجالها يفاوضون محمدا في الصلح .. إبقاء
على سمعتها .. حفاظا لكرامتها بين العرب .

استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن
عمرو مستبشرا .. قال لأصحابه : سهل أمركم .. القوم
أرسلوا إليكم يطلبون الصلح .. أبعثوا الهدى .. أظهروا
التلبية .. لعل ذلك يلين قلوبهم " .

اتفق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتهادن
الفريقان عشر سنين .. يؤجل المسلمون عمرتهم إلى العام

المقبل .. يردوا إلى قريش من جاءهم منها .. لا ترد قريش إليهم من جاءها منهم .. التحالف حرا خلال هذه الهدنة .. من شاء أن يحالف محمد فليفعل .. من شاءت أن تحالف قريش فلا حرج .

قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح .. رغم ما فيه من غبن .. لم يأخذ برغبة الصحابة الذين داخلهم الصلح بهذه الصيغة .. كما كان تشدد سهيل في صياغة الصلح كما يريد هو .. لا كما يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم سببا في زيادة ضيق الصحابة .

لما فرغ من الكتاب .. أشهد على الصلح رجالا من المسلمين .. كما شهد عليها رجالا من المشركين .

لما أنصرف وفد قريش أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن ينحروا الهدى ويحلّقوا رءوسهم .. لم يجبه أحد .. رددها ثلاثا .. لم يفعلوا .. دخل على زوجه أم سلمة وهو شديد الغضب .. سألته عن شأنه فقص عليها .. قالت : لا تلمهم .. اخرج إليهم فانحر واحلق .. خرج ففعل .. لما رأى الصحابة ما يفعله الرسول قاموا فنحروا وحلّقوا

عارض المسلمون رسول الله .. عارضوا ما حدث منه في صلح الحديبية .. لم يعارضوا شيئاً كما عارضوا هذا الصلح .. لم يقف الرسول منهم موقفاً أغضب عليهم من ذلك الموقف .. يقولون انه وقع الصلح رغماً عنهم .. عدل عن مشاورتهم .. تشددت قريش وعاندت وواجههم بمنتهى التساهل .. شعر المسلمون بمنتهى الغبن والمهانة .. فارت نفوسهم بكل ما يحسونه من عزة الاسمان وقوة الاعتصام بالحق .

جادل عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثورة بادية وغيظ مكتوم .. سأله في دهشة عن السبب الذي دعاه إلى قبول هذه المهانة .. أجابه رسول الله في اطمئنان الواثق وثقة المطمئن " أنا عبد الله ورسوله .. لن أخالف أمره ولن يضيعني " .

لذا فرسول الله صلى الله عليه وسلم مأمور .. لن يخالف أمر ربه الذي أيده بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم .. لم يكن أن يشاور أصحابه أو يستجيب لعواطفهم .. صدر إليه الأمر من العليم الحكيم .. أحس ذلك منذ بركت

ناقته مهبط الحديبية .. وقتها قال لأصحابه " حبسها حابس الفيل " .

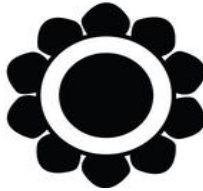
لم يتردد في قبول الصلح مع قريش .. الهدف في نظره الخير للإسلام والمسلمين .. كأنه ينظر إلى الغيب .. إلى ما وراء هذا الصلح من خير كثير.

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية بضعة عشر يوما .. انصرف إلى المدينة .. فيما هو في الطريق أنزل الله عليه سورة الفتح .. قرأ على أصحابه " إنا فتحنا لك فتحا مبينا " .

من ثمرات الصلح وضعت الحرب أوزارها بين المسلمين وقريش .. بين المسلمين وأكبر عقبة في طريق الدعوة .. مهد للدعوة أن تصل إلى كل القلوب .. سهلت اتصالهم بالقبائل .. إطلاعهم على ما في الإسلام من مبادئ سامية وأخلاق عالية .. بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم نشر الإسلام في بلاد العرب .. كما عمل على نشره في الممالك والأقطار المحيطة بجزيرة العرب .

من ثمرات الصلح توجيه كل القوة إلى اليهود .. الذين يحاولوا بوسائلهم الماكرة النيل من الإسلام .. زعزعة قوته وتقويض أركانه .. لما حدث الصلح بين المسلمين وقريش وجنوح القبائل إلى السلم صار اليهود في شبه عزلة من العرب .. ضاقت عليهم الدائرة فأنحسروا في محيط ضيق .. تهيأت الفرصة للمسلمين للقضاء عليهم .

اعترفت قريش بحق المسلمين في زيارة البيت .. دون قتال .. حقق المسلمون فوزا عظيما .



سقوط خيبر..

كانت حياة اليهود مع المسلمين .. سلسلة من الضغائن والأحقاد لا تهدأ ولا تنقطع .. النبي صلى الله عليه وسلم لم يسايرهم في خصومتهم .. لم يبادلهم العداوة .. يتلمس الفرص تلمسا ليصلح ما بينه وبينهم .. لم يبادلهم بعدوان قط .. يبذل كل جهد مستطاع في دعوتهم إلى السلام والوئام والتعاون .

تولى زعامة اليهود في خيبر أسير ابن رزام .. رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعوه إلى السلم .. لعله يكون أبعد نظرا .. ينقذ قومه من سعيير الحرب التي أكلتهم .

بعث إليه عبد الله بن رواحة في ثلاثين من رجال الأنصار .. قدموا عليه في خيبر .. عرضوا عليه أن يترك ما عزم عليه من الحرب .. أن يقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحالفه ويوليه على خيبر .. يعيش مع أهلها في سلام .

استجاب أسير ابن رزام أول الأمر .. خرج معهم في ثلاثين رجلا من اليهود .. قاصدا رسول الله صلى الله عليه

وسلم .. لما قطع مرحلة من الطريق ندم على خروجه ..
 هم بالغدر بمن أمنهم وأمنوه .. أهوى إلى سيف عبد الله
 بن رواحه يريد انتزاعه ليقتله .. فطن عبد الله لذلك فضربه
 بالسيف ضربة أطاحت فخذة وساقه .. سقط عن بعيره ..
 لم يلبث أن هلك .. مال المسلمون على من معه فقتلوه
 جميعا .

تولى بعد زعامة يهود خيبر سلام بن مشكم .. رأى أن
 يحارب المسلمين .. ظل اليهود مقيمين على الغدر ..
 عازمين القضاء على الإسلام بكل وسيلة ممكنة .. لما تم
 الصلح بين رسول الله وقريش في الحديبية يئس اليهود من
 معاونة العرب .

قرر يهود خيبر تأليف كتلة منهم ومن يهود وادي
 القرى وتيماء .. ثم يزحفوا إلى يثرب .. يهجموا عليها
 على غرة .. ينالوا منهم ويقضوا على الدولة الإسلامية
 الناشئة .

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يدور في
 معسكر اليهود .. أخذ يتهيأ لقتالهم .. خطته مفاجئتهم قبل

أن يفاجئوه .. عبد الله بن أبي أرسل إليهم .. أخبرهم أن
محمدا يعد لهم .. طالبهم أن يأخذوا حذرهم .

أعد اليهود العدة لمقاومة جيوش المسلمين ..
يخرجون يوميا في عشرة آلاف مقاتل .. متسلحين ..
أدخلوا أموالهم وأطفالهم في حصون " الكتيبة " .. جمعوا
المقاتلين في حصون " النطاة " .

قسموا بلادهم إلى ثلاثة مناطق حربية .. الأولى منطقة
" النطاة " .. الثانية منطقة " الشق " .. الثالثة " الكتيبة " ..
في كل منطقة عدة حصون منيعة على رعوس الجبال ..
رجالها مدربين مارسوا القتال والنضال .. أقوى الطوائف
اليهودية بأسا .. أوفرها مالا .. أكثرها سلاحا .. عرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لا يحاربون إلا من
وراء حصون .. لذا وضع خطته على أساسها .. كان
اليهود يظنون أن حصونهم الحصينة تمنع الرسول وصحبه
من غزوهم والتغلب عليهم .

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر في
شهر المحرم من السنة السابعة .. يصحبه ألف وستمئة

من أصحابه .. بينهم مائتان من الفرسان على ظهور الخيل
استخلف على المدينة سباع بن عرفة .

سار رسول الله بجيشه سيرا حثيثا .. قطع المسافة
على ثلاث مراحل .. بلغ أرض خيبر في اليوم الرابع ..
نزل فيها بواد يقال له " الرجيع " بين خيبر وغطفان ..
ليحول بين غطفان وبين أن يمدوا أهل خيبر .

عمى الله أهل خيبر أمر رسول الله وأصحابه .. باتوا
مطمئنين .. أصبحوا إلى أعمالهم .. لما رأوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصحابه نزلوا بساحتهم اخذوا من
الرعب والهول .. صاحوا " محمد .. محمد " .. أدبروا
هاربين إلى قومهم .. يندرونهم بما ينتظرهم من الويل
وسوء المصير .. أراد الرسول أن يزيد فزعهم فصاح "
الله اكبر .. الله أكبر .. خربت خيبر .. إنا نزلنا بساحة قوم
فساء صباح المنذرين " .

استيقظ أهل خيبر على هذا الصياح .. أحيط بهم ..
أصبحوا ليس أمامهم إلا أن يسلموا أو يحاربوا إلى آخر
رجل .. المفاجأة سدت عليهم طريق الهجوم .. ليس أمامهم

سوى الدفاع .. لجأوا إلى حصونهم المنيعة .. ظنوا أنها مانعتهم .

من معرفته بطبائع اليهود .. مالههم أحب إليهم من أنفسهم .. رأى رسول الله أن يرهبهم .. إتلاف بعض مالههم أمر بقطع نخيلهم .. عسى أن يسلمون دون قتال .. قطع المسلمون أكثر من أربعمئة نخلة .. لما رأى تصميم اليهود على الحرب نهى عن قطع النخيل .

بدأ القتال مع اليهود .. بدأ من حصن ناعم .. اليهود حشدوا قواتهم بداخله .. يقودهم سلام بن مشكم .. أعدوا أنفسهم لمعركة طاحنة .. حاصر النبي الحصن .. اليهود لا ينزلون عن الأرض إلا مرغمين .. كلما حاولوا الخروج من الحصن دحرهم المسلمون .. يرتدون إلى الحصن ليحتموا وراءه .. طال الحصار واشتد القتال حتى جهد المسلمون .. مكث رسول الله سبعة أيام يقاتل أهل الحصن .. يعطى الراية كل يوم لواحد من أصحابه .. يبعثه إلى الحصن .. يرجع ولم يصنع شيئا .. حتى فتحه الله على يد على بن أبى طالب رضي الله عنه .

فر اليهود إلى الحصن الذي يليه .. حصن الصعب بن معاذ .. اعتصموا به .. قاتلوا المسلمين قتالا شديدا .. حملوا عليهم .. انكشف المسلمون .. حض رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على الجهاد فأقبلوا .. زحف بهم الحباب بن المنذر .. انهزم اليهود وأغلقوا الحصن عليهم .. المسلمون اقتحموا الحصن .. قاتلوهم وأسروا الكثير حتى فتحوه عنوة .

وجد المسلمون في الحصن الشعير والتمر والسمن والزيت والعسل والمتاع .. كانوا أصيبوا بمجاعة قبل فتحه حتى أكلوا لحم الخيل .. لما فتحه الله عليهم ووجدوا الطعام خشي رسول الله أن تشغلهم الغنيمة عن القتال .. بعث مناديا ينادى " كلوا واعلفوا ولا تحملوا " .

واصل اليهود فرارهم من حصن إلى آخر .. وصلوا إلى حصن الزبير .. كان منيعا مقام على تلة .. حاصره المسلمون ثلاثة أيام .. ظل اليهود معتصمين به لا يخرجون منه .. استعصى على المسلمين فتحه .. علم رسول الله أن وراءه جدولا يمد الأهل بالماء .. أمر بقطعه عنهم .. خرج

اليهود من الحصن بعد قطع المياه .. قاتلوا قتالا شديدا ..
 قتل من المسلمين نفر .. كما أصيب من اليهود عشرة .. ثم
 فتحه الله على المسلمين .. بسقوطه سقطت منطقة النطا
 بأكملها .. فر اليهود إلى منطقة الشق .. اعتصموا بأول
 حصن فيه وهو حصن أبى .

حصن أبى على جبل شمران .. حاصره المسلمون ..
 تبارز الفريقان .. تحامل المسلمون على الحصن .. يتقدمهم
 أبو دجانة الأنصاري حتى دخلوه .. هرب فيمن فيه ..
 وصلوا إلى حصن البرئ .. تمنعوا فيه .. زحف رسول الله
 إليهم في أصحابه .. نصبت المجانيق .. وقع في أهله
 الرعب وسلموا الحصن وهربوا .. بذلك سقطت منطقة
 الشق .

ذهب اليهود إلى منطقة الكتيبة .. اعتصموا بحصن
 القموص .. تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ..
 حاصره عشرين ليلة .. فتحه الله على يد على بن أبى
 طالب رضي الله عنه .. سبى من الحصن نساء كثيرات

منهم صفية بين حى .. اصطفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. اعتقها وتزوجها .

انتهوا إلى حصني الوطيح والسلام .. آخر الحصون .. حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أيقنوا الهلكة .. سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقن دمائهم .. يخرجون من خيبر بذرايرهم .. يخلون بين رسول الله وبين أرضهم ومالهم وخیلهم وسلاحهم .. صالحوه على ذلك .

بعد الصلح أرادوا البقاء في أرضهم .. يعملوا فيها ويعطوا الرسول نصف ثمارها .. أبقاها الرسول في الأرض وصالحهم على النصف .. على أنه إذا شاء أن يخرجهم فعل .

عرف يهود فداء الصلح الذي تم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل خيبر .. رغبوا عن الحرب وجنحوا إلى السلم .. بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحوه على ما صالحه عليه أهل خيبر .. أجابهم

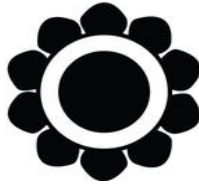
إلى ذلك .. كانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يأخذها بقتال .

توجه إلى وادي القرى .. حاصرها ليالي .. سلموا وأذعنوا للصالح .. صالحهم على ما صالح عليه أهل خيبر .. يهود تيماء قبلوا الجزية من غير حرب ولا قتال .

فتح خيبر أحدث دويا عظيما ارتجت له قريش .. وقع الخبر شديدا على نفوس القرشيين .. لم تتوقع قريش أن تنهار خيبر بهذه السرعة .. حصونهم قوية ومنيعة .. فلماذا انهارت ؟ .. لم تكن تظن أن محمدا وصحبه يبلغون من القوة ما يمكنهم من ذلك .. هذا النصر بهر قريشا وأذهلها .. بهر معها العرب وغير العرب في أنحاء الجزيرة .. إذعان يهود فدك وانهيار وادي القرى واستسلامها .. ملأ القلوب بالرعب من هذه القوة الخارقة .. التي لا تقوم لها كثرة .. لا تعوقها حصون .. لا يحول بينها وبين الوصول إلى غاياتها شئ من الأشياء .

أدى فتح خيبر إلى القضاء على القوة السياسية والاقتصادية والدينية لليهود في الجزيرة العربية .. بقى

اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم طوال حياته حتى توفى .. كما قضت على عنفوان قريش وكبريائها .. وقفت أمام القوة الإسلامية مغلولة اليدين .. لا تدرى ماذا تصنع حيالها ؟ .. أيقنت أن لا حيلة لها في مقاومة هذا الدين .. استسلموا لواقع الأمر .. لم يعد هناك من يفكر في مناوأة الإسلام من أهل الجزيرة العربية.. إلا بعض أعراب البوادي .. أرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سراياه لتأديبهم .



استشهاد الأمراء..

أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتتب الملوك والأمرء من حوله .. يدعوهم إلى الإسلام .. أرسل إلى الفرس والروم .. كما أرسل إلى اليمامة وعمان والبحرين .. أخذ الرسول يكتتبهم في أشخاص ملوكهم .. يدعوهم إلى الخروج من الظلمات إلى النور .. اتخذ خاتما من فضة نقشه " محمد رسول الله " .

كتب إليهم .. يذكرهم بأن السلامة والسعادة في الإيمان لله وحده .. يكلفه بأن يبلغ الدعوة إلى أمته .. فان تولى فعله إثم نفسه وإثم من وراءه .. ثم يختم الكتاب بخاتمه ويبعث به رجلا من أصحابه .

بعث دحية بن خليفة إلى قيصر الروم .. بعث عبد الله بن حذافة إلى كسرى فارس .. بعث عمرو بن أمية إلى النجاشي ملك الحبشة .. بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس عظيم القبط .. بعث شجاع بن وهب إلى الحارث الغساني ملك تخوم الشام .

النجاشي ملك الحبشة اسلم .. أخذ كتاب رسول الله فوضعه على عينيه .. كتب إلى رسول الله بإسلامه

وتصديقه .. كسرى ملك فارس اخذ الكتاب فمزقه .. كتب إلى باذان نائبه على اليمن أن يبعث إلى هذا الذي يدعى أنه نبي فيأتيه به .. فبعث باذان رجلين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لما قدما عليه كره ما رأهما عليه من مظاهر التخث .. قال لهما " أبلغا صاحبكما أن ربى قتل ربه كسرى في هذه الليلة " .. رجعا إلى باذان فأخبراه بما سمعا .. بينما هم واقفين اتاهم الخبر بقتل كسرى على يد ابنه شيرويه فأسلم باذان وأسلم من معه باليمن .

المقوقس عظيم القبط قرأ كتاب رسول الله وقال خيرا احتفظ بالكتاب في وعاء من عاج وختم عليه .. كتب إلى رسول الله أنه أكرم رسوله وبعث له بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط .. كما أهدى له كسوة وبغلة .

قيصر ملك الروم أتى بجماعة من التجار العرب .. سألهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لما تبين له أنه رسول الله رغب في الإسلام .. عرضه على من عنده من عظماء الروم فرأى منهم نفورا شديدا .. فتظاهر أنه كان يمتحن إيمانهم وتمسكهم بدينهم .

ملك اليمامة كتب النبي يطلب منه أن يجعل له بعض الأمر ليسلم .. كما بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين فأسلم .. أرسل عمرو بن العاص إلى ملكي عمان فأسلما .. بعث المهاجر بن أبي أمية إلى الحارث الحميري ملك صنعاء فأسلم .. أوفد أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن داعيين إلى الإسلام .. كتب إلى جبلة بن الأيهم ملك غسان فأسلم .

الحارث الغساني قرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رمى به .. عزم أن يسير إليه ليقاتله .. كتب إلى قيصر يخبره .. أمره قيصر ألا يفعل .. غير انه أوثق رباط رسول الله ثم ضرب عنقه .

ساء ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .. اشتد عليه .. اعتبره تحديا .. أمرا لا يحسن السكوت عليه .. خاصة والإسلام يركز دعائمه .

رسول الله صلى الله عليه وسلم حريص ألا تنقص هيبة الإسلام .. ألا تتزعزع عقيدة الناس فيه .. السكوت على قتل الحارث بن عمير الرسول الذي أرسل إليه أمرا

يحط من كرامة الإسلام وينتقص هيئته .. لذا كان لا بد من عمل يحفظ للإسلام هيئته .. يشعر أهل الجزيرة العربية وخارجها أن الإسلام قوة لا يستهان بها .

قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث سرية لتأديب الحارث بن عمير .. غسل ما لحق بدولة الإسلام من مهانة .

نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين .. أسرعوا وعسكروا بالجرف من أطراف المدينة .. اكتملوا ثلاثة آلاف .. أعدهم رسول الله وهياهم وقال لهم " أمير القوم زيد بن حارثة .. إن قتل فجعفر بن أبى طالب .. إن قتل فعبد الله بن رواحة .. فان قتل فلا يرتض المسلمون بينهم رجلا فيجعلوه عليهم" .

أمرهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير .. يدعوا من هناك إلى الإسلام .. إن أجابوا قبلوا منهم وكفوا عنهم .. إن لم يستجيبوا استعانوا بالله وقتلوهم .. أوصاهم ألا يغدروا ولا يغلوا .. لا يقتلوا وليدا ولا امرأة .. لا كبيرا

فانيا ولا منعزلا بصومعته .. لا يقربوا نخلا ولا يقطعوا
شجرا ولا يهدموا بناء .

خرج الجيش مزودا بوصايا رسول الله .. مشيعا
بدعوات المسلمين .. ودعهم رسول الله حتى ثنية الوداع ثم
عاد إلى المدينة .

الخطبة التي ساروا عليها مفاجأة القوم .. يأخذوهم
على غرة .. لكنهم علموا بنبأ الجيش فاستعدوا له ..
استعدادا أذهل المسلمين من هول ما رأوا من كثرة الروم
وأبهتهم وعظيم أهبتهم .

استقبل الروم المسلمين بمائتي ألف مقاتل .. فزعوا
حين رأوا المسلمون .. تخیلوا هذه القوة التي أذاعت الرعب
في الجزيرة لذا اجتمعوا لهم بهذه الأعداد الكبيرة من
المقاتلين .

مضى المسلمون إلى لقاء العدو .. لا يبالون بشئ ..
وجدوا جموع العدو محشودة في قرية يقال لها مشارف ..
أخذت فياللق العدو تدنو منهم .. انحازوا إلى قرية " مؤتة "

ليتحصنوا بها .. انحدر الروم إليهم .. عبأ المسلمون قوتهم
وقاتلوا في نظام .

قالت زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه
وسلم .. قاتل معه المسلمون .. لما قتل أخذ الراية جعفر
بن عبد المطلب .. قاتل مستميتا .. أحاط به العدو فقهر
فرسه ثم أندفع راجلا يقاتل واللواء بيمينه .. ضربت يمينه
فقطعت فاحتضن اللواء بيساره .. ضربت يساره فقطعت
فاحتضن اللواء بعضده .. حتى قتل .. اخذ اللواء عبد الله
بن رواحة .. تقدم حتى قتل .

اختار المسلمون خالد بن الوليد بعد مقتل ابن رواحة
بعد استلامه الراية وتحت ستار الليل .. بدل مواقع الجيش
.. نقل الميمنة إلى الميسرة .. نقل الميسرة إلى الميمنة ..
جعل الساقة في موضع المقدمة .. جعل المقدمة في موضع
الساقة .. رصد من خلف الجيش طائفة يثيرون الغبار..
يكثران الجلبة عند طلوع النهار .

نجحت خطة خال .. خدع القوم .. قام بتغيير مواقع
أصحابه .. تراجع بهم في مهارة وحذق .. ظن الروم أنه

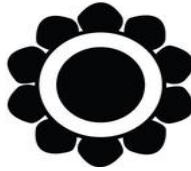
يستدرجهم إلى الصحراء .. لم يتبعوه .. ما زال يناوش حتى أفلت بجيشه المكون من ثلاثة آلاف ويواجه مائتي ألف .

قبل أن يبرح الجيش مؤتة .. نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الثلاثة .. زيدا وجعفرا وابن رواحة .. قال " أخذ الراية زيدا فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب .. حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله عليه " .

وقع الخبر على المسلمين شديدا .. خرج أهل المدينة يقولون " يا فرار .. أفررت في سبيل الله " .. فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " ليسوا بالفرار .. لكنهم الكرار إن شاء الله " .

لم يكن من الطبيعي أن يقف ثلاثة آلاف أمام مائتي ألف .. يكفي أنهم استطاعوا مع قلة عددهم أن يصدوا لمدة يوما أو أكثر من يوم .. من التجني أن نكلف المسلمين أن يفعلوا فوق ما فعلوا .. حتى يمكن القول بأنهم ظهروا على عدوهم .

يكفى المسلمون ظهورا أنهم تركوا أثرا من الرهبة في
النفوس .. جعل العدو يحجم عن قتالهم .. ينكلون عن
متابعتهم .. مما يعد تأمينا لحدودهم من ناحية الشام .. لم
يحاول الروم ولا أتباعهم أن يهاجموا المسلمين بعدها ..
كما تركت في نفوس القبائل الضاربة على أطراف الشام
والعراق أثرا قويا من الإعجاب بالمسلمين .. مما جعل
كثيرا من بنى سليم وأشجع وغطفان وعبس وذبيان وفزارة
يدخلون في الإسلام طائعين .



الفتح الأعظم ..

أي يكشف الكتف الأيمن ويضعوا الرداء على الأيسر. .
ليرى المشركون جلدهم وقوتهم .

ظل يلبي حتى استلم الركن .. استلم الحجر الأسود
وقال " رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة " .. انطلق
يهول وأصحابه يهرولون معه .. حتى انتهت الأشواط
الثلاثة الأولى .. ثم طاف وطاف معه المسلمون بقية
الأشواط السبعة.

لما انتهى الطواف .. ذهب بأصحابه إلى المسعى ..
سعى على راحلته بين الصفا والمروة .. حتى أتم الأشواط
السبعة . .. لما فرغ وقف على المروة وقال " هذا المنحر
وكل فجاج مكة منحر " .. ونحر الهدى وحلق .. كما نحر
أصحابه وحلقوا .. أحلوا بذلك عمرتهم .

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة .. ظل بها
حتى وقت الظهر .. أمر بلال أن يؤذن من فوق ظهر الكعبة
فعل بلال ومشركى مكة يغطون وجوههم حين سمعوا الأذان
أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا .. رأى
فيها أهل مكة من مظاهر القوة والتضامن بين المسلمين ..

من دلائل البر والمحبة والإخلاص ما بهرهم وأدهشهم ..
ملاً قلوبهم إعجاباً بهذا الدين .. جعل من الضعف قوة من
البغضاء محبة .. من التنافر والتدابير ألفة واجتماعاً ..
شاهدوا هذا النبي الأمي الذي استطاع أن يجعل من هذه
الأشأت وحدة متماسكة .. قوامها التعاطف والتساند ..
هدفها الخير والإصلاح .. أساسها العبودية والإخلاص لله
وحده لا شريك له .

خشي رجال مكة أن يفتنهم المسلمون .. انتهت الثلاثة
أيام حتى أتوا رسول الله وقالوا له انقضى أجلك فاخرج عنا
أراد رسول الله أن يتألف قلوب القوم .. أحس ما فعل بها
الإسلام .. فقال لهما " ما عليكم لو تركتموني أعرس بين
أظهركم وصنعنا طعاماً لكم فحضرتموه ؟ " .. أدرك الرجال
ما هنالك من خطر على دينهم .. إذا اجتمعوا مع محمد في
جو الوليمة الهادئ .. في نشوة الأُس بهذا الصهر الجديد
فإنهم لا ريب مهزومون له .. انه قادر على يملكهم بقوة
نفسه وسحر بيانه .. يصدع ما بينه وبينهم من الحواجز ..

خاصة بعد أن هفت قلوب كثيرة إلى الإسلام .. أخذت
القلوب ترق حتى كادت تشف .

قدر الرجال ذلك فقالوا على الفور " لا حاجة لنا في
طعامك .. اخرج عنا .. نناشدك العهد الذي بيننا وبينك ألا
خرجت من أرضنا .. هذه الأيام الثلاثة قد مضت " .

لما جاء اليوم الرابع أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالرحيل من مكة .. خرجوا من مكة إلى سرف وهو
موضع من ضواحي مكة قرب التنعيم .. على نحو تسعة
أميال من مكة .. تزوج فيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم من السيدة ميمونة بنت الحارث .. بعدها غادر مكة
بعدما ترك فيها أثرا عميقا .. غزا نفوس الضعفاء من
أهلها .. تفتحت لدينه قلوب عصية مثل خالد بن الوليد
وعمر بن العاص .. فريق منهم بهره وفاء الرسول بالعهد
مع قدرته على نقضه .. فريق راعه سمات الدين والتراحم
بين المسلمين .. ما بينهم وبين نبيهم من التمكن .. فريق
عرف أن العاقبة للإسلام فجنحوا إليه .. سميت هذه العمرة
" عمرة القضاء " .

أراد الله أن يفك كل ما بقى من أغلاق الجاهلية .. في السنة الثامنة من الهجرة المشرفة .. خالفت قريش بنود صلح الحديبية .. انحازت إلى بنى بكر ضد خزاعة حليفة محمد وصحبه .. أغاروا على خزاعة ليلاً .. أصابوا منهم رجالاً وتناوشوا واقتتلوا .

أسرع عمرو بن سالم الخزاعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. دخل عليه صلوات الله عليه وسلامه وهو جالس في المسجد .. طلب أن ينجدهم وينصرهم على بنى بكر وقريش .. فقال صلوات الله عليه وسلامه " نصرت عمرو .. إن هذه السحابة عرضت لهما في السماء تستهل بنصركم "

أحست قريش بغدرها .. خشيت عواقب الأمور .. قررت إرسال أبو سفيان إلى المدينة لتجديد الصلح .. قدم أبو سفيان المدينة .. دخل على ابنته حبيبة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. جلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فطوته عنه .. قالت له " انه فراش الرسول وأنت مشرك نجس " .

خرج مضضع النفس مكلوم الفؤاد .. حتى دخل
وقابل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه فلم يجبه ..
خرج من المسجد أشد ما يكون انكسارا .. ذهب إلى
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشفع بهم .. لم
يجد منهم من يجيب رجاءه .. ألتقي بأبي بكر ففعل مثل
محمدا .. أتى عمر بن الخطاب فرفض الاستجابة له وقال "
والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم له " .. ذهب إلى علي بن
أبي طالب فقال له " ويحك يا أبو سفيان .. إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم عزم على أمر ما نستطيع أن نكلمه
فيه " .. حاول مع السيدة فاطمة وفشل.

أظلمت الدنيا أمام عيني أبي سفيان .. دخل المسجد
وقال : "أيها الناس .. أنى قد أجرت بين الناس " .. ثم
ركب بغيره وانطلق وهو يتجرع مرارة الخيبة والانكسار
والهوان .

عاد إلى قريش .. سألوه عندما وصلها .. قال "
جئت محمدا فكلمته فما رد على شيئا " .

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتهيؤ
للمعركة الفاصلة .. التي تعلن وأد الوثنية عن شبه الجزيرة
العربية .. أرسل إلى البادية ومن حوله من الأعراب لحضور
رمضان بالمدينة .. توافدوا وعسكروا بأرضها .. كان صلى
الله عليه وسلم حريصا ألا يريق دما في مكة .. أخفى
مقصده عن الناس .. وضع على الطرق حرسا .. لا يدعون
أحدا يمر بها لا يعرفونه.

عندما اكتمل الحشد .. أخبرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه سائر إلى مكة .. أمرهم بالجد والتهيؤ ..
دعا الله أن يأخذ العيون والأخبار على قريش حتى يباغتها
في بلادها .

للتمويه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية
إلى بطن أضم .. عندما وصلتها خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى مكة لحقت به .. بلغ عدد الجيش
الاسلامى عشرة آلاف من الصحابة .. استخلف على
المدينة أبا ذر الغفاري .

سار هذا الجيش العريض يقطع الصحراء الواسعة ..
 سعيا إلى مكة .. لا ليسفك الدماء ويقتل الأبرياء .. لا
 ليسلب الأموال ويغتال الحقوق .. لكن ليفتح البلد الحرام ..
 يرفع دونه الحواجز والسدود .. يجعله كما جعله الله مثابة
 للناس وأمنا .. ينشر دين الحق الذي بعث به رسله منذ
 خلق السموات والأرض .. ليخرج الناس من الظلمات إلى
 النور .

لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس في
 الجحفة .. كان قد خرج بعياله مسلما مهاجرا .. أرسل
 العباس أهله إلى المدينة .. رجع مع جيش رسول الله صلى
 الله عليه وسلم إلى مكة .

في الأبواء قابل أبو سفيان وابن عمته عبد الله بن
 أبي أمية .. أعرض عنهما .. فقال على لأبي سفيان " أنت
 الرسول من قبل وجهه وقل له ما قال أخوة يوسف ليوسف
 .. " فعل أبو سفيان .. فضرب الرسول صدره وقال " أنت
 طردتني كل مطرد " .

واصل رسول الله سيره وهو صائم - كانوا في رمضان - والجيش صائم مثله .. عندما بلغوا الكديد - ماء - أفطروا ثم واصلوا السير حتى نزلوا بوادي فاطمة - الظهران .. بعد الغروب .. أمر الرسول الكريم أصحابه أن يوقدوا نارا .. أوقدوا عشرة آلاف نار .. ظهر ضوءها يسطع في ظلام الصحراء .. يتلأأ في فضاءها الواسع .. جعل ليلها نهارا .

ركب العباس بغلة رسول الله ليجمع خطبا .. سمع كلام أبو سفيان وبديل بن ورقه وهما يقولان " ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكر " .. فيرد صاحبه " لعلها نار خزاعة " .. فيقول الآخر " خزاعة أقل وأذل " .

عرف العباس صوتهما .. أخبرهما أنها نار رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيشه وسيصبحون على قریش يسانداهم الله .. سألاه ما العمل؟! .. قال لأبى سفيان " والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك " .. أركب خلفي حتى آتى سول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك " .. ركب خلفه وعاد صاحبه .

دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصحبته أبى سفيان .. حاول عمر بن الخطاب أن ينال من أبى سفيان .. تدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب من عمه العباس أن يصحب من أستأجره إلى رحله ويأتي في الصباح .

غدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال " ويحك يا أبا سفيان .. ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله إلا الله ؟ .. ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله " .. فقال له العباس " ويحك اسلم واشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله " .. أسلم وشهد شهادة الحق .

قال العباس : يا رسول الله أن أبا سفيان رجل يحب الفخر .. أجعل له شيئا " .. قال " نعم " .. من دخل دار أبى سفيان فهو آمن .. من أغلق عليه بابه فهو آمن .. من دخل المسجد فهو آمن "

تحرك الجيش الاسلامى إلى مكة .. أمر العباس أن يحبسه حتى تمر به جنود الله فيراها .. فعل .. مرت به

القبائل .. حتى قال للعباس " يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما " .. فقال العباس " أنها النبوة " .

عندما مر سعد بن عبادہ بأبي سفيان قال له " اليوم يوم الملحمة .. اليوم تستحل الحرمة .. اليوم أذل الله قريشا " .. فلما حاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان قال " يا رسول الله ألم تسمع ما قال سعد .. وذكر له مقالته " .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " بل اليوم أعز الله قريشا .. اليوم تعظم فيه الكعبة .. اليوم يوم المرحمة ليس يوم الملحمة " .. ثم أمر أن يذهب إلى قومه .

أسرع أبو سفيان ودخل مكة .. وقف يصرخ " يا معشر قريش .. هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لم به .. فمن دخل دارى فهو آمن .. ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن " .. فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

في ذي طوى وزع الجيش الاسلامى .. خالد بن الوليد على الجانب الأيمن ومعه أسلم وسليم وغفار ومزينه وجهينة وأمر أن يدخل مكة من أسفلها .. الزبير بن العوام

على الجانب الأيسر ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أن يدخل مكة من أعلاها .. أما عبيدة فكان على الجنود بدون سلاح وأمر أن يدخل مكة من بطن الوادي حتى ينصب للجيش الاسلامي .

تحركت الكتائب .. لقي خالد وأصحابه سفهاء مكة في الخدمة فناوشوهم وأصابوا من المشركين اثني عشر رجلا وأقبلوا يجوسون مكة حتى وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا .. الزبير تقدم حتى نصب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحون وضرب فيها قبة ولم يبرح مكانه حتى جاءه الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

دخلت جيوش المسلمين مكة بلا مقاومة .. فتح البلد الأمين بلا قتال .. دخل صلى الله عليه وسلم على ناقته .. لا كما يدخل الفاتحون في كبريائهم وجبروتهم .. دخل خاشعا متواضعا مكبا على رحل ناقته .. يكاد رأسه يلمس الرحل .. شكرا لله على ما أنعم به من هذا الفتح المبين .

وسط تكبيرات وتهليل الصحابة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام .. انتهى إلى الكعبة .. استلم الركن وكبر فكبر المسلمون بتكبيره .. حتى ارتجت مكة لتكبيرهم .. أقبل إلى الحجر الأسود واستلمه وقبله .. طاف بالبيت .. نزل عن راحلته .. انتهى إلى المقام .. صلى فيه ركعتين .. انصرف إلى زمزم فشرب منها وتوضأ جلس ناحية المسجد وأبو بكر قائم على رأسه بالسيف .. دعا عثمان بن طلحة ففتح له الكعبة .. دخلها وصلى فيها ركعتين .. وقف على باب الكعبة وقال " لا اله إلا الله وحده .. صدق وعده .. نصر عبده .. هزم الأحزاب وحده " .. خطب خطبة طويلة ذكر فيها أحكام الإسلام .

رأى في الكعبة صوراً فأزالها وكسر حمامه وضعت داخلها .. أغلق الباب عليه ومعه أسامه وبلال .. ملأت قريشا المسجد صفوفاً ينتظرون ماذا يصنع ؟ .

وقف يقول لهم " لا اله إلا الله وحده لا شريك له .. صدق وعده .. نصر عبده .. هزم الأحزاب وحده .. ألا كل مأثرة أو مال أو دم تحت قدمي هاتين .. إلا سداة البيت

وسقاية الحاج .. ألا وقتيل الخطأ ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل .. أربعون منها في بطونها أولادها "

واستمر يقول " يا معشر قريش .. إن الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء .. الناس من آدم .. آدم من تراب .. ثم تلا هذه الآية " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير " .. يا معشر قريش .. ما ترون أنى فاعل بكم ؟ .. قالوا خيرا .. أخ كريم وابن أخ كريم .. قال : أذهبوا فأنتم الطلقاء .

أكان أهل مكة ينتظرون هذا العفو .. لو أن الفاتح كان قائدا من القواد أو ملكا من الملوك .. هل يذكر التاريخ موقفا واحدا مماثلا لفاتح عظيم ؟ .. يقف من أعدائه هذا الموقف الكريم .. لكنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لم يكن يرمى إلى ما يرضى النفس من الشهوات ونزعات الهوى .. إنما كان رحمة مهداة أرسلها الله إلى عباده .. حيثما يحل تحل الرحمة .. تشمل الصديق والعدو .. المؤمن والكافر .. يأخذ كل بحظه .

نزل هذا العفو الكريم بردا وسلاما على القلوب القاسية .. طالما أعمأها الحقد عن التجاوب مع هذا الدين القويم .. ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم طوال أعوام عديدة ينشد الخير لهم .. يحاول بكل وسيلة أن يوجههم إليه ويرغبهم فيه .. لكنهم عموا وصموا .. بادلوه عداوة بمودة إساءة بإحسان .. كذبوه وقاطعوه .. أخرجوه وحاربوه وألبوا عليه .. ظلوا يتربصون به الدوائر .. يتحينون الفرص للنيل منه .. لما أظهره الله عليهم .. أمكنه من رقابهم .. نسى كل ما سلف من إساءة وعداوة .. كافأهم بالصفح الجميل والعفو الشامل .

أي نفس كريمة هذه ! .. أنها نفس الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .. الذي لا يضر قط إلا الخير .. لم يكن يبغى إلا الإصلاح .. لم يكن جبارا ولا ظالما ولا منتقما لم يكن في غضبه ورضاه إلا كما يقول الله سبحانه وتعالى " لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم " .

جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ..
دعا عثمان بن طلحة وكانوا سدنة الكعبة .. دفع إليه
مفتاحها وهو يقول " خذوها خالدة تالدة .. لا ينزعها منكم
إلا ظالم .. يا عثمان .. إن الله أستأمنكم على بيته .. كلوا
مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف " .

حانت الصلاة .. أمر صلوات الله وسلامه عليه بالالا
أن يصعد فيؤذن على الكعبة .. ففعل وأبو سفيان بن حرب
وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جالسين بفناء الكعبة ..
قال عتاب " أكرم الله أسيدا أن لا يكون سمع هذا فيسمع
منه ما يغيظه " .. فقال الحارث " لو أعلم أنه الحق لأتبعته
" فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
لهم ما قالوا فأعلن الحارث وعتاب اسلامهما وتشهدا .

أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومها دماء
تسعة من أكابر المشركين .. أمر بقتلهم وأن وجدوا تحت
أستار الكعبة .. هم عبد العزى بن خطل وعبد الله ابن أبي
سرح وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن نفيل بن وهب

ومتيس ابن صبابه وهبار بن الأسود وقينتان لابن خطل
وسارة مولاة بنى عبد المطلب .

الذين نفذ فيهم أمر رسول الله هم ابن خطل .. قتل
وهو متعلق بأستار الكعبة .. أما ابن أبى سرح فجاء به
عثمان إلى النبي صلوات الله وسلامه عليه وشفع فيه
فحقن دمه وقبل إسلامه .. عكرمة بن أبى جهل فر إلى
اليمن فاستأمنت له امرأته فأمنه الرسول ورجع وأسلم
وحسن إسلامه .. هبار بن الأسود أسلم وحسن إسلامه
وعاد إلى مكة بعدما فر يوم فتحها . . استؤمن لسارة
ولإحدى القينتان .

ثاني أيام الفتح وقف محمد خطيبا .. حمد الله وأثنى
عليه .. قال : يا أيها الناس .. إن الله حرم مكة يوم خلق
السموات والأرض .. فهي حرام بحرمة الله إلى يوم
القيامة .. لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك
فيها دما .. أو يعضد بها شجرة .. فان احد ترخص لقتال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا إن الله أذن
لرسوله ولم يأذن لكم .. إنما حلت لي ساعة من نهار ..

وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها أمس .. فليبلغ الشاهد الغائب .

خاف الأنصار .. بعدما فتح الله لرسوله بلده وأرضه أن يقيم فيها ويترك ديارهم .. لما فرغ الرسول سألهم عما يقولون .. لم يزل بهم حتى أخبروه .. فقال " معاذ الله .. المحيا محياكم .. والممات مماتكم " .. اى أخلاق هذه وقدره على الوفاء .. أنها أحب بلاد الله إلى قلبه وهو الذي قال فيها " لولا أهلك أخرجوني ما خرجت منك أبدا " .. لكنه الوفاء والإيمان بالقدر الذي ساقه إليه المولى العزيز الحكيم يرفض أن يقيم في البلد الذي يحبها ويهواها .. بملء إرادته ويقيم في المدينة المنورة مشيدا حضارة هادية للبشرية .

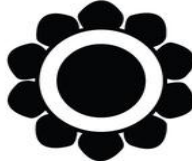
أدرك مشركو مكة أن الإسلام هو الطريق الهادي إلى الخير .. أذعنوا له .. اجتمعوا للبيعة .. جلس الرسول صلى الله عليه وسلم على الصفا يبايعهم وعمر بن الخطاب أسفل منه .. يأخذ على الناس .. بايعوه على السمع والطاعة .. ثم بايع النساء .

أقام صلوات الله وسلامه عليه في مكة تسعة عشر
يوماً .. حدد معالم الإسلام .. رشح الناس إلى الهدى والتقى
.. بث سراياه للدعوة إلى الإسلام وكسر الأوثان الموجودة
حول الكعبة .. نادى مناديه في مكة من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره .

بعث صلوات الله عليه وسلامه خالد بن الوليد فكسر
العزى وعمر بن العاص ليحطم سواع وسعد بن زيد
الأسهلى لهدم مناة .

عرفت قبائل العرب أن محمداً وصحبه سيطروا على
الحرم .. لا يسيطر عليه إلا من كان على الحق .. فكان هذا
الفتح خير وبركة على الإسلام .. دخل الناس في دين الله
أفواجا .. سيطر المسلمون على الموقف السياسي والديني
في طول الجزيرة العربية وعرضها .. انتقلت إليهم الصدارة
الدينية والزعامة الدنيوية .. لم يبق لأقوام العرب إلا القدوم
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعتقوا الإسلام
ويحملوا دعوته إلى العالم .

هكذا فتحت مكة أبوابها للدعوة الإسلامية .. ألقّت
مقاليدها إلى رسولها الأمين .. انهدم بذلك حصن الشرك
العتيد .. انهار ذلك السد المنيع الذي حارب الدعوة منذ
قامت .. منذ ذلك اليوم صارت مكة كعبة الإسلام .. قبلة
المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .. حتى يرث الله
الأرض وما عليها وهو خير الوارثين .



النبي لا كذب..

لم تصدق بطون هوازن وثقيف ونضر وجشم وسعد
بن بكر وناس من بنى هلال انتصار المسلمين .. سينالهم
ما نال قريشا .. من تبديل الدين .. تهديم الأصنام ..
خضوعها لسلطان محمد .. بعد ما كانت في عزها وسؤدها
ثقيف تقيم بالطائف .. هوازن تجاورها في جبال هناك حول
الطائف .. الطائف أخصب بقاع الجزيرة العربية .. مقرر
عبادة اللات .. أكبر أصنام العرب بعد هبل .

اجتمع ذو الرأي وتشاوروا فيما بينهم .. اتفقوا على
مبادرة محمد بالغزو قبل أن يبادرهم .. انضم إليهم قبائل
عديدة .. اجتمع لهم بذلك خلق كثير .. لما تمت الصفوف
جعلوا أمرهم إلى مالك بن عوف النضري .. أخرج مع
القوم أموالهم ونساءهم وأبناءهم .. ليكون أدعى إلى
حماسة الرجال واستماتتهم في الذود عن حرمااتهم .

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعدت له
هوازن وثقيف .. بعث إليهم عينا من عيونه ليستطلع
الحقيقة .. تبين له صدق ما عزموا عليه .. وصلت
أخبار مسير العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو في مكة .. أستعد للقتال .. خرج في جيش قوامه اثني عشر ألفا .. عشرة آلاف قدموا معه من المدينة وألفان من أهل مكة .

خرج المشركون بجيشهم .. نزلوا في وادي حنين .. هو من الأودية الجافة في تهامة .. ينحدر انحدارا شديدا .. كثير المضائق والشعاب .. رأى مالك بن عوف أن يعسكر عنده ليستغل طبيعته في تحطيم قوة المسلمين .. وضع فريقا من رجاله فوق رعوس المضائق والشعاب .. عبأ بقية الجيش في جوانب الوادي ومكامنه .. أمر الرماة أن يفاجئوا المسلمين عند ظهورهم بالنبال .. يصبوها عليهم من رعوس المضائق والشعاب حتى يرعبوهم ويذهلوهم .. إذا أصابتهم المفاجأة أخلت نظامهم .. عندها يهجم عليهم الرجال فيميلون عليهم ميلا رجل واحد .

وصل الجيش الاسلامي إلى حنين في العشر الأوائل من شوال .. وضع الرسول خطته أن يفاجئ العدو في بداية الصباح .. لم يكن رسول الله ولا المسلمين يدرون أن المشركين سبقوهم إلى حنين .. كمنوا لهم في شعابه

وحناياه ومضايقه .. أنهم أجمعوا وتهيأوا لملاقاتهم كما
أعد أميرهم مالك بن عوف .

في الصباح تحرك المسلمون .. سارت مقدمتهم من
الفرسان يقودها خالد بن الوليد .. من ورائهم سارت كتائب
الجيش .. ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته
البيضاء .. لبس لأمة الحرب ودرعين .. يحوطه رجال من
الصحابة .. فيهم عمه العباس بن عبد المطلب .

وصلت طلائع جيش المسلمين إلى مدخل الوادي ..
فوجئوا بالسهم تنهال عليهم من كل مكان .. لا يدرون أمن
السماء أم من الأرض .. ضاقت عليهم الأرض .. لم يجدوا
بدا من الارتداد .. على غير نظام .. انتهز العدو هذه
الفرصة فهجم بخيله وأمعن في ظهور المسلمين طعنا
وضربا

شاع الاضطراب في صفوف المسلمين .. سرت عدوى
الهزيمة في صفوفه .. تراجعوا وتدافعوا في غير وعى .
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب
المسلمين .. رأى الناس يتدافعون .. وقف منتصبا بينهم

وهو يصيح "هلموا إلى أيها الناس .. أنا رسول الله .. أنا محمد بن عبد الله " .. المسلمون في هلعهم لا يسمعون ولا يعون .. لا يلوون على شئ مما يحيط بهم .. حتى انكشف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لم يبق معه إلا نفر قليل من المهاجرين والأنصار وأهل بيته .. وقتها ظهرت شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم .. قاد بغلته ناحية الكفار وهو يصيح " أنا النبي لا كذب .. أنا بن عبد المطلب " وأمر عمه العباس أن ينادى الصحابة .

كان العباس رجل جهير الصوت .. بدأ يصرخ في المسلمين " يا معشر الأنصار الذين آووا رسول الله ونصروا .. يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة هلموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

أجتمع إليه مائة من الرجال الصادقين في عزائمهم .. صمدوا في وجه العدو .. صدوا هجومه .. استقبلوا الكفار وقتلوه .. عادت كتائب المسلمين إلى أرض المعركة .. اشتد واحتدم النزاع .

أصبح الصباح .. أسفر عن انكشاف مواقع العدو .. حملوا عليه حملة رجل واحد .. تفرقت جموعهم في كل ناحية .. تابع المسلمون فلول العدو يطاردونها حيث ذهبت قتل من قتل .. أسر من أسر .. فر من فر .. أميرهم مالك بن عوف فر إلى حصن من حصون الطائف .. احتفى بها وترك وراءه كل ما ساق من الأموال والأنعام والنساء والبنين .

أخذ الرسول قبضة من تراب الأرض ورمها في وجوه الكفار وهو يقول "شاهت الوجوه " .. فما منهم إلا وملاً التراب عينيه من هذه القبضة فأدبروا وتركوا ساحة الحرب .

ساعات قلائل وتنكشف مواقع الكفار .. يهزمون هزيمة منكرة .. توجهت طائفة منهم إلى الطائف .. وطائفة ثانية إلى نخلة وثالثه إلى أوطاس.

غنم المسلمون شيئاً لا يكاد يحصيه العدد .. أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والأموال .. جمعت وسيقت إلى وادي الجعرانة .

توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه إلى
الطائف .. ليواجه مالك بن عوف بمن نجا من رجاله من
ثقيف .. وجدهم تحصنوا في حصونهم .. أغلقوا الأبواب ..
تسلحوا بكل ما يستطيعون من مئونة وسلاح .. أخذوا
أهبتهم لحصار طويل .

وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الفارين اعتصموا
بحصونهم .. أراد أن يحدثهم لعلمهم يسلمون دون قتال ..
لكنه ما إن دنا من الحصن حتى أمطروه بوابل من السهام
قتلت طائفة من المسلمين وجرحت طائفة .

أبتعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن
مرمى السهام .. أمر جيشه بحصار الحصن .. حاصرهم
أكثر من عشرين يوما .

لم يستطع المسلمون إخراج المشركين من الحصن ..
طلبوا إليهم الخروج للمبارزة فأبوا .. عيروهم بالجبن فلم
يأبهوا .. نصبوا المجانيق يرمونهم بالحجارة فلم ينل منهم
زحف المسلمون إلى جدار الحصن ليخرقوه .. أرسلت

عليهم ثقيف قطع الحديد المحماة بالنار فأخرجتهم من تحتها
رمتهم بالنبال فقتلت منهم رجالا .

حاول المسلمون بكل وسيلة .. لم يستطيعوا .. أمر
رسول الله أن ينادى في عبيد ثقيف " من خرج إلينا فهو
حر " .. لما سمعوا النداء تسلل منهم بضعة عشر رجل
فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

علم رسول الله من المعتقين أن ثقيف تزودت بزاد
يكفيها سنة .. إنهم أقسموا ألا يخرجوا من الحصن إلا بعد
نفاد الزاد .. بعدها يقاومون حتى آخر رجل .. علم رسول
الله أن لا فائدة من الحصار .. العدو انكسرت شوكته وامن
شره .. صار في محبسه .. إن أقام عليه أخذه وإن تركه
لن يضره .. أثر أن يرحل بأصحابه ويترك العدو إلى حين
لعل الله يهديه فيأتي إليه مسلما طائعا .. تحققت الأمنية
لرسول الله .. لم تمض إلا شهرين حتى أذعنت ثقيف ..
دخلت في دين الله راضية مستسلمة .

أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية لمطاردة الفارين إلى أوطاس وهزمتهم .. كما أرسلت سرية أخرى لمطاردة الذين فروا إلى نخلة.

عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة .. حيث حبست الغنائم .. أمر بإحصائها .. كانت أربعة وعشرين ألفا من الإبل .. أربعين ألفا من الغنم .. أربعة آلاف أوقية من الفضة .. ستة آلاف من النساء والبنين والنساء .. هذه أرقام كبيرة جدا توضح أن الكفار جاءوا بأموالهم وأولادهم ونساءهم ليكونوا أمام أمر واحد لا ثان له .. إما النصر أو الفناء .

بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم تقسم الغنائم .. بدأ بالأموال .. قسمها بين الناس .. باقي الغنائم كان نصيب الرجل أربعة من الإبل وأربعين شاة .. نصيب الفارس ثلاثة أمثال .. أجزل رسول الله صلى الله عليه وسلم العطاء لنفر من أشراف قريش ومن سادات العرب وأمرائها .. يريد أن تتألف قلوبهم إلى الإسلام .. علم أنهم حديثي عهد بالإسلام وأنهم خرجوا طمعا في الغنيمة ..

حتى اسلم منهم من كان لم يسلم .. اطمأن إلى الإسلام من كان قد اسلم .

خفيت على كثير من الناس حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما غمر به المؤلفة قلوبهم .. قال بعضهم : إن هذه لقسمة ما عدل فيها .. ما أريد بها وجه الله .. غضب رسول الله حين علم بذلك وقال " ومن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله .. رحم الله موسى اودى بأكثر من هذا فصبر " .

خشي الأعراب أن يذهب السادة بالأموال .. اتبعوا رسول الله يقولون له " أقسم علينا فيئنا " .. مازالوا به حتى أُلجئوه إلى شجرة .. فقال صلى الله عليه وسلم " أيها الناس فو الله لو كان لي عدد شجر تهامة نعم لقسمتها عليكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا؟؟ ثم قال " والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس و الخمس مردود عليكم " .

خفيت هذه الحكمة على الأنصار .. تهامسوا فيما بينهم .. قالوا وجد والله الرسول قومه .. دخل سعد بن عباد على

سول الله صلى الله عليه وسلم فقال " يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار وجدوا عليك في أنفسهم .. لما صنعت في هذا الفئ الذي أصبت .. فقسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب .. ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شئ " .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ " .. قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومي .. فقال الرسول " فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة " .

أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " يا معشر الأنصار .. ما قاله بلغتنى عنكم وجدة وجدتموها على في أنفسكم .. ألم آتكم ضلالا فهداكم الله .. عالة فأغناكم الله .. أعداء فألف الله بين قلوبكم " .. قالوا : بلى يا رسول الله امن وفضل .

قال صلى الله عليه وسلم " أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتكم وصدقتم .. أتيتنا مكذبا فصدقناك .. مخذولا فنصرناك .. طريدا فأويناك .. عائلا فأسيناك .. أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها

قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترضون يا معشر
الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول
الله إلى رحالكم .. فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة
لكنت امراً من الأنصار .. ولو سلك الناس شعبا وسلكت
الأنصار شعبا لسلك شعب الأنصار .. اللهم أرحم الأنصار
وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار .

بكى القوم حتى بللوا لحاهم .. قالوا معا " رضينا
برسول الله قسما وحظا " . . كان درسا .. ارتفع بهم فوق
المال والجاه .. على ما يتكالب عليه الناس من متاع الحياة
الدنيا .

الغنيمة كانت درسا .. كذلك مجريات المعركة كانت
درسا .. خرج المسلمون بعد فتح مكة .. أذل لهم كبرياء
قريش .. ملكوا أمر البيت الحرام .. أوشكت الجزيرة كلها
تدين لهم وتخضع لسلطانهم .. خرجوا في فورة النصر ..
أعجبتهم كثرة عددهم وقوة عدتهم .. نظروا إلى كثرتهم
فأعجبوا بها .. اطمأنوا إليها .

أراد الله أن يعلمهم أن الكثرة قد تخدع .. القوة قد تخون .. النصر بيد الله وحده .. سبيله وأساسه صدق الإيمان بالله وحسن الاعتماد عليه .. الكثرة والعتاد والتعبئة والنظام وما إليها ينبغي أن يتزود بها المسلمون إنما الأساس الاعتماد على الله والتوكل إليه والإيمان أن النصر بيده وحده .

بلغ المسلمون كثرة لم يبلغوها قط .. ما أغنت قوتهم .. تدافعوا أمام عدوهم .. تككبوا كما ينهار البناء الشامخ .. حتى شمت بهم الشامتون .. شيئا واحدا أنقذ الموقف .. رسول الله حينما ثبت .. صاح فيهم " أنا النبي لا كذب .. أنا بن عبد المطلب " .. أحاطت به فئة قليلة لاذت بإيمانها اتجهوا بقلوبهم ونفوسهم إلى الله القوى .. يستمدون منه العون والثقة .. لما أخلصوا وأحسنوا جاءهم المدد سريعا .. أنقلب ضعفهم قوة .. يأسهم بأسا .. هزيمتهم نصرا .

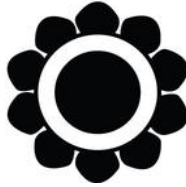
جاء النصر لما وكلوا أمرهم إلى الله .. رجعوا إليه واستعانوا به .. جاءهم المدد القوى .. فكان النصر الكريم والفوز العظيم .. قال تعالى " لقد نصركم الله في مواطن

كثيرة ، ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين . وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين .

بعد الفراغ من تقسم الأموال والسبي جاء وفد هوازن مسلما .. طلبوا أن يرد عليهم أموالهم وأهلهم .. خيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السبي والأموال .. اختاروا أبناءهم ونساءهم .. طلب الرسول من المسلمين أن يردوا الأبناء والنساء إلى هوازن .. فعلوا ولم يتخلف منهم احد .

طلب منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغوا مالك بن عوف إن أتى مسلما سيرد عليه ماله وأهله ومائة من الإبل .. لما علم مالك تسلل واتى مسلما .. أعطاه رسول الله ما وعده وأمره على من اسلم من قومه .

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة .. أهل
معتمرا فأداها .. استخلف على مكة عتاب بن أسيد ومعه
معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن .. ثم
أنصرف إلى المدينة .. دخلها في آخر ذي القعدة سنة ثمان
من الهجرة .



المخلصون يجهزون الجيش

الروم في شمال الجزيرة ينظرون إلى دولة الإسلام
الوليدة .. يجدونها وضعت لها القواعد التي تضمن سلامتها
حماية أراضيها من كل عدو .. إعداد أفراسها للنهوض
بأعباء الأمة الخيرة .. احتمال ما ينشأ عن مقاومة الظلم
 وإقامة العدل من تبعات .. ما يترتب على مطاردة الشر
 وإشاعة الخير .. مهمة ثقيلة التبعات باهظة التكاليف ..
 لكنها المهمة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس .
الروم كانت لهم مصالح في الجزيرة .. تتأثر بما
يجرى فيها من حوادث .. لهم تجارة تمر من الشمال
والجنوب .. بين الشرق والغرب .. لهم أتباع من العرب في
شمال الجزيرة يأترون بأمرهم ويخضعون لسلطانهم ..
لهم أتباع من العرب في قلب الجزيرة يعتمدون عليهم في
حماية تجارتهم .. النصرانية كانت دينهم الرسمي .
لم يجهل الروم خطر الدعوة الإسلامية .. بل كان
قيصر أول من صرح بما لها من خطر على سلطان الملوك
ومهابة الدول .. قدروا خطورة الدعوة .. ستمس مصالحهم

ينبغي عدم الإغفال عن أمرها .. يجب إخمادها لدرء
خطرهم .

أعد الروم عدتهم للقضاء على هذه الأمة الناشئة ..
قبل أن يشتد أمرها ويتفاقم خطرها .. أرادوا أن يهاجموها
في عقر دارها .. يقطعوا دابرها ويفرغوا في التو من
شأنها .. جمعوا الجموع .. أعدوا ما شاءوا من عتاد ..
أخذوا أهبتهم لقطع الفيافي والصحارى الواسعة .

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الروم جمعت
جموعا كثيرة في الشام .. أجلبت معهم قبائل العرب لخم
وجذام وعاملة وغسان .. قدموا مقدماتهم إلى اللقاء أختار
الرسول الكريم أن يهجم عليهم في أراضيهم .

طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة أن
يخرجوا إلى القتال .. بعث إلى مكة وإلى قبائل العرب
يستنفرهم .. أعلمهم الوجهة التي سيتوجهون إليها ..
خطب في الناس .. حضهم على الجهاد .. أمر بالصدقة ..
رغب أهل الغنى في الخير والمعروف .. حث الموسرين
على تجهيز المعسرين .

تبادر المخلصون .. تنافسوا في تجهيز جيشهم ..
 اتفق عثمان بن عفان عشرة آلاف دينار .. أعطى ثلاثمائة
 بغير وخمسين فرسا .. جاء أبو بكر بأربعة آلاف درهم هي
 كل ماله .. قدم عمر بن الخطاب نصف ماله .. جاء عبد
 الرحمن بن عوف بمائتي أوقية من الفضة .. العباس بن
 عبد المطلب قدم مالا يقال انه تسعون ألف درهم .. حمل
 طلحة بن عبيد الله وسعد بن عباد ومحمد بن مسلمة مالا
 كثيرا .. تصدق عاصم ابن عدى بتسعين وسقا من التمر ..
 ساهمت النساء بكل ما قدرن عليه من حليهن .

المخلصون جادوا بمالهم .. تباروا في تجهيز الجيش
 كل حسب طاقته .. عجز فقراء المسلمين عن تجهيز
 أنفسهم .. جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يسألونه .. أن يحملهم على ما عنده من الركائب فجعل
 يصرفهم مؤكدا عدم وجود ما يحملهم عليه .. ينصرفون
 وعيونهم تفيض من الدمع .. حزنا على ما فاتهم من شرف
 الجهاد .

المنافقون تعللوا وانتحلوا الأعذار .. ليتخلفوا عن
الركب .. كانوا من الأغنياء القادرين .. لكن النفاق ضرب
على قلوبهم فلجأوا إلى الحيلة يعتذرون .. يعتذرون
فيعرض عنهم الرسول .. لم يكفوا بذلك .. بل أثبطوا همم
الناس وخوفوهم من لقاء الروم .

ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره على
ثنية الوداع .. استخلف عليه أبا بكر يصلى بالمسلمين ..
استخلف على المدينة محمد بن مسلمة .. عقد الألوية
والرايات .. دفع رايته الأعظم إلى أبى بكر .. دفع رايته
العظمى إلى الزبير .. راية الأوس إلى أسيد بن حضير ..
راية الخزرج إلى الحباب بن المنذر .. خرج في شهر رجب
من السنة التاسعة من الهجرة .. قاصدا الشام في ثلاثين
ألفا من المسلمين .. فيها عشرة آلاف فرس .

لم يكن الطريق سهلا .. السفر ليس قريبا .. الوقت
ليس ملائما للسير .. كان زمان عسرة .. شديد الحر ..
طابت الثمار والظلال والقوم يحبون المقام في ظلال ثمارهم

يكرهون الخروج في ذلك الوقت .. لكنه الجهاد لدفع عدوهم
ودرع خطر جائثم على الأبواب .

قاسى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في
هذه السفرية مشقة بالغة .. اجتمع فيها بعد المشقة وشدة
الحر .. جهد الحال وشح المؤونة .. سماها الله تعالى "
ساعة العسرة "

هذه المشقة كانت امتحانا من الله .. أراد به إظهار
المؤمنين .. لاحتمال مشاق الذود عن دينهم .. لا يحتمل
هذه المشقة إلا الذين صدق إيمانهم ورسخت عقيدتهم .. أما
الذين نافقوا وتظاهروا بالإيمان تضععوا وخارت قواهم ..
كانوا يتسللون من الصفوف راجعين .

وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ..
عين ماء به نخل في منتصف الطريق بين المدينة والشام
.. صار على حدود دولة الروم .. لم يجد أحدا من العدو ..
ربما آثروا الاتسحاب إلى داخل البلاد .. ليتحصنوا
بحصونها .. حين بلغهم أمر هذا الجيش وقوته .

وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لم يجاوزها
بعث سراياه إلى من حوله من نصارى العرب التابعين إلى
دولة الروم .. صالحه أهل أيلة وأذرح وجرباء ومقتا
ودومة الجندل .. اتفقوا أن يعطوا الجزية ويدخلوا في أما
ن الإسلام وعهده .

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبوك عشرين
ليلة .. استشار أصحابه في أن يجاوزها إلى ما وراءها من
ديار الشام .. فقال له عمر : يا رسول الله إن أمرت بالسير
فسر .. لكن للروم جموعا كثيرة .. ليس بالشام احد من
أهل الإسلام .. دنوت منهم وأفزعتهم .. لو رجعت هذه
السنة .. حتى نرى أو يحدث الله أمرا .. تبع رسول الله
صلى الله عليه وسلم مشورة عمر بن الخطاب .. أمر
بالقفل فرجع الجيش إلى المدينة .. بعد أن أمن رسول الله
حدود الدولة من ناحية الشمال .. بما عقد من معاهدات
بينه وبين النصارى المجاورين للروم .. رجوعه كان في
رمضان .. لما قرب من المدينة خرج المسلمين بالمدينة
لتلقيه .. خرجوا ينشدون فرحا بالعودة .

أثناء رجوعه نزلت عليه سورة التوبة .. تحدثت في المنافقين والمقصرين الذين تخلفوا بغير عذر .. استنهضت الهمم لرد هجوم المسيحية على الإسلام .. إفهام المسلمين مغبة تقصيرهم .. إشعارهم بأن الله لا يقبل ذرة من تفريط حماية دينه ونصرة نبيه .. التراجع أمام الصعوبات الحائلة دون قتال الروم يعتبر ردة مؤلفة إلى النفاق .

تحدثت الآيات في صراحة .. فضحت المنافقين .. كشفت المترددين .. أهانت طلاب الدعة والراحة .. الذين آثروا ظل القعود في بيوتهم وحقولهم على حر الصحراء .. ووعثاء السفر ومتاعب الجهاد .. فرح المخلفون .. قالوا لن ننفر في الحر .. فان نار جهنم عليهم ستكون اشد حرا اللوم وجه إلى المخلفين والمنافقين .. رغم عدم وقوع قتال .. إذن فالأمر ليس أمر قتال أو لا .. إنما هو أمر واجب على المسلمين في حماية أمتهم من كل عدو .. سواء كان ذلك بالفعل أم بالنية .. واجب كل فرد القيام بنصيبه في الحماية .. إلا أن يكون له عذر قاهر يحول بينه وبين أداء الواجب .

حمل القرآن الكريم على المتخلفين في هذه الغزوة ..
قسا عليهم قسوة بالغة .. لامهم ووبخهم .. قرعهم أشد
التقريع وفضحهم أشد الفضيحة .. طعنهم في أعز ما يعتز
به الرجال ذو الكرامة والحساسية .. وصفهم بالخسة
وسقوط الهمة وتفاهة الغرض .. أنهم لا ينشطون إلا
للمنافع العاجلة والأعراض الزائلة .. أما جلائل الأعمال
وعظائم الأمور فليسوا من أهلها ولا طلابها .

عيرهم بالجبن والعجز والخمول .. ليسوا من أولى
النجدة عند الخطر .. يشفقون من المتاعب وينفرون من
الجهد .. يفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز ..
بين للجماعة أنهم فساد ورجس .. قعودهم كان خيرا
للمسلمين من خروجهم .. لأنهم من عوامل الهدم لا من
عوامل البناء .

أوصافه..

وصفته أم معبد الخزاعية لزوجها .. بعدما مر بخيمتها
 في طريقه إلى المدينة .. قالت " ظاهر الوضاعة .. أبلج
 الوجه .. حسن الخلق .. لم تعبته تجله .. لم تزر به صلعة
 وسيم قسيم .. في عينيه دعج .. في أشفاره وطف .. في
 صوته صحل .. في عنقه سطع .. أحور .. أكحل .. أزج ..
 أقرن .. شديد سواد الشعر .. إذا صمت علاه الوقار إن
 تكلم علاه البهاء .. أجمل الناس وأبهاهم من بعيد .. أحسنه
 وأحلاه من قريب .. حلو المنطق .. فضل .. لا نزر ولا
 هذر .. كأن منطق خرزات نظمن يتحدرن .. ربعة .. لا
 تقحمه عين من قصر .. لا تشنؤه من طول .. غصن بين
 غصنين .. أنظر أصحابه منظرا .. أحسنهم قدرا .. له
 رفقاء يحفون به .. إذا قال استمعوا لقوله .. إذا أمرهم
 تبادروا إلى أمره .. محفود .. محشود .. لا عابس ولا
 مفند.

قال على ابن أبي طالب وهو يصفه : لم يكن الطويل
 الممغط .. ولا القصير المتردد .. ربعة من القوم .. لم يكن
 بالجعد القلط .. ولا بالسبط .. كان جعدا رجلا .. لم يكن

بالمطهم ولا بالمكلم .. في الوجه تدوير .. أبيض مشربا ..
أدعج العينين .. أهدب الأشفار .. جليل المشاشى والكتد ..
دقيق المسربه .. أجرد .. شش الكتفين والقدمين .. إذا
مشى تقلع كأنما يمشى في صيب .. إذا ألتفت التفت معا ..
بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين .. أجود الناس كفا
أجراً الناس صدرا .. أصدق الناس لهجة .. أوفى الناس
ذمة .. أليهم عريكة .. أكرمهم عشرة .. من رآه بديهة
هابه .. من خالطه معرفة أحبه .. يقول ناعته " لم أر قبله
ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم "

وفى رواية عنه : انه كان ضخم الرأس .. ضخم
الكراريس .. طويل المسربه .. إذا مشى تكفأ تكفيا كأنما
ينحط من صيب .

وقال جابر بن سمره : كان ضليع الفم .. أشكل العين
منهوش العقبين " أى طويل شق العين وقليل اللحم .
وقال أبو طفيل : كان أبيضاً .. مليح الوجه مقصداً "
أى ليس بجسيم ولا نحيف ولا طويل ولا قصير "

ووصفه أنس بن مالك بأنه بسط الكفين .. أزهـر اللون
ليس بأبيض أمهق ولا آدم .. قبض وليس في رأسه
ولحيته عشرون شعرة بيضاء .. وقال كأنما شئ من الشيب
في صدغيه .

وقال أبو جحيفة " رأيت بياضا تحت شفته السفلى "
العنفقه " .. وأكدها عبد الله بن يسر .. قال " كان في
عنفته شعرات بيضاء .

عن أوصافه قال البراء : مربوعا .. بعيد ما بين
المنكبين .. له شعر يبلغ شحمة أذنيه .. رأيته في حلة ..
لم أر شيئا قط أحسن منه .. كان يسدل شعره أولا لحبه
موافقة أهل الكتاب .. ثم فرق رأسه بعد .. كان أحسن
الناس وجها .. أحسنهم خلقا .

سئل " أكان وجه النبي صلى الله عليه وسلم مثل
السيف ؟ .. قال : لا .. بل مثل القمر .. وفي رواية أخرى
كان وجهه مستديرا .

الربيع بنت معوذ رأته فقالت : لو رأيته لرأيت الشمس
بازغة .. رآه جابر بن سمره في ليلة أضحيان وعليه حلة

جعل ينظر إليه والى القمر .. فإذا هو أحسن عنده من القمر .

قال أبو هريرة : ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كأن الشمس تجرى في وجهه .. ما رأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كأنما الأرض تطوى له .. إنا لنجهد أنفسنا .. انه لغير مكترث

إذا سر استنار وجهه .. حتى كأنه قطعة قمر .. قالها كعب بن مالك .

عرق مره عند عائشة .. جعلت تبرك أسارير وجهه .. تمثلت له بقول أبى كبير الهذلى :

إذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق الفارض المتهلل

أبو بكر إذا رآه يقول :

أمين مصطفى بالخير يدعو كضوء البدر زائله الظلام

وكان عمر ينشد قول زهير في هرم بن سنان :

لو كنت من شئ سوى البشر كنت المضى ليلة البدر

ويقول كان ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ..
إذا غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمر وجهه ..
حتى كأنما فقي في وجنتيه حب الرمان .
قال جابر بن سمره عنه : كان في ساقيه حموشة .. لا
يضحك إلا تبسما .. إذا نظرت إليه قلت " أكمل العينين
وليس بأكل "

ابن العباس قال : أفالج الثنتين .. إذا تكلم روى كالنور
يخرج من بين ثناياه .. أما عنقه فكأنه جيد دمية في صفاء
الفضة .. أشفاره فيها غطف .. في لحيته كثافة .. واسع
الجبين .. أزج الحواجب من غير قرن بينهما .. أقنى
العرنين .. سهل الخدين .. من لبته إلى سرته شعر يجرى
كالقضيبي .. ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره .. أشعر
الذراعين والمنكبين .. سواء في البطن أو الصدر .. مسيح
الصدر عريضه .. طويل الزند .. رحب الراحة .. سبط
القصب .. خمسان الأخصمين .. سائل الأطراف .. إذا زال
زال قلعا .. يخطو تكفيا ويمشى هونا .

عنه قال أنس : ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من
كف النبي صلى الله عليه وسلم .. لا شممت ريحا قط أو
عرفا أطيب من ريح أو عرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم .

أخذ أبو جحيفة يده .. وضعها على وجهه .. فإذا هي
أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك .. مسح خد جابر
بن سمره وكان صبيا فقال "وجدت ليده بردا وريحا كأنما
أخرجها من جونة عطار " .. وأكد أنه لم يسلك طريقا
فيتبعه أحد إلا عرف انه قد سلكه من طيب عرفه .

عن أخلاقه قالت السيدة عائشة " كان خلقه القرآن " ..
وفى بيته كان أحسن الناس خلقا .. لم يكن فاحشا ولا
متفحشا ولا صخابا في الأسواق .. لا يجزى بالسيئة مثلها
لكن يعفو ويصفح .. إذا خلا في بيته كان ألين الناس
وأكرمهم .. ضحاكا بساما .

كلامه كان فصل .. يحفظه من يسمعه .. حسن
الصوت .. إذا قرأ كان يمد بعض المد .. إذا خطب رفع
صوته و أحمرت عيناه ويقول " أحسن الهدى هدى محمد

وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

إذا لقيه الرجل فصافحه لم ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه .. لم ير صلوات الله وسلامه عليه مقدما ركبتيه بين جليس له قط .

يقول احد الصحابة " صحبته عشر سنين .. شممت العطر كله .. لم أشم نكهة أطيب من نكهة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. إذا أتاه رجل يرى في وجهه بشرا " .

وصف مشيته بأنها مشى ليس بالعاجز ولا الكسلان .. إذا مشى في جنازة سبق .. إذا التفت إلى رجل التفت كله .. إذا مشى تطوى له الأرض يسرع حتى يهرول من معه ورائه ليدركه .

قال عن نفسه " لا آكل متكئا " .. ويقول " آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد .. يأكل بثلاث أصابع .. بالإبهام والتي تليها والوسطى .. يلحق أصابعه قبل أن يمسخها .. يلحق الوسطى ثم التي تليها فالإبهام . إذا أتى

بالشئ سأل " أهديه أم صدقه ؟ " .. فان قيل صدقه لم يأكل
وان قيل هدية أكل .. يعجبه الحلو والعسل والقرع .. أحب
الطعام إليه الثريد من الخبز والتمر .

عاف صلى الله عليه وسلم الطعام الذي يدخل فيه
البصل والثوم .. كره أن يأكله من أجل الوحي الذي يأتيه
من السماء .. لكنه أمر المسلمين أن يأكله .. يمد يده إلى
الطعام بعد ما يقول " بسم الله " .

طالب من أطعمه أن يقل " اللهم بارك لنا فيه وأطعنا
خيرا منه .. ومن سقاه الله لبنا فليقل " اللهم بارك لنا فيه
وزدنا منه " .. كان صلوات الله وسلامه عليه يبیت الليالي
المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء .. عامة خبزه
الشعير .

جاءته يوما ابنته فاطمة ومعها كسرة خبز .. سألتها "
ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟ " .. قالت " قرص خبزته فلم تطب
نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة " .. قال " انه أول طعام دخل
فم أبك منذ ثلاثة أيام " .. بكت السيدة عائشة يوما وهى
تقول " ما أشبع فأشاء أن أبكى إلا بكيت .. وذلك لأن

رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تأتي عليه أربعة أشهر ما يشبع من خبز بر .. انه ما شبع ثلاثة أيام متتالية حتى لحق بالله .

عند كتفيه خاتم النبوة .. يشبه بيضة الحمام .. وصفها من شاهدها من الصحابة بأنها شعر مجتمع عند كتفيه .

انتقل إلى الرفيق الأعلى ولم يكن في شعر رأسه وذقنه شيئا إلا بضع شعيرات قليلة .. عددها الصحابة بأنها لا تتجاوز العشرين .. كانت في مقدمة لحيته ورأسه .. لم يخضبهم وظهروا للعيان .. لكنه خضب شعره بالحناء .. نهى عن تغيير الشيب بالصبغ الأسود .. طالب بتغييره بالحناء والكتم .

أحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كان صائما وقيل محرما .. أحتجم في وسط رأسه ويسمونها منقذا .. وصفها " أنها المغيثة أمرني بها جبريل حين أكلت طعام اليهودية المسموم " .

أمر بلبس البيض من الثياب .. قال عليكم بالبياض من الثياب فليلبسها أحيائكم وكفنوا فيها موتاكم .. أرتدي صلوات الله عليه وسلامه الثياب الحمراء والزعفران والخضراء .. وصف الصحابة ملابسه أنها من القطن أو الصوف قصيرة الطول والكمين .. طالب من يرتدى ثوبا القول الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأتجمل به في حياتي .

أضجع صلى الله عليه وسلم على أدم محشوا لينا .. دخل عليه عمر بن الخطاب فرآه على حصير فبكى .. سأله " ما يبكيك ؟ " .. قال " أنت نبي الله وكسرى وقيصر على أسرة من ذهب " .. فقال " يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة " .

اتخذ خاتما من فضه .. نقش فيه " محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم " .. قيل بل من حديد ملوياً عليه فضه .. ظل في يده حتى قبض .. ثم في يد أبى بكر وعمر وعثمان حتى سقط في بئر ولم يتمكنوا من العثور عليه .

لا يرقد ليلاً ولا نهاراً فيستيقظ إلا وتسوك قبل أن يتوضأ .. حتى قيل أن السواك أحق لثته .. مشط شعره بمشط عاج وأكثر من دهن وتسريح لحيته بالماء .. أكحل عينه اليمنى ثلاث مرات واليسرى مرتين .. وقال " عليكم بالأئمة فإنه يجلو البصر وينبت الشعر " .

أخذ لنفسه سيفاً أسماه " ذو الفقار " .. قبيعته من فضة .. وله درعان .. الأولى يقال لها " السعدية " .. الثانية من فضة ويقال لها " ذات الفضول " .. قبض ودرعه مرهونة على ثلاثين صاعاً من شعير عند رجل من اليهود .. أما رماحه فهي ثلاثة وثلاث قسي أسماها الروحاء وشوحت تدعى البيضاء وصفراء تسمى الصفراء .

أول فرس أمتلكه ابتاعه من رجل من فزاره بالمدينة أسماه السكب .. أهدي له المقوقس " لزاز " وربيعه بن أبي البراء أهداه " الحيف " .. أما فروه بن عمير فأهداه " النظر " وتميم الداري أهداه " الورد " فأعطاه لعمر .. كانت لديه بغال هي " الشهباء " و " عفير " ويقال " اليعفور " .. أما الإبل فكانت القصواء وهي التي هاجر عليها من مكة إلى المدينة .

أدبه ربه ..

حفظه الله من سوء الجاهلية وأوزارها .. رعى الغنم صغيرا ليتدرب على الصبر والحلم والشفقة وفهم اختلاف الطباع .. أصبح أكثر قومه حلما .. أصدقهم حديثا .. صادق الرؤيا .. لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .. تتحقق كما رآها .. لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها .. إذا تحدث أتم الكلمات حتى يفهمها من أمامه .. اشتهرت أمانته ليقرن بها صفة .. أطلق عليه " الصادق الأمين " .. يستقبل الناس بحب وعطف وبشر .. يسأل عن صاحب إذا غاب دائم اليقظة والانتباه دون توتر .

هذه السجاياء فطره الله عز وجل عليها .. لم يتدرب ليتمثل بها .. بل هي هبة من الخالق .. وهبه الله الصدق الفطري والأمانة .. وهبه القدرة على قيادة البشر .. لا عن عنجهية أو نسب أو جاه .. إنما عن صدق يقيني بأن ما يقوله الحق .. وهبه الله أن يرى الكون ببصيرة الإيمان .. لا بالقلب المظلم كما كان أهل زمانه .

أدبه ربه .. أحسن تأديبه .. أعده لاستقبال الرسالة الخاتمة .. الله مربيه ومصطفيه .. أقنعه أنه رسول الله ..

ثم طلب منه أن يقتع من حوله من عشيرته ثم ينذر من حوله بالقدوة الحسنه .

لأنه أرسل إلى أمة نبغت في الشعر والخطابة .. وهبه المولى فصاحة اللسان .. سلاسة الطبع .. نصاعة اللفظ .. جزالة القول .. صحة المعاني .. قلة التكلف .. أوتى جوامع الكلم .. خص ببدائع الحكم .. علم السنة العرب .. يخاطب كل قبيلة بلسانها .. يحاورها بلغتها .. اجتمعت له قوة عارضة البادية وجزالتها .. ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها .. إلى التأييد الالهي الذي مدده الوحي .

الحلم والاحتمال .. العفو عند المقدرة .. الصبر على المكاره .. صفات أدبه ربه بها .. كل حليم عرفت منه زلة حفظت عنه هفوة .. لكنه صلى الله عليه وسلم لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبرا .. وعلى إسراف الجاهل إلا حلما .

قالت عائشة " ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أختار أيسرهما ما لم يكن إثما .. فان كان أثما كان أبعد الناس عنه .. وما أنتقم لنفسه إلا أن

تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها .. وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا .

قال ابن عباس " كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس .. أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل .. كان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان .. يدارسه القرآن .. فالرسول صلى الله عليه وسلم أجود من الريح المرسلة" .. وقال جابر " ما سئل شيئا قط فقال لا "

عن شجاعته يقول أنس " فزع أهل المدينة ذات ليلة .. انطلق الناس قبل الصوت .. فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبى طلحه في عنقه السيف وهو يقول " لم تراعوا . لم تراعوا " .

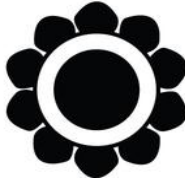
أبو سعيد الخدرى تحدث عن حياؤه .. قال " كان أشد حياء من العذراء في خدرها .. أذاكره شيئا عرف في وجهه .. لا يثبت نظره في وجه أحد .. خافض الطرف ..

نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء .. لا يشافه
أحد بما يكره حياء وكرم نفس .. لا يسمى رجلا بلغ عنه
شيء يكرهه".

تحاكموا إليه في الجاهلية .. قال له أبو جهل " إنا لا
نكذبك ولكن نكذب بما جئت به " .. سأل هرقل أبا سفيان "
هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟" .. قال : لا .

من تواضعه انه يخصف نعله .. يخيظ ثوبه .. يعمل
بيده كما يعمل سائر الناس في بيوتهم .. بشرا يحلب شاته
.. يخدم نفسه .. أوفى الناس بالعهود .. أوصلهم للرحم ..
أحسن الناس عشرة وأدبا .. أبسط الناس خلقا .. يعفو
ويصفح .. لا يترفع على عبده وإمائه في مأكلا ولا ملبس
.. يحب المساكين ويجالسهم .. يشهد جنازهم .. لا يحقر
فقيرا .. يؤلف أصحابه ولا يفرقهم .. يكرم كريم كل قوم .
قال خارجه " كان النبي صلى الله عليه وسلم أوقر
الناس في مجلسه .. لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه .. كثير
السكوت .. لا يتكلم في غير حاجة .. ضحكه تبسما ..

كلامه فصلا .. لا فضول ولا تقصير .. ضحك أصحابه عنده
تبسم .. توقيرا له وإقتداء به .
اجتمعت فيه كل الصفات .. أدبه ربه فأحسن تأديبه ..
خاطبه فقال " أنك لعلى خلق عظيم " .. مما قرب إليه
النفوس وحببه إلى القلوب .. حتى دخلت الجزيرة العربية
في دين الله أفواجا .



الرحيل..

آن الوقت لتلحق بالرفيق الأعلى .. تحيا حياة البرزخ
الدائمة .. حيث لا برد ولا حر .. أنها الجنة والقرب من
خالق الخلق .. ألم يخبرك بين خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة
وبين لقاءه والجنة .. اخترت لقاء الرب .. طوبى لمن خلق
وربى .. طوبى للعبد الذي أحسن الاختيار .

كان صلوات الله وسلامه عليه يكثر من قوله "
سبحانك اللهم وبحمده أغفر لي " .. فلما نزلت " وإذا جاء
نصر الله والفتح " قال " سبحانك اللهم وبحمدك .. اللهم
أغفر لي انك أنت التواب الرحيم " .

عن حياته قال " حي خير لكم .. تحدثون ويحدث لكم
فان مت كانت وفاتي خيرا لكم .. تعرض على أعمالكم ..
إن رأيت خيرا حمدت الله وأن رأيت شرا استغفرت الله
لكم " .

كان جبريل يعرض القرآن كل سنه مره على الرسول
صلى الله عليه وسلم .. فلما كان العام الذي قبض فيه
عرض عليه مرتين .. كان صلوات الله وسلامه عليه

يعتكف في رمضان العشر الأواخر .. فلما كانت السنة التي قبض فيها اعتكف عشرين يوما .

ويقص عن السيدة عائشة أنها سمعته ذات ليلة يلبس ثم يخرج .. أمرت خادمتها بريره فتبعته حتى إذا جاء البقيع وقف في أدناه ما شاء الله أن يقف ثم انصرف .. سبقتة الخادمة وأخبرت سيدتها .. فلما كان الصباح سألتها فقال " أنى بعثت إلى أهل البقيع لأصلى لهم " .. ويروى أنه قال في البقيع في تلك الليلة " السلام عليكم دار قوم مؤمنين انتم فرط وإننا بكم لاحقون .. اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بهم " .. بعدها رجع فرقد ف قيل له أذهب فصل على الشهداء .. ذهب إلى أحد فصلى على قتلى أحد ورجع معصوب الرأس وكان بدء وجع الرحيل .

صعد صلوات الله وسلامه عليه على المنبر وقال " انى بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد .. أن موعدكم الحوض .. انى أنظر إليه وأنا في مقامي هذا .. انى لست أخشى عليكم أن تشركوا .. لكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها " .

بدأ يشكو الوجع وهو في بيت السيدة ميمونة .. خرج حتى دخل على عائشة فقالت " وارأساه " .. فقال "وددت أن يكون وأنا حي فأصلى عليك وأدفنك ! .. قالت "أو تحب ذلك لكنى أراك في ذلك اليوم معرسا ببعض النساء .. فقال الرسول بل أنا وارأساه " .. ثم رجع إلى بيت ميمونة فاشتد وجعه .. كانت بداية شكواه يوم الأربعاء .

أشدت المرض على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه حتى أوجعه .. فقالت عائشة " أتجزع أو تضجر .. لو فعلته امرأة منا عجبت منها " .. قال المعلم حتى في مرض الرحيل " أو علمت إن المؤمن يشدد عليه ليكون كفارة لخطاياها " .

زاره أحد الصحابة ووجده يوعك .. خاطبه بذلك .. قال الرسول صلى الله عليه وسلم " أجل .. أنى أوعك كما يوعك رجلا منكم .. والذي نفسي بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به خطاياها كما تحط الشجرة ورقها " .

كان مغطى بقطيفة حمراء .. حرارته تظهر من فوقها .. قال الصحابة له " ما أشد حماك " .. قال صلى الله عليه وسلم "أنا كذلك يشدد علينا ويضاعف لنا الأجر " .

عأوده جبريل في مرضه وهو يعأوده بقوله " بسم الله الرحمن الرحيم .. بسم الله أرقيك .. من كل شئ يؤذك .. من شر كل ذي عين ونفس حاسد وبأغ يبغيك .. بسم الله أرقيك والله يشفيك " .

دخل عليه اصحابه يعأودونه فصلى بهم قاعدا وهم قيام فأومئ إليهم أن أقعدوا .. لما قضيت الصلاة قال " إنما جعل الإمام ليؤتم به .. إذا كبر كبروا .. إذا ركع اركعوا .. إذا سجد اسجدوا .. إذا قعد اقعدوا .. أصنعوا مثل ما يصنع الإمام " .

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر إن يصلى بالناس .. لما أفتتح أبو بكر الصلاة وجد صلى الله عليه وسلم في نفسه تحسنا فخرج يتقدم الصفوف .. سمعه أبو بكر فترأجع فرده الرسول إلى مكانه وجلس إلى جواره وأبو بكر قائم .. عندما فرأ من الصلاة قال أبو بكر " أراك

أصبحت بحمد الله " وأستأذن منه فأذن له الرسول وجلس فحذر الناس الفتن ثم نادى بأعلى صوته حتى انه ليخرج من باب المسجد .. قال " انى والله لا يمسك الناس على بشئ .. لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه و لا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه " .. ثم قال " يا فاطمة بنت محمد ويا صفيه عمة الرسول أعملا لما عند الله فاني لا أغنى عنكما من الله شئ " .

ويحكى أن السيدة عائشة راجعت الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أمر أن يصلى أبو بكر بالناس .. قالت " انه رجل رقيق كثير البكاء حين يقرأ القرآن فمر عمر ليصلى بالناس " .. فقال الرسول ليصلى بالناس أبو بكر .. فراجعته عائشة ثانية فقال الرسول " ليصل بالناس أبو بكر أنكن صواحب يوسف " .

تقول السيدة عائشة " ما حملني على كثرة مراجعته إلا انه وقع في قلبي انه لن يحب الناس رجلا بعده قام مقامه وكنت أرى انه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به .. فأردت إن يعدل ذلك الرسول عن أبى بكر " .

تحدثت عن مرض الحبيب .. فقالت " لما ثقل المرض عليه أراد أن يذهب ليصلى بالناس .. أمر أن نضع له ماء للاغتسال ثم ذهب فأغمى عليه ثم أفاق فقال أصلى بالناس ؟ .. قلت لا ينتظرونك يا رسول الله .. فقال ضعوا لي ماء فأغتسل وهم بالذهاب لصلاة العشاء الآخرة .. فأرسل الرسول إلى أبي بكر أن يصلى بالناس ."

ويقص بن بشير الانصارى عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خرج فاستوى على المنبر وتشهد وأستغفر لشهداء أحد ثم قال " إن عبدا من عباد الله خير بين الدنيا وبين ما عند ربه فاختار ما عند ربه " .. فطن أبو بكر وعرف أن الرسول يقصد نفسه فبكى فقال له الرسول "على رسلك يا أبا بكر .. فاني لا أعلم أمرا أفضل عندي يدا في الصحابة من أبي بكر " .

وعنها قال لعمة العباس " ما فتحت عن امرى ولا سدت عن امرى .

لما أشد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه أستأذن نساءه أن يكون في بيت عائشة .. أذنوا له .. خرج

من بيت ميمونة إلى بيت عائشة مستندا على بن عباس وعلى بن أبي طالب .. تقول عائشة " بينما أضع في حجري إذ دخل رجل من آل أبي بكر وفي يده سواك أخضر ينظر إليه الرسول نظرا عرفت انه يريد .. أخذته فمضغته حتى لينته ثم أعطيته إياه فاستن به كأشد ما رأيت أستن بسواك قبله " .

وسألها عن أوقيتين من ذهب الصدقة باتتا عنده ولم يكن وجههما فقالت له هي عندي يا رسول الله قال " أنتنى بهما فجعلهما في كفه .. ثم قال " ما ظن محمد بالله لو لقي الله وهذه عنده ؟ أنفقيها وقسميها " .. بعدها غط الرسول صلى الله عليه وسلم وكان يأتيه النوم .

قال في مرضه الذي قبض فيه " قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا من قبور أنبيائهم مساجد .. لا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك " .

وعن عطاء بن يسار إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد .. أشد غضب

الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .. ألا أنى أنهاكم
عن ذلك .. ألا هل بلغت ؟ .. اللهم اشهد .. اللهم أشهد "
وفى وجعه أوصى بثلاث .. إخراج المشركين من
جزيرة العرب وإجازة الوفد على نحو ما كان يجيزه وسكت
عن الثالثة .

كان الرسول قد بعث أسامه بن زيد وأمره أن يوجه
جيشه نحو البلقاء .. حيث قتل أبوه وجعفر .. جعل أسامه
وأصحابه يتجهزون وعسكروا بالجرف .. وقال " أنفذوا
بعث أسامه " ثلاث مرات ثم دخل .. الناس وقتها تحدثوا
عن استعمال أسامه بن زيد على المهاجرين والأنصار
فخرج الرسول إليهم وقال " أنفذوا جيش أسامه .. لعمرى
لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبل .. انه
لخليق بالا ماره وان كان أبوه خليقا بها " فخرج الجيش
وعسكروا بالجرف وانتظروا ما الله قاض برسوله .

خاطب الرسول المهاجرين وقال " يا معشر المهاجرين
إنكم أصبحتم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها
التي هي عليها اليوم .. إن الأنصار عيبى التي أويت إليها

أكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئتهم وأحسنوا إلى محسنهم .

أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في مرض الموت يردد "الصلاة .. الصلاة .. ما ملكت إيمانكم .. ألبسوا ظهورهم وأشبعوا بطونهم وألينوا لهم القول " .. اخذ يردد " دنا الفراق والمنقلب إلى الله وجنة المأوى وسدرة المنتهى والرفيق الأعلى والكأس الأوفى والحظ والعيش المهني " .

طالب أن يغسله رجال من أهله .. الأدنى فالأدنى .. إن يكفن في ثيابه أو ثياب مصرية أو يمنية .. أخبرهم إذا غسلوه وكفنوه فيضعوه على سريرته ثم يخرجون ليصلى عليه جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وجنوده من الملائكة .. ثم يصلى عليه أهله فوجا فوجا .. ليبدأ الرجال أولا ثم النساء ثم الصحابة .. طالبهم أن يقرأوا عليه السلام إلى يوم القيامة وإن يدخله القبر أهله .

كان أمامه قدح فيه ماء .. أدخل يده فيه مرارا ومسح وجهه بالماء ويقول " اللهم أعنى على سكرات الموت " .. ثم يقول " أدن منى يا جبريل .. أدن منى يا جبريل " .

نزل إليه جبريل وقال " يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا " .. فقال " أجدني يا جبريل مغموما ومكروبا فنزل معه في المرة الثانية ملك الموت وقال " يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك " .. قال " أئذن له " .

قال ملك الموت " إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمرني .. إن أمرتني أن أقبض نفسك .. قبضتها .. وإن أمرتني أتركها .. تركتها " .. قال جبريل " إن الله أشتاقت إليك " .. قال الرسول صلى الله عليه وسلم " أفض يا ملك الموت إلى ما أمرت به " .. قال جبريل " السلام عليك يا رسول الله .. هذا آخر مواطئ الأرض .. إنما كنت حاجتي من الدنيا " .

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

انتقل الحبيب المصطفى إلى جوار ربه .. إلى الرفيق الأعلى .

يروى انه توفي في بيت عائشة وإنها قالت " توفي في بيتي وبين سحري ونحري "

الروايات تؤكد وفاته في حجر على بن أبى طالب الذي رافق النبي صلى الله عليه وسلم إثناء رحلة مرضه حتى قبض .. أسنده إلى صدره فوضع رأسه على منكبه وقال " الصلاة .. الصلاة " .. ثم لحق بالرفيق الأعلى .

أميل إلى هذا الرأي .. لأنه لا يعقل أن تجلس السيدة عائشة تمرضه وأقاربه وأعمامه موجودين في نفس دارها الراجح أنهم تواجدوا معه في هذه اللحظة وأنها كانت تتبع ما يدور هي وزوجاته الأخريات من مكان قريب .

سجى ببردة خبره .. كشف وجهه أبو بكر وقبل جبهته وقال " ما أطيب محياك ومماتك " .

بكى الناس فقام عمر بن الخطاب في المسجد خطيبا وقال " لا أسمعن أحدا يقول أن محمدا مات .. إنما أرسل إليه .. كما أرسل إلى موسى بن عمران فلبث أربعين ليلة انى لأرجو أن يقطع أيدي رجال يزعمون انه مات " .

ظل عمر يتحدث بكلامه حتى طالبه أبو بكر بالسكوت
ثم تشهد وحمد الله وأثنى عليه وقرأ " انك ميت وإنهم
ميتون " ثم قرأ "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله
الرسل .. افان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم " وقال " من
كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان
الله حي لا يموت " .

عندما قالها أيقن الناس بموت الرسول .. تلقوها من
أبى بكر حتى قال قائل من الناس " والله لكأن الناس لم
يعلموا أن هذه الآية أنزلت حتى تلاها أبو بكر "

اشتكى الرسول يوم الأربعاء لإحدى عشر ليلة بقيت
من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة .. ظل يشكو ثلاث
عشرة ليلة .. انتقل إلى الرفيق الأعلى يوم الاثنين لليلتين
مضتا من ربيع الأول .. رغم إجماع الآراء على أن الوفاة
يوم الاثنين .. إلا إنها اختلفت في اليوم .. البعض يقول
إنها لاثنين عشرة من ربيع .. ولم يدفن إلا يوم الثلاثاء أو
الأربعاء .

كان الرسول يقول " سيعزى الناس بعضهم بعضا من بعدى .. التعزية بي " .. فلما قبض لقي الناس بعضهم بعضا يعزون بعضهم بعضا برسول الله . . وقال صلوات الله وسلامه عليه " إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبتة بي فإنها أعظم المصائب " .

أرادوا أن يغسلوا الجسد الشريف .. عندها هموا بنزع قميصه سمعوا أصواتا من جانب البيت تقول " لا .. لا تخلصوا قميصه " .. فغسل وهو عليه .

قام بغسله على بن أبى طالب والفضل بن العباس وأسامة بن زيد .. كان على يغسله وقول " بأبي أنت وأمي طبت ميتا وحيا " .

نادت الأنصار " نحن أخواله .. مكاننا من الإسلام مكاننا " .. بينما قالت قريش " نحن عصبته " .. تدخل أبو بكر قائلاً " يا معشر المسلمين .. كل قوم أحق بجنازتهم من غيرهم .. ننشدكم الله .. إنكم إن دخلتم أخرتموهم عنه .. والله لا يدخل عليه أحد إلا من دعي " .. فتولى الغسل على والعباس والفضل وأسامة بن زيد .

كفن الرسول في ثلاثة أثواب يمانية بيض .. ليس في كفنه قميص ولا عمامة ووضع عليه المسك .

وضع على سريره .. دخل عليه المسلمون جماعات جماعات للصلاة عليه ويخرجون .. لم يؤمهم أحد .. أول من صلى عليه بنو هاشم ثم دخل المهاجرون فصلوا عليه .. ثم دخلت الأنصار فأهل المدينة المنورة .. حتى إذا فرغ الرجال دخلت النساء فكان منهن صوت وجزع فسمعن من يأمرهن بالصمت فسكتن .

تشاور أصحابه أين يدفونه ؟ .. قائل اقترح أن يدفن عند المنبر .. آخر قال بدفنه حيث كان يصلى ويؤم الناس ثالث طالب بدفنه في البقيع .. تدخل أبو بكر وقال "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما مات نبي إلا دفن حيث يقبض .. فاتفقوا على رفع الفراش الذي توفى عليه ثم حفر له تحته .

كانت السيدة عائشة قصت لأبيها رؤيا " إنها رأت في المنام ثلاثة أقمار سقطن في حجرتها " .. فقال أبوها " خيرا فلما دفن الرسول في بيتها قال لها " هذا أحد أقمارك وهو

خيرها " .. ثم دفن فيه أبو بكر وعمر .. قسم البيت إلى قسمين .. الأول فيه القبر والثاني لعائشة وبينهما حائط .. فكانت السيدة عائشة تدخل القبر ولم تستتر بثيابها إلا بعدما دفن عمر .

اختلف الصحابة .. هل يلحدون قبرا للرسول أم يشقون وكان بالمدينة رجلان يحفران القبور .. احدهما يلحد والآخر يشق .. فقالوا أنظروا أيهما يجئ أولا فليعمل عمله فجاء الذي يلحد .. فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونصب على لحده لبن.

ألقى شقران مولى النبي صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء داخل قبره .. أدخله القبر بنو عبد المطلب .. دخل القبر على والفضل وأسامة .. عندما خرج على من القبر ألقى المغيرة بن شعبه خاتمه داخل القبر وأخذ يصيح "يا أبا الحسن خاتمي " فقال له " أنزل فخذ " .. ففعل وأخذ يقول " أنا أحدثكم عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم " .

قالت السيدة عائشة " ما علمنا بدفنه حتى سمعنا صوت المساحي ليلة الثلاثاء في السحر " .

بعد انتهاء الدفن رش على قبره صلى الله عليه وسلم الماء .. جعل قبره مرتفعا قليلا عن الأرض .. كما انه وقبرا صاحبيه أبو بكر وعمر مسنمه .

يذكر انس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وعمره ستين سنة .. بينما يجمع الصحابة على أن عمره ثلاثة وستين سنة .. حيث بعث وهو في الأربعين وبقي في مكة ثلاث عشرة سنة .. وفي المدينة عشرة .

عم الحزن الجزيرة العربية .. بكته أم أيمن فقبل لها " أتبكين رسول الله؟" .. قالت " والله ما أبكى عليه .. انى اعلم انه ذهب إلى ما هو له من الدنيا .. لكنى أبكى خبر السماء الذي أنقطع " .

يقص عن العباس انه جاء إلى أبى بكر يسأله ميراثا فقال أبو بكر "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نورث .. ما تركناه صدقة .. وما كان النبي يقول فعلى "

مات الرسول .. ما ترك ديناراً ولا درهما .. ولا عيرا ولا أمه ولا وليده .. ترك درعه رهنا عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير .

خطب أبو بكر بعد وفاته " من كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقم " .. فقام أحدهم وقال " وعدني إذا جاء مال البحرين يحثي لي ثلاث مرات " .. فأمر أبو بكر أن يأخذ ما وعده الرسول ففعل .. وفعل ذلك مع أناس آخرين وما تبقى من مال قسمة فأصاب كل إنسان عشرة دراهم .



المراجع..

١- صور من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في
المدينة المنورة - وزارة الأوقاف - الإدارة العامة
لمراكز الثقافة الإسلامية .

٢- السيرة النبوية - بقلم الدكتور محمد الطيب النجار
القاهرة ١٩٧٠

٣- كامل الأوصاف محمد بن عبد الله والرد على
المستشرقين والمتشككين - صفوت محمد

٤- الخالدون مائه أعظمهم محمد - أنيس منصور -
الزهراء للإعلام العربي - القاهرة - الطبعة السادسة
- ١٩٨٦

٥- محمد رسول الله والذين معه - عبد الحميد جوده
السحار - الأجزاء من ٦ إلى ٢٠ - مكتبة السحار -
القاهرة

٦- إسلاميات - عباس محمود العقاد - دار المعارف -
القاهرة - ١٩٨٥

٧- نساء النبي - د. عائشة عبد الرحمن - دار المعارف
القاهرة الطبعة السادسة ١٩٩٢

- ٨- مع المصطفى - د. عائشة عبد الرحمن - دار المعارف القاهرة ١٩٩٢
- ٩- السيرة النبوية من الطبقات الكبرى - لابن سعد - المجلدين الأول والثاني - الزهراء للإعلام العربي - القاهرة ١٩٨٩
- ١٠- توجيه الرسول للحياة والأحياء - د. أحمد الشرباصي - القاهرة
- ١١- محمد وبنو إسرائيل - د. مصطفى كمال وصفى - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - الكتاب السابع - القاهرة ١٩٦٧
- ١٢- سيرة النبي لأبي محمد محي الدين عبد الحميد - ١٩٨٩
- ١٣- محمد في حياته الخاصة - دار الهلال - د. نظمي لوقا
- ١٤- لمسات مشرقه من حياة الرسول - عبد العزيز غنيم - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٩٧١

- ١٥ - حوار في المسجد النبوي بين النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام - رزق هيبه - مكتبة التراث الاسلامي القاهرة
- ١٦ - الإسراء والمعراج - د. عبد الحليم محمود - سلسلة البحوث الاسلاميه السنة ٢ الكتاب ٢٢ - القاهرة ١٩٧٠
- ١٧ - أمهات فاضلات - درويش الزفتاوى - رؤية أدبيه - القاهرة ١٩٨٢
- ١٨ - معجزات الرسول - مكتبة الشعراوى الاسلاميه - أخبار اليوم - القاهرة ١٩٩٧
- ١٩ - المعجزة الكبرى - الإسراء والمعراج - مكتبة الشعراوى الاسلاميه - الشيخ محمد متولي الشعراوى - القاهرة ١٩٩٠
- ٢٠ - الفكرة الاسلاميه - الإسراء والمعراج - على فهمي طمان - الاسكندريه .

٢١ - قبس من هدى الرسول - إسماعيل الدفتار -
خطيب مسجد الأزهر - مطبوعات الشعب القاهرة
١٩٧٥

٢٢ - بيركلييت - اسم نبي الإسلام في انجيل عيسى عليه
السلام حسب شهادة يوحنا - د. أحمد حجازي السقا
- مكتبة المطيعي القاهرة ١٩٧٥

٢٣ - نظرات في انجيل برنابا المبشر بنبوة النبي محمد -
محمد على قطب - مكتبة القرآن - القاهرة ١٩٨٥
٢٤ - مع النبي في رمضان - سامح كريم - مطبوعات
قطاع الثقافة - أخبار اليوم - القاهرة ١٩٩٦

٢٥ - غزوة بدر الكبرى - جمال حماد - المجلس الأعلى
للشئون الاسلاميه القاهرة

٢٦ - خاتم النبيين محمد بن عبد الله - محمد خالد -
دار الكتاب العربي بمصر ١٩٩٥

٢٧ - من صفات الرسول الخلقية والخلقية - طه عبد الله
العفيفي - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة
١٩٩٥

- ٢٨ - أسمى الرسالات - السيد عبد الحميد الخطيب -
أشرف على تصحيحه الشيخ حسنين مخلوف - دار
الكتاب العربي بمصر القاهرة ١٩٦١
- ٢٩ - الأم للإمام الشافعي - الجزء الرابع - مكتبة
الكليات الأزهرية - القاهرة ١٩٦١
- ٣٠ - المذهب في فقه الإمام الشافعي للشبراوى - الجزء
الثاني - مطبعة عيسى
- ٣١ - الكامل في التاريخ لابن أثير - الجزء الأول المطبعة
المنيرية عام ١٣٤٨ هجرية
- ٣٢ - تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر
الإسلام - لإسرائيل ولفستون "ابن ذئيب" لجنة
التأليف والترجمة والنشر - القاهرة
- ٣٣ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير مطبعة عيسى البابى
الحنبلية
- ٣٤ - تفسير القرآن الجليل للنسفى المطبعة الأميرية
١٩٤٣

- ٣٥ — السيرة النبوية لابن كثير تحقيق مصطفى عبد
الواحد — مطبعة عيسى البابى الحلبي
- ٣٦ — بدائع الصنائع في ترتيب للإمام الكاسانى مطبعة
الجمالية بمصر القاهرة
- ٣٧ — البداية والنهاية — ٣ أجزاء — ابن كثير — دار الغد
العربي القاهرة ١٩٩٠
- ٣٨ — مطلع النور — عباس محمود العقاد — دار الشعب
القاهرة ١٩٦٩
- ٣٩ — الطريق إلى القرآن — محمد متولي الشعراوى —
مطبوعات مايو — القاهرة ٩٨٥
- ٤٠ — السحر والحسد — محمد متولي الشعراوى — أخبار
اليوم — القاهرة ٩٠
- ٤١ — سنة نزول المسيح — أحمد أبو النور — الطبعة
الثالثة — القاهرة ٩٧
- ٤٢ — معجزة القرآن — وزارة التربية والتعليم — القاهرة
١٩٩٦

- ٤٣ - الشيطان والإنسان - محمد متولي الشعراوى -
أخبار اليوم - القاهرة - ١٩٩٠
- ٤٤ - الرسول وخلفاؤه - عبد الله عمر الخياط - الطبعة
الأولى - ١٩٩٠ - باريس فرنسا
- ٤٥ - محمد والمسيح - خالد محمد خالد - كتاب اليوم -
أخبار اليوم - العدد ٣٢٩ - يناير ١٩٩٢
- ٤٦ - الفتح المبين - صور من حياة الرسول - أمين
دويدار - الكتاب الرابع القاهرة ١٩٩٧
- ٤٧ - الرحيق المختوم - بحث في السيرة النبوية -
الشيخ صفى الدين المباركفورى - دار أحياء التراث
السعودية
- ٤٨ - فقه الشعراوى - محمد الغزالي - دار الكتاب
العربي بمصر - الطبعة الثانية ١٩٩٥
- ٤٩ - فتح الباري - أحمد بن على بن حجر العسقلانى -
المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة
- ٥٠ - حياة محمد - محمد حسن هيكل - دار المعارف
القاهرة - الطبعة العشرون - ١٩٩٥

- ٥١ - من هو محمد ؟ - محمد متولي الشعراوي - كتاب
مايو القاهرة ١٩٩٨
- ٥٢ - جامع بيان العلم وفضله - د. محمد عجاج الخطيب
- السنة قبل التدوين
- ٥٣ - السنة - د. عبد الله شحاتة - كتاب اليوم القاهرة
يناير ٢٠٠١
- ٥٤ - الحديث النبوي من الوجهة البلاغية - مكتبة وهبه
- دار الطباعة المحمدية بالأزهر - القاهرة ١٩٧٣
- عز الدين على السيد
- ٥٥ - الحديث النبوي - منشورات المكتب الاسلامي -
بيروت ١٩٧٢ - محمد الصباغ
- ٥٦ - قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح -
دار الجيل - بيروت أحمد موسى سالم
- ٥٧ - القصص في الحديث النبوي - دراسة فنية
وموضوعية - د. محمد بن حسن الزير - الرياض
١٩٩٧

- ٥٨ - سيرة النبي محمد - كارين أرمسترونج - ترجمة
د. فاطمة نصر ، د. محمد عناني - كتاب سطور ١
- ١٩٩٨
- ٥٩ - تاريخ معالم المدينة المنورة - أحمد ياسين احمد
الخبارى - الرياض ١٣٨٠ هجريه
- ٦٠ - أنبياء الله - محمد متولي الشعراوى - كتاب مايو
- القاهرة ١٩٩٩
- ٦١ - شرح معجزات الأنبياء والمرسلين - الشعراوى -
مطبوعات مايو ٩٩
- ٦٢ - قصص الأنبياء للإمام أبى الفداء إسماعيل ابن كثير
- تحقيق لجنة من العلماء - دار الأقصى ١٩٩٠
- ٦٣ - حقيقة الأوراد المحديه - الدكتور عبد الله عباده -
مطبعة المدني القاهرة
- ٦٤ - منهج توثيق السنة النبوية الشريفة - د. محمد
إبراهيم الفيومي - كتاب الأزهر القاهرة رمضان
١٤٢٠ هجريه

- ٦٥ - الرد على منكري الشفاعه - عبد المهدي بن عبد
القادر عبد الهادي - دار الاعتصام القاهرة ٩٩
- ٦٦ - السنة النبوية ومكانتها في التشريع الاسلامي -
الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح كتاب الأزهر
جمادى الآخرة ١٤٢٠ هجريه
- ٦٧ - مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة - الإمام الحافظ
جلال الدين السيوطي - تحقيق خالد عبد الفتاح شبل
- كتاب الأزهر المحرم ١٤٢٠ هجريه
- ٦٨ - قضية السنة - إمام الدعاة إلى الله الشيخ محمد
متولي الشعراوى
- ٦٩ - الشفاعه - دكتور مصطفى محمود - كتاب اليوم -
يوليو ٩٩
- ٧٠ - أحدث تفسير لآيات القرآن الكريم - الرسالة وإعادة
الاتزان عبد الغنى محمد - القاهرة ٩٩
- ٧١ - حول فتنه نفى الشفاعه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم - دكتور محمد محمود سعيد
دار الغد العربي - القاهرة

كتب صدرت للمؤلف :

- ١- جولة سياحية في ربوع الفيوم وآثارها
- ٢- الفيوم صور وحكايات
- ٣- الأقصر ورحلة الخلود
- ٤- بنات الجامعة " قصص قصيرة "
- ٥ - أمراء الكيف
- ٦- نساء في انتظار الإعدام
- ٧- خبايا النساء

كتب تحت الطبع :

- ١ - نساء من جهنم
- ٢- نساء من الجنة
- ٣ - نساء ضد التيار

الفهرس ..

م	اسم القصيدة	رقم الصفحة
١	إهداء	٢
٢	البداية	٣
٣	مولد الفجر	١٦
٤	انتصار الحق	٢٥
٥	دولة الإيمان	٥٤
٦	وتبقى كلمة	٦١
٧	حربه ضد النفاق	٧٤
٨	زيجاته	٨٥
٩	القصاص	١١٥
١٠	يوم الفرقان	١٢٧
١١	حرب الكرامة	١٥٥

م	اسم القصيدة	رقم الصفحة
١٢	يوم الأحران	١٦٦
١٣	دروس وعبر	١٨٧
١٤	المنافقون	١٩٦
١٥	تأديب العصاة	٢٠٤
١٦	أيام الحسم	٢١٣
١٧	إستئصال الغدر	٢٢٤
١٨	نظرة جديدة	٢٣١
١٩	الرؤيا الصادقة	٢٤٢
٢٠	سقوط خبير	٢٥٨
٢١	استشهاد الأمراء	٢٦٩
٢٢	الفتح الأعظم	٢٧٨
٢٣	النبي لا كذب	٢٩٨
٢٤	المخلصون يجهزون الجيش	٣١٣

م	اسم القصيدة	رقم الصفحة
٢٥	أوصافه	٣٢٢
٢٦	أدبه ربه	٣٣٤
٢٧	الرحيل	٣٤٠
٢٨	المراجع	٣٥٨